

بتحقيق وبتزج
عبدالله محمد طه

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان غنم بن جراح الجاحظ

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الجزء الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثانى

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بصير
عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم، قلنا.



كُتَابُ
الْحَيَوَانِ

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بمحقق وإيضاح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَاب

احتجاج ضاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديث المأثورة ، وما أوجد العيان فيها ، وما استخرجت التجارب منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة .

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوكِ شفاءٌ من داءِ الكلبِ ، ثمَّ نذكر الأبوابَ لما قدَّمنا في صدرِ كلامنا هذا . قال بعضُ المرَّيين (١) :

أَرَى الخِلَّانَ بعدَ أبي عُمَيْرٍ (٢) بِحُجْرٍ في لِقَائِهِمْ جَفَاءُ
مِنَ البَيْضِ الوُجُوهِ بنى سنان لوَ أَنْكَ تَسْتَضِيءُ بهم أضَاعُوا
لهم شمسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ونُورٌ ما يغيِّبه العَمَاءُ (٣)
بُناةٌ مَكَارِمٍ وأُساءةٌ كَلَمٍ (٤) دِماؤُهُمُ مِنَ الكَلْبِ الشِّفاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حبسل المري ، والشعر يقوله في زفر بن أبي هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة . (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤتلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزبان ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامي . والبيت الأخير مروى في عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ١٧ . و « المرئين » هي في الأصل : « المزنيين » محرقة ، إذ أن « أبو البرج » من بني سهم بن مرة .

(٢) في ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبي حبيب » ، وهي كنية زفر كما في المؤتلف .
(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهي مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً في الجو .
العماء : السحاب المرتفع ، وقيل السكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رهوس الجبال .

(٤) في الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما في الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع أس ، والآسى : الذي يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِنَ الدارمِيِّينَ الَّذِينَ دِمَاؤُهُمْ شِفَاءٌ مِنَ الدَّاءِ الحِجَّةِ والحِجْلِ (١)

وقال عبدُ الله بنُ قيسِ الرُّقِيَّاتِ (٢) :

عَاوَدَنِي النُّكْسُ فاشْتَفَيْتُ كَمَا تَشْفَى دِمَاءُ المَلُوكِ مِنَ كَلْبِ (٣)

وقال ابنُ عِيَّاشِ (٤) السكندىُّ لبني أسدٍ في قتلهم حُجْرَ بنَ عمرو :

(١) في اللسان : ويقال به جنة وجنون ومحنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت في عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو في الأغاني ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفي مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا في الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد في « الكامل » : هو عبد الله ، وقال المرزباني في « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : للشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم السكليبي ، وكذلك قال المصعب الزبيري في أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادي في تحقيق الامم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسببة في الأغاني ٤ : ١٥٤ - ١٦٦ وأما البغدادي فقد ترجم له وكتب تحقيقا ممهبا فيمن لقيه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سيب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ - ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة في الشعراء . ٥٢٣ - ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده في ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتا آخر شيها به ص ٨١ من الديوان :

فدحا الحب فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكري : « الهاء للكلب - يريد بكسر اللام - وإن لم يذكره » أي تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا في م . وفي ط و س : « ابن عباس » ولعله « حكيم بن عياش » الذي ترجم له ياقوت في معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين السكيت ابن زيد الأسدي مفاخرة .

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم تريقون تاموراً شفاءً من الكلب^(١)

٣

وقال الفرزدق :

ولوتشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الحبل الذى هو أدنف^(٢)

وذاك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفى من عضة

الكلب الكلب ، وتشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شفها

ثم قال : « وذو الحبل الذى هو أدنف^(٢) » .

وقد قال ذلك عاصم بن القريّة^(٣) ، وهو جاهلي :

وداويته مما به من مجنة دم ابن كهال والنطاسى واقف^(٤)

وقلده دهرأ تميمه جدّه وليس لشيء كاده الله صارف^(٥)

وكان أصحابنا يزعمون أن قولهم دماء الملوك شفاءً من الكلب ، على

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان

يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى » .

كذا فى خزائن البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميداني فى الأمثال ١ : ٤٢٦

يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه

فى ضره ، وعزه فى إهائه » . أما الثعالبي (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن

هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه

كلبون . والأدنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد

له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م - وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء . . ولم أصف له على خبر .

(٤) المجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أن الدَّمَّ الكَرِيم هو الثَّأْرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب (١) على معنى

قول الشاعر (٢) :

كَلِبٌ مِنْ حِسِّ مَا قَدَّمَسَهُ وَأَفَانِينَ فُوَادٍ مُخْتَبِلٍ (٣)

وعلى معنى قوله (٤) :

* كَلِبٌ بِضْرَبِ بَجَاهِمٍ وَرِقَابٍ (٥) *

فإذا كَلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب ، وليس أن هناك دماً في الحقيقة يُشْرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القُرَيْبِ (٦) : « والنَّطَاسِيُّ واقِفٌ » . لكان ذلك

التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص (٧) :

(١) في ط : « الكلاب » ، وصوابه في س ، م .

(٢) هو النابغة الجعدي ، كما في اللسان (حمل) والمعاني الكبير ١١٣٣ .

(٣) أفانين فُوَادٍ : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور :

« احتمل الرجل - بالبناء للمجهول - غضب » .

(٤) في الأصل : « قولهم » . والآق عجز بيت لحصين بن القعقاع يرثى عثيبة بن الحارث

ابن شهاب . كما مر في الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :

* يوم الخليس بذى الفقار كأنه *

(٥) في ط : « كلب يضرب » ، وصوابه في س .

(٦) كذا في س ، م - وفي المطبوعة : « القرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه ليبيد بن ربيعة « صاحب

ملحوب » في قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كوثر

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر في

يوم شعب جبلة ، الأغاني ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام

بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) .

وصواب إنشاد البيت الآق « أو العنقاء » لأن قبله كما في المفضليات ١٧٥ :

فهل لك في بني حجر بن عمرو فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو دماء القوم للكلبي شفاء
وفي الكلب يقول الأعشى :

أراني وعمراً بيننا دق منشم^(١) فلم يبق إلا أن يُجنَّ وأكلبا^(٢)
ألا ترى أنه فرق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يسعى خزيمة في قومٍ ليهلكهم على الجمالة هل بالمرء من كلب^(٣)
لكان ذلك على تأويل ما ذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأمر أميرى قد أطعمم فإئما كواه بنار بين عينيهِ مُكلب^(٤)
وهذا عندي لا يدخل في الباب الأول ، وقد جعلوه منه .

٤

(من طباع الكلب العجيبة)

قال صاحب الكلب : وزعمتم أنه يبلغ من فضل قوة طباع الديك
في الإلقاء ، أنه متى سفد دجاجة وقد احتشت بيضاً صغاراً من نتاج الريح

(١) ط : « رق منشم » ، وصوابه في س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :
تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
الشمالي في الثمار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ما سمعت فيه
أن منشم امرأة كانت تباع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تجاربوا وتفانوا : دقوا بينهم
عطر منشم » . انظر الميداني في الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع
الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا في م ، س وفي ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة
في ديوان الأعشى ٨٨ - ٩١ مطلعها :

كفى بالذي تولينه لو تجنيا شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

(٣) الجمالة : الدينة يحملها قوم عن قوم . وفي ط : « الجهالة » وصوابه في س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عيني الكلب إذا أصابه الكلب ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه
قوة وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كدا) وهذا الجزء من
الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلها حيواناً ولو لم يكن سفدها إلا مرة واحدة ، وجعلتموه في ذلك بغاية الفحولة ، فطباع الكلب أعجب إلقاحاً وأثقب ، وأقوى وأبعد ؛ لأن الكلب إذا عضَّ إنساناً ، فأول ذلك أن يُحمله نبأحا مثله ، وينقله إلى طباعه ، فصار ينبح ، ثم يُحمله ويُلقيه بأجراء صغار يبؤها علقاً في صور الكلاب ، على بُعد ما بين العنصرين والطبعين والجنسين . والذي يتولّد في أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الديك . فالكلب هو (١) العجب العجيب ، لأنه أحبل ذكراً من خلاف جنسه ، ولأنه مع الإحبال والإلقاح ، أحاله نبأحا مثله . فتلك الأدراس (٢) وتلك الكلاب الصغار ، أولاد ونتاج ، وإن كان لا يتيق .

وقد تعلمون أن أولاد البغلات من البغال لا تتيق ، وأن اللقاح قد يقع ، وإنما منع البغل من البغلة بهذه العلة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان (٣) وغيره : كان الأسود بن أوس بن الحُمرة ، أتي النجاشي ومعه امرأته ، وهي بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

(١) في الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراس : جمع درص بفتح الدال وكسرهما ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ في البيان في مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ لبيسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النجاشي^١ : لأعطينك شيئاً يشفى من داء الكلب^(١) . فأقبل حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأته أن تزوج ابنه قدامة ابن الأسود ، وأن تعلمه دواء الكلب ؛ ولا يخرج ذلك منهم إلى أحد ، فزوجته نكاح مقت^(٢) ، وعلمته دواء الكلب ، فهو إلى اليوم فيهم .

فولد الأسود قدامة ، وولد قدامة المسجل - وأمه بنت الحارث - فكان المسجل يداوي من الكلب . فولد المسجل عقبه وعمراً ؛ فداوى ابن المسجل^(٣) عتيبة^(٤) بن مرداس ؛ وهو ابن فسوة الشاعر^(٥) فبال مثل أجراء الكلب علقا ، ومثل صور النمل والأدراص^(٦) فقال ابن فسوة حين برى :

ولولا دواء ابن المسجل وعلمه هزرت إذا ما للناس هرا كلابها

-
- (١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة في العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .
(٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة في المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم ، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .
(٣) في عيون الأخبار أنه (المسجل) ، وفي الشعراء وفق ما هنا .
(٤) في الأصل : « عيينة » ، وتصحيحه من العيون والشعراء .
(٥) قال أبو الفرج : هو أحدي بن عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود في الفحول ، مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام ، هجاء خبيث اللسان بذيء . . وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلاً له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعل ابن أبي طالب . وكان حليفاً لجميل بن معمر ، وفيه يقول :
فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ولكنني مولى جميل بن معمر
وترجمته مسهبة في الأغاني (١٩ : ١٤٢ - ١٤٦) .
(٦) في الأصل : « الأضراس » ، وإنما هي « الأدراص » كما سبق في ص ١٠ .

وأُخْرِجَ عَبْدُ اللَّهِ أَوْلَادَ زَارِعٍ^(١) مُوَلَّعَةً أَكْتَفَاهَا وَجَنُوبَهَا^(٢)

وأولاد زارع : الكلاب .

وأما قوله :

ولولا دواء ابن المِحْلِّ وعلمه هررتُ
فإنَّما ذهبَ إلى أَنَّ الَّذِي يَعَضُّهُ الْكَلْبُ الْكَلْبُ ، يَنْبَحُ نُبَاحَ الْكَلَابِ
ويَهْرُ هَرِيرَهَا .

(أعراض الكلب)

وقال محمد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة^(٣) :
عضَّ رجلاً [من بِلْعَنْبِرٍ]^(٤) كلبٌ كلب فأصابه داء الكلب ، فبال علقما
في صورة الكلاب ؛ فقالت بنت المستنير^(٥) :

(١) في الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه في العيون والشعراء . وفيهما
كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التي بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) في الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه في البيان
(١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفي المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية
متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف
في البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة في المحدثين أي رجال الحديث ، وقال : « توفي
بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢)
« وكان كثير العلم والسباع . متصرفا في الخبر والأثر . وكان من أجود قریش ،
وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء
الذين في كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) في العيون : « فقالت امرأته » .

أبالك أدراصاً وأولادَ زارعٍ وتلكَ لعمري نُهيّة المتعجبِ (١)
وحدّثني أبو الصّهباءِ عن رجالٍ من بني سعد ، منهم عبد الرحمن
ابن شبيب ، قالوا :

عضّ سنجيرِ الكلبِ السّكيبِ ، فكان يعطشُ ويطلبُ الماءَ بأشدّ الطلبِ ،
فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحب تلك العضة . وذلك أنه يعطش عنها أشدّ العطش
ويطلب الماءَ أشدّ الطلبِ ، فإذا أتوه به هرب منه أشدّ الهرب ، فقال دلم (٢)
وهو عبدُ لبني سعد :

لقد جئت ياسنجير أجلو ملقة إباؤك للشئ الذي أنت طالب (٣)
وهي أبياتٌ لم أحفظ منها إلا هذا البيت .

(نشرة طبيّة لزياد)

وذكر مسلمة بن محارب ، وعليُّ بن محمّد عن رجاله ، أن زياداً كتب
دواء الكلب ، وعلّقه على باب المسجد الأعظم (٤) ، ليعرفه جميع الناس .

(١) ط : « نهيّة المتعجب » ، وفي م : « نهيّة المتعجب » ، وصوابه من س و عيون
الأخبار . والنهيّة بالضم : غاية الشئ وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدلم » بالتحريك ، وهو شئ شبه الحية يكون في الحجاز
ومنه المثل ، وهو « أشد من الدلم » .

(٣) في م : « احلوفلقة » وفي س : « احلوملقة » ، وفي البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان في أول أمره مبنياً بالقبص ، ولما ولي البصرة أبو موسى
الأشعري بناه باللبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بنى زياد المسجد بالحص
وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة
فكانوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال
لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد في الصلاة سنة . فأمر بجمع
الحصى وإلقائه في المسجد .

ردُّ على ما زعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً في الحَيِّ ونحْنُ في السكّاب ،
فعرَضَ له صبيٌّ يسمّى مهديّاً من أولاد القصابين ، وهو قائمٌ يمحو لوحه
فعضَّ وجهه فنقعَ ثَنِيَّتَه دونَ موضعِ الجفنِ من عينه اليسرى ، فحرق اللحمَ
الذي دونَ العظمِ إلى شطرِ خدّه ، فرمى به ملقياً على وجهه وجانبِ
شدقه ؟ وتركَ مُقلته صحیحه ؛ وخرَجَ منه مِنَ الدَّمِ ما ظننتُ أنه لا يعيش
معه ، وبقي الغلامُ مهوئاً قائماً^(١) لا ينبس ، وأسكته الفزعَ وبقي طائرَ القلبِ ،
ثمَّ خِيطَ ذلكَ الموضعُ ؛ ورأيتُه بعد ذلكَ بشهرٍ وقد عاد إلى الكُتّابِ ،
وليس في وجهه من الشَّتْرِ^(٢) إلّا موضعُ الخيطِ الذي خِيطَ ؛ فلمَ ينبَحْ إلى
أنْ برى ، ولا هَرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال
جرواً ولا علقاً ، ولا أصابه ممّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجذُ أحداً من
تلكَ المشايخِ ؛ يشكُّ أنهم لم يروا كلباً قطُّ أكلَبَ ولا أفسدَ طبعاً منه .
فهذا الذي عاينت .

وأما الذي بلغني عن هؤلاء الثقات فهو الذي قد كتبتُه لك .

(١) كذا . ولعلها « غائباً » .

(٢) الشَّتْر : القطع .

(مما قيل في الكلب الكلب)

وفي الكلب الكلب أنشد الأعرابي :
حيًا كم الله فإني منقلب وإنيما الشاعر مجنون كلب
* أكثر ما يأتي على فيه الكذب *

إمّا أن يكون الشعر لهميّان^(١) وإمّا أن يكون للزّفيان^(٢). وأنشدني :
فإن كنتم كذّبي فعندي شفاؤكم وفي الجنّ إن كان اعتراك جنون^(٣)
وأنشدني :

وما أدرى إذا لاقيتُ عمرًا أكذّبي آلُ عمرو أم صحاح
قال : فأما المكّلب الذي يصيب كلابه داء في رُغوسها يسمّى الجحام^(٤)
فتكوى بين أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلاميّة ، وإنيما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا
ممن ليس له علم بالكلام .

ولو كان أعلم الناس باللغة ، لم ينفَعك في باب الدين حتى يكون
علمًا بالكلام !

وقد اعترض معترضون في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي

(١) هو هميّان بن قحامة ، راجز محسن إسلامي ، وكان في الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف
للأمدى ١٩٧ .

(٢) ط : « اللّقيات » وهو تصحيف ، صوابه في س . والزّفيان شاعر إسلامي ، واسمه عطاء
ابن أسيد ، وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفي معجم المرزباني ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق .

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان في عينه فترم ، وقيل داء يصيب الكلب ، وقيل
يصيب الكلب في رأسه . وفي الأصل : « الجحام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَسَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴿١﴾ فزعموا أنَّ هذا المثل لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فما يُشَبَّه حالُ من أُعْطِيَ شيئاً فلم يقبله - ولم يذكر غير ذلك ^(١) - بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أنَّ قوله : يلهث ، لم يقع في موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عطشٍ شديدٍ وحرٍّ شديدٍ ، ومن تعبٍ ؛ وأما النباح والصياح فمن شيءٍ آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون المراد ^(٢) لا يسمّى مكذباً ، ولا يقال لهم كذبوا إلا وقد كان ذلك منهم مراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس بعيد أن يشبّه الذي أوتى الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات ، في بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب في حرصه وطلبه ؛ فإن الكلب يُعطى الجِدَّ والجُهد من نفسه في كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد

٧

(١) م : « ولم تذكر غير ذلك » وليس بشيء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه في الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .
(٢) في ط : « المراد » ، وصوابه في س ، م .

إطرادك له . وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها .

والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش .

وعلى أننا ما نرمي بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة ؛ إلا وهي تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها ، والذي طبعت عليه من شأنها ، إلا أن لهث الكلب يختلف بالشدة واللين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الديك من الكلب في شيء ، فمن الكلاب ذوات الأسماء المعروفة والألقاب المشهورة . ولكرامها وجوارحها وكواسبها ، وأحرارها وعتاقها ، أنساب قائمة ، ودواوين مخلدة ، وأعراق محفوظة ، ومواليد مخصوصة ، مثل كلب جدعان^(١) ، وهو السلهب بن البراق ابن يحيى بن وثاب بن مظفر بن محارث .

(شعر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرد بن ضرار :

(١) لعله : « جدعان » .

فَعَدَّ قَرِيضَ الشَّعْرِ إِنْ كُنْتَ مُغْزِرًا فَإِنْ غَزِرَ الشَّعْرَ مَا شَاءَ قَائِلٌ ^(١)
لَنَعْتِ صُبَّاحِي طَوِيلَ شِقَاؤِهِ لَهُ رَقِيَّاتٌ وَصَفْرَاءُ ذَابِلٌ ^(٢)
بَقِيْنَ لَهُ مِمَّا يَبْرِيْ وَأَكْلِبِ تَقَلَّقُلْ فِي أَعْنَاقِهِنَّ السَّلَاسِلُ ^(٣)
سُخَامٌ ، وَمِقْلَاءُ الْقَنِيصِ ، وَسَلْهَبٌ وَجَدْلَاءٌ ، وَالسَّرْحَانُ ، وَالْمَتَنَاوِلُ ^(٤)
بَنَاتِ سَلُوْقِيَيْنِ كَانَا حَيَاتِهِ فَاتَا فَاوْدِي شَخْصُهُ فَهُوَ خَامِلٌ ^(٥)
وَأَيْقِنَ إِذْ مَا نَا بُجُوعٌ وَخَلَّةٌ وَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ عَائِلٌ ^(٦)
فَطَوَّفَ فِي أَصْحَابِهِ يَسْتَتِيْبُهُمْ فَآبَ وَقَدْ أَكَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ ^(٧)
إِلَى صَبِيَّةٍ مِثْلَ الْمَغَالِيِ وَخِرْمَلٍ رَوَادٍ ، وَمَنْ شَرَّ النِّسَاءِ الْخِرَامِلُ ^(٨)
فَقَالَ لَهَا : هَلْ مِنْ طَعَامٍ فَإِنِّي أَذْمُ لِيْلِكَ النَّاسَ ، أُمَّكِ هَابِلٌ ^(٩)

- (١) أغزر الشيء : جملة غزيرا . وفي ط : « معذرا » .
(٢) الصباحي : رجل من بني صباح كان ضيفاً له . وفي ط ، م : « صباحي » .
والرققيات : سهام منسوبة إلى « الرقم » بالتحريك : موضع بالمدينة . « وصفراء ذابيل » : قوس قطع عودها وطرحت في الشمس حتى ذهب ماؤها .
(٣) تقلقل : تتقلقل . وأراد بالسلاسل القلائد . « بقين » هي في الأصل : « يقين »
و تصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنباري ١٨٠ .
(٤) ط : « ومقلا والقنيص » وتصحيحه من القاموس و س ، م - وفي ط : « وجدلان »
وصوابه من س والقاموس .
(٥) في الأصل : « فات فآودي » . الخ ، والوجه ما أثبت من المفضليات بشرح
ابن الأنباري . قال : كانا حياتة : أي كانا يصيدان له في حياته . وأرى أنه عنى أنها
سبب حياته ومصدر رزقه .
(٦) الخلة : الفقر والحاجة . والعائل : الفقير .
(٧) يستتيبهم : يطلب ثوابهم ومعروفهم . وأكلى : طلب فلم يجد .
(٨) قال ابن الأنباري : المغالي : سهام يغلى بها في الهواء لانتقالها . يريد أن صبيانه
في ضعفهم وسوء حالهم ونحوهم مثل هذه السهام . أما الخرملة فهي العجوز المتهدمة .
والرواد : الحمقاء الهوجاء ، من قولهم : ريح رواد : هوجاء تيجي وتذهب .
(٩) هبلته أمه : ثكاته وفقدهته .

- أ قالت : نَعَمْ ، هذا الطَّوِيُّ ومأوه ومُحْتَرَقٌ من حائل الجلد قاحِلٌ (١) فلما تناهتْ نفسُه من طعامه وأمسى طليحاً ما يُعانيه باطلٌ (٢) تَغَشَّى ، يريدُ النَّوْمَ ، فضلُ ردايهِ فأعيا على العينِ الرَّقَادِ البلابِلُ (٣) ففكَّرُ في هذا الشعر ، وقِفْ (٤) على فصوله ، حتى تعرفَ غناء الكلاب عندهم (٥) ، وكسبها عليهم ، وموقعها منهم .

وقال ليبيدٌ في ذكرها وذكر أسماءها :

- لتزودهنَّ وأيقنتُ إن لم تَذُدْ أن قد أحمَّ من الختوفِ حمامها (٦)
فتقصدتُ منها كسابٍ وضربتُ بدمٍ وغودِرَ في المَكْرَسخامها (٧)

-
- (١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشيء .
(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول الجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .
(٣) تغشى رداه : تغطى به .
(٤) فى الأصل : « ووقف » .
(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
(٦) لتزودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س ، م ، وشرح القصائد العشر للبريزى ص ١٥٢ ، قال البريزى : حان حمامها وحفتها من بين الختوف .
(٧) تقصده : قصده أو قتله . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبة ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل البريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والهاء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :
حتى إذا ينس الرماة وأرساوا غضفا دواجن قافلا أعصها
وسخامها هى فى ط ، م : « سجاها » وفى س : « سخامها » وصوابهما فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر في الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مَرثِيَةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التي تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأن^(١) ناقتي بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هي المقتولة ، ليس على أن ذلك حكايةٌ عن قصّةٍ بعينها ، ولكنَّ الثيرانَ ربّما جرحت الكلابُ وربّما قتلتها ، وأمّا في أكثر ذلك فإنّها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة ، وصاحبها الغنم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ في هذا القول الثاني غير القول الأوّل ، وذلك على معنى ما فسّرْتُ لك ، فقال في ذلك وذكّر أسماءها :

فأصبحَ وانشقَّ الضبابُ وهاجه أخوقفرةٍ يُشلى ركاحاً وسائلاً^(٢)

(١) في ط : « كانت » ، وصوابه في س ، م .

(٢) ينعت لبيد في هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخوقفرة : عنى به الصائد ، وأشلى الكلب : دعاه ، قالوا : وما يغلط فيه الناس تأويل أشلى بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

* أشليت عنزى ومسحت قعبي *

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسده وأوسده : إذا أغريته ، لكن في اللسان بحثاً طويلاً في تصحيح هذه الكلمة ، يجوز أن يكون أشلى بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهي في الأصل : « يسلى » وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهي في الأصل : « وكاحا » وصوابه في الديوان والقاموس .

عوابس كالنُشَاب تَدْمِي نَحُورُهَا^(١) يَرِينُ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ نَوَافِلًا^(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنتُ برّاقش » .

ومن أسمائها قول الآخر^(٣) : ضَبَّار :

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا هَجٍ فَتَبَرَّقَعْتُ فَذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتُ ضَبَّارًا^(٤)

وقال الكُمَيْتُ الْأَسَدِيُّ :

فَبَاتَ وَبَاتَتْ عَلَيْهِ السَّمَا ءُ مِنْ كُلِّ حَابِيَةٍ تَهْطُلُ^(٥)

مُكَبِّيًا كَمَا اجْتَنَحَ الْهَالِكِيُّ عَلَى النَّصْلِ إِذْ طُبِعَ الْمُنْصَلُ^(٦)

ثم ذكر أسماء الكلاب فقال :

وَفِي ضَيْبِنٍ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ^(٧) خَطَافٍ وَسَرْحَةٌ وَالْأَخْدَلُ^(٨)

(١) شبهها بالنشَاب ، وهي السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفي الأصل : « عرائس كالنشاب ترمي نهورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه في الديوان .

(٢) الهاديَات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و« يرين » هي في ط ، س « برى » وصوابها في الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الحفاجي ، كما في تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر الكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرهما مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعني بجمالها فكأنما كسى الحمار خمارا

فخرجت أعر في قوادم جيتي لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب . وفي ط ، س : « جانبية » ، وفي م : « جانبية » والصواب ما أثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، ولذلك قيل لبنى أسد القيون » .

(٧) الضبين ، بالكسر : اللناحية . وفي الأصل : « ضين حقف تراجعته » ، صوابه في ٧ : ٢٠١ .

(٨) في الأصل : « والأجدل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعة كقداح السرا ۞ لا عانيات ولا عبيل^(١)

وقال الآخر :

بتنا ويات جليد الليل يضر بنا بين البيوت قرانا نبح درواس^(٢)

إذا ملاً بطنه ألبانها حلباً باتت تغنيه وضرى ذات إجراس^(٣)

و درواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضراط .

وقال ضابي بن الحارث في ذلك :

فترملت بدم قدام وقد أوفى اللحاق وحان مصرعه^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

ولو هيا له الله من التوفيق أسبابا

لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

ومثل هذا كثير .

(١) القنح بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس السراء ومسجل قد اخضر من لس الغمير جحافله

و « السراء » هي في الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) في اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهي المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . . وفي ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلتطخت . و « قدام » : اسم كلبية ، وهي في الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا في تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله في رجل يسمى وثابا

ويسمى كلبه عمراً . والشعر سميده الجاحظ في ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد

ذكر الراغب الشعر أيضاً في ٢ : ١٥٣ منسوباً إلى ابن أبي عتيق ، فهما

روايتان في النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرْصاً إذا كان خطْمُه يمسُّ عَجْبَ ذَنْبِ
الظَّبْيِ والأرنبِ والثَّورِ وغير ذلك ، مما هو من صيده . ولذلك
قال الشاعر (١) :

رَمَّا أَغْدُو مَعِيَ كَلْبِي طَالِباً لِلصَّيْدِ فِي صَحْبِي (٢)
فَسَمَوْنَا لِلقَنَيْصِ مَعاً فَدَفَعَنَاهُ إِلَى أَظْبِ (٣)
فَاسْتَدْرَتْهُ فَدْرٌ لَهَا يَلْطُمُ الرُّفْعَيْنِ بِالتُّرْبِ (٤)
فَادْرَأَهَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ فِي جَمِيمِ الحَاجِ والغَرْبِ (٥)
فَفَرَى جُمَاعَهُنَّ كَمَا قَدْ مَخْلُولَانِ مِنْ عَصَبِ (٦)

(١) هو أبو نواس . والقصيد في ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) في الأصل : « صحب » ، والأشبه ما أثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذي يلبس جوربي شعر ، ويعود خلف الصيد نصف النهار ، ليقه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفي ط : « شمونا » وفي س ، م : « سمونا » والوجه ما أثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزير به » . والحزير : ما غلظ من الأرض . . والأظبي : جمع ظبي .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفقيه ، أى إبطيه ، بالأرض ، يريد كأنه يسبح في الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكّة ، قيل : ومنه « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتي - وأثبت صوابه من الديوان - :

فادرا وهي لاهية في حير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كتوبين يمنين مشتوقين قطعهما قاطع .

ثم قال (١) :

غير يَعْفورٍ أَهْلٌ بِهِ جَافَ دَفِيهِ عَنِ الْقَلْبِ (٢)
ضَمَّ لِحْيَيْهِ بِمَخْطَمِهِ ضَمَّكَ الْكَسْرَيْنِ بِالشَّعْبِ (٣)
وَاتْحَى لِلْبَاقِيَاتِ كَمَا كَسَرْتَ شَعْوَاءَ مِنْ هُبِّ (٤)
فَتَعَايَا التَّيْسُ حِينَ كَبَأَ وَدَنَا فُوهَ مِنَ الْعَجَبِ (٥)
ظَلَّ بِالْوَعْسَاءِ يَنْفُضُهُ آرَمًا مِنْهُ عَلَى الصُّلْبِ (٦)
تِلْكَ لَدَائِي وَكُنْتُ قَتِيٌّ لَمْ أَقُلْ مِنْ لَذَّةِ حَسْبِي

(الإهلال والامتثال)

وأما قوله : « غير يعفور أهل به » ، فالإهلال الذي ذكر هو شيء
يعتريه في ذلك ، يخرج من جوفه صوتٌ شبيه بالوعواء [الخفيف] (٧) ، وهو

- (١) الشعر متصل في الديوان ، فالبيت الآتي لا يفصل بينه وبين السابق شعر .
- (٢) اليعفور : الطيبى ، أو ولده . والدفان : الجنيان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف .
وفي الديوان : « جاب » ، وهى رواية للسان (مادة هلال) .
- (٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .
- (٤) الشغواء : العقاب ، وفي الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء »
وهو تصحيف « شغواء » . وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . والهبب :
مهواة ما بين كل جبلين .
- (٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب :
أصل الذئب .
- (٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفي الديوان « ينفضه » . و « آرما »
من أرم عليه : عض . وفي الديوان : « آزما » وهما بمعنى .
- (٧) الزيادة من اللسان .

ما بين العواء والأنين ، وذلك من حاقَّ الحرص^(١) ، وشدة الطلب ، وخوف الفوات . ويقال : أهلت السماء ، إذا صببت ، واستهات : إذا ارتفع صوت وقعها ؛ ومنه الإهلال بالحج . وقال ابن الأحمر^(٢) :

يَهْلُ بالفرقد رُكبانها كما يَهْلُ الراكبُ المتمرِّم^(٣)

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : أرأيتَ من لا شربَ ولا

أكلَ^(٤) ولا صباحَ واستهل ، أليس ذلك يُطلُّ^(٥) ؟ !

(١) في الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذا العبارة شبه في نهاية ص ٥٥ . وحق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفي اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) في اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فاهنا صوابه ، وقد جاء البيت في (مادة عمر) منسوبا إلى ابن الأحمر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمعي : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أي رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذي يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم في مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً - وهو ولد البقرة الوحشية - أهلوا أي كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اه . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد في القول الأول هو الفرقدان : نيمان في السماء لا يغريان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان في بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراق . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) في الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابي هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ في باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابي قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى في الجنين إذا سقط ميتا بغرة - الغرة : عيب ، أو أمة - وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجعا كسجع الجاهلية » .

(٥) في الأصل : « يطل » . وإنما هو « يطل » أي يذهب دمه هدرأ ، كما في البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَعَ الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَهُ كُلَّهُ ، ولا يكون كالجار الضيق
الإبطين - والكلبُ في افتراش ذراعيه وبَسَطَ رجليه حتَّى يصيب قَصَّهُ
الأرضَ ، أكثر من الفرس - وعند ذلك ما يَنْشِطُ أذنيه حتَّى يَدْمِيَهُمَا .
ولذلك قال الحسنُ بن هانئُ ، وقد طال ما نعتَ بهما (١) :

فانصاعَ كالسكوكبِ في انحداره لَفَتَ المشيرَ مُوهِنًا بناره (٢)
شَدًّا إذا أَحْصَفَ في إحضاره (٣) خَرَّقَ أذنيه شَبًّا أظفاره
وأوَّل هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثعلبُ من وِجارِهِ يَلْتَمِسُ الكسبَ على صغارِهِ

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدي في تاج العروس
« والموهن كحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص في نسخ القاموس
واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هي في الأصل : « بشاره » وصوابه
في الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني
٢ : ١٣٣ .

ولأبي نواس من طردية أخرى في صفة حمام يعفور البصرى (الديوان ٢٣٣) :

* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهي في ط : « أخصف »
وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أخصف » بالحاء من
تصحيف الليث . وهي بالحاء في س ، م ، وبالحاء في نهاية الأرب والديوان . والرواية
فيه : « حتَّى إذا أخصف » .

(معرفة أبي نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رَجَزَه في هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود في شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستقصاة في أراجيزه . هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأملتَ شعرَه فضلَّته ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهلَ البدو أبدأ أشعرُ ، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء . فإن اعترض هذا البابُ عليك فإنَّك لا تبصرَ الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طردية لأبي نواس)

قال الحسن بن هانئ :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِهِ يلتمسُ الكسبَ على صغاره
عارضُهُ في سننِ امتيَّارِهِ^(١) مضمرٌ يَمُوجُ في صِدَّارِهِ^(٢)

(١) امتيَّاره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق . وفي ط : « شتن » وفي س : « سنن » .

(٢) في الأصل : « سدَّاره » وإنما هي « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد مخمودة في الكلاب كما في ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما في الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هي في الأصل : « يملح » وفي الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس في طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغضف يموج في شواره *

في حَلَقِ الصُّفْرِ وفي أُسْيَارِهِ مِنْضَمَّةٌ قَصْرَاهُ من إِضْمَارِهِ (١)
 قد نَحَتَ التَّسْهِيمُ من أَقْطَارِهِ (٢) من بعد ما كان إلى أَصْبَارِهِ (٣)
 غَضًّا غَذَتْهُ الْخُورُ من عِشَارِهِ (٤) أَيَّامٌ لا يُحْجَبُ عن أَطَّارِهِ
 وهو طَلًّا لم يَدُنْ من إِشْغَارِهِ (٥) في مَنَزَلٍ يُحْجَبُ عن زُورِهِ
 يُسَاسُ فِيهِ طَرْفِي نَهَارِهِ حَتَّى إِذَا أَحْمَدَ في اخْتِبَارِهِ (٦)
 وَأَصَّ مِثْلَ القَلْبِ من نُضَارِهِ (٧) كَأَنَّ خَلْفَ مَلْتَقَى أَشْفَارِهِ (٨)
 بَجَمْرٍ غَضِيٍّ يَدْمِنُ في اسْتِعَارِهِ كَأَنَّ لِحْيَيْهِ لَدَى اقْتِرَارِهِ

١١

(١) القصرى : أسفل الأضلاع . كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفي الديوان : « التلويح » ، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه .

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئاً بديننا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثلث هو رواية الديوان وفي ط ، م :

* نَحْتَا كَسْتَهُ الْخُورُ من عِشَارِهِ *

وفي س : نَحْتَا كَسْتَهُ . . . الخ .

و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غَذَتْهُ أَطَّارٌ من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفي الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية . والإشغار فسرهُ الجاحظ فى ص ٣٢ . وفي الأصل : « أشفاره » وفي الديوان : « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختباره » ، وفي الديوان : « ابتباره » . والابتيار والاختيار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . . . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفي الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت

فى الديوان . وفي ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م

والديوان . وقد شبه عيني الكلب فى البيت التالى بجمر حمرة وبصيصاً .

- شَكَ مَسَامِيرَ عَلَى طَوَارِهِ (١) يَضْمُ قُطْرِيَهُ مِنْ اضْطِبَارِهِ (٢)
 وَإِنْ تَمَطَّى تَمَّ فِي أَشْبَارِهِ (٣) عَشْرٌ إِذَا قَدَّرَ فِي اقْتِدَارِهِ (٤)
 سَمِعُ إِذَا اسْتَرَوْحَ لَمْ تُمَارِهِ (٥) إِلَّا بَأْنَ يُطَلَّقَ مِنْ عِدَارِهِ
 فَانصَاعَ كَالسُّكُوبِ فِي انْحِدَارِهِ لَفَتَ الْمَشِيرَ مُوهِنًا بِنَارِهِ (٦)
 شَدًّا إِذَا أَحْصَفَ فِي إِحْضَارِهِ (٧) خَرَّقَ أُذُنِيَهُ شَبَا أَظْفَارِهِ (٨)
 حَتَّى إِذَا مَا انْسَابَ فِي غُبَارِهِ (٩) عَافَرَهُ أَخْرَقُ فِي عِفَارِهِ (١٠)

(١) الشك بمعنى النظم . وفي الأصل : « سك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب
 (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم
 في م فقط ، وفي الديوان : « انضباره » . وفي س ، ط : « اضطاراه » . وهذا
 تحريف . وفي الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفه . ويرى صاحب
 الوساطة أن المتنبي أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد في العدو من التفتل يجمع بين منته والكلكل
 وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « تم في أشباره » .

(٤) كذا في الديوان ، وفي الأصل :

عشرا إذا أقدر في اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق في قدرته على
 التمتطي ، فإياك به إذا ترك لنفسه العنان في ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشم الهواء مجئاً عن
 الفريسة . والمهارة : التكذيب . يقول : هو كالذئب في قوة شمه — زعموا أنه
 يدرك المشوم من فرسخ — وأنه في ذلك صادق لا تخطيء فراسته .

(٦) في الأصل : « بئاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) في الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحاً ص ٢٧ .

(٩) في الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجعله في العفر أي التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان .

وفي التيمورية : « عافره أخرق في غضاره » . وفي ط ، س ، م : « عافره ما خرق
 في عافره » .

فَقَتَلَلَ الْمُفْصِلَ مِنْ فَقَارِهِ (١) وَشَقَّ عَنْهُ جَانِبِيَّ صِدَارِهِ

* مَا خَيْرَ لِلثَّعْلَبِ فِي ابْتِكَارِهِ (٢) *

(طَرْدِيَّةٌ ثَانِيَةٌ لِأَبِي نُوَاسٍ)

وقال في كلب سليمان بن داود الهاشمي - وكان الكلب يُسمى زُبورا -

إِذَا الشَّيَاطِينُ رَأَتْ زُبورًا قَدْ قُلِدَ الحَلَقَةَ والسُّيُورَا

دَعَتْ حِلْزَانَ الفِلا تُبُورَا (٣) أَدَقِي تَرَى فِي شِدْقِهِ تَأْخِيرَا (٤)

تَرَى إِذَا عَارَضَتْهُ مَفْرُورَا (٥) خَنَاجِرًا قَدْ نَبَتَتْ سَطُورَا (٦)

(١) تلتلل هنا : في معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب في خروجه مبكراً ، لأنه سيكون غنيمة لهذا الكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبورا ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » . . والحزان جمع خزز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرنب . و « الفلا » : جمع فلاة . وهي في ط : « الفلا » وصوابها في س ، م والتمورية والديوان . و « دعت » هي في جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرنب التي صرعاها الكلب شماتة بها . وذلك أن الأرنب فيما تزعم الأعراب - ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميري (١ : ٣٠) .

(٤) الأدق : الذي أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تسكاد أطرافهما تماس في الخدار قبل الجبهة . أو الأدق الذي يمشي إلى جانب ، وذلك أسرع له . وفي الأصل . « أدمى » وأثبت ما بالديوان . و « في شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفي ط : « مفروراً » وفي الديوان « مفروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصلاتها وشدة تمسكها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان ، فلا تنال قوة « نبتت » .

- مُشْتَبِكَاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورَا (١) أَحْسَنَ فِي تَأْدِيهِهِ صَغِيرَا
 حَتَّى تَوَقَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَا (٢) مِنْ سِنِّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَا (٣)
 وَعَرَفَ الْإِيحَاءَ وَالصَّفِيرَا وَالْكَفَّ أَنْ تَوْمَى أَوْ تُشِيرَا
 يُعْطِيكَ أَقْصَى حُضْرِهِ الْمَذْخُورَا (٤) شَدَّاءُ تَرَى مِنْ هَمْزِهِ الْأَظْفُورَا (٥)
 مُنْتَشِطًا مِنْ أُذُنِهِ سَيُورَا (٦) فَمَا يَزَالُ وَالغَا تَامُورَا (٧) ١٢
 مِنْ ثَعْلَبٍ غَادَرَهُ مَجْزُورَا أَوْ أَرْنَبٍ كَوَّرَهَا تَكْوِيرَا (٨)
 أَوْ ظَبْيَةٍ تَقْرُو رَشَاءً غَرِيرَا (٩) غَادَرَهَا دُونَ الطَّلَا عَقِيرَا (١٠)
 فَأَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَمِيرَا رَبِّي، وَلَا زَالَ بِهِ مَسْرُورَا (١١)
 وَقَدْ قَالَ كَمَا تَرَى :

شَدَّاءُ تَرَى مِنْ هَمْزِهِ الْأَظْفُورَا مُنْتَشِطًا مِنْ أُذُنِهِ سَيُورَا

- (١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرثة ، وأراد سحور الصيد .
 (٢) توقي الأشهر : أكلها وأتمها .
 (٣) كذا في الديوان ، وفي الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفسه الجاحظ قريبا .
 (٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفي ط : « حصره » محرفة ، و « المذخورا » هي
 في الديوان : « الموقورا » . ومثله قول ذى الرمة في ديوانه ٣٣ وديوان المعاني
 ٢ : ١٣٣ :

لا يذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى بينها الأهب

- (٥) الهمز : الضغط والغمز .
 (٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .
 (٧) والغا تامورا : شاربيا للدم بطرف لسانه . وفي ط : « والفا » وهو على الصواب
 في س ، م والديوان .
 (٨) كورها : صرعها . وفي الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .
 (٩) تقروه : تقصد إليه . وفي ط : « تغرو » وهو تصحيف ما في س ، م .
 والرشاء الغرير : الظبي الصغير .
 (١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيرأ : صريعاً . وفي الديوان : « عقيرأ » .
 (١١) في الديوان : « ولا يزال فرحا مسرورا » .

بإثر قوله (١) :

حَتَّى تَوَفَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَ (٢) مِنْ سِنَّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَ (٣)
فَإِنَّ الْكَلْبَ إِذَا شَغَرَ بِرِجْلِهِ وَبَالَ ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ بُلُوغِهِ
لِلْإِلْقَاحِ ، وَهُوَ مِنَ الْحَيَوَانَ الَّذِي لَا يَحْتَلِمُ (٤) .

(أمارات البلوغ في الغلمان والجواري)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمر : منها انفراقُ طَرْفِ الأرنبة ،
ومنها تغيُّرُ رِيحِ إبْطِيهِ ، ومنها الأنياب (٥) ، ومنها غلظ الصوت .
ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفي الجواري جَوَارٍ لَا يَحِضُنَّ ، وذلك
في النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيباً . وقد رأيت رجالاً يوصفون
بالقوَّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلا مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم
يحتلم ألبتة .

(طردية نائمة لأبي نواس)

وقد قال الحسن بن هانئ مثل ذلك ، في أرجوزة أخرى :
يَمْرِي إِذَا كَانَ الْجِرَاءُ عَبْطًا (٦) بَرَاثِنَا سُحْمَ الْأَثَافِي مُلْطًا (٧)

(١) في الأصل : « يَأْبَى قَوْلُهُ » .

(٢) في الأصل : « حَتَّى يُوَفَّى » .

(٣) في الأصل : « مِنْ سَنَةٍ » . وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .

(٤) في الأصل : « لَمْ » .

(٥) كَذَا .

(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفي الديوان : « يَفْرَى » . والجراء مصدر كالجرى .
وهذه رواية الديوان . وفي الأصل : « الْجَزَاءُ » . والمببط : أن يجرى الرجل
الدابة حتى تعرق .

(٧) الأثافي : عنى بها الهنات الناتئة في كف الكلب . والسحيم : السود ، جمع أسحم .
والملط : الخالية من الشعر ، جمع أملط .

* يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بَيْنَ نَشِطًا *

وهذه الأرجوزة أولها :

عَدَدْتُ كَلْبًا لِلطَّرَادِ سَلَطًا (١) مَقْلَدًا قَلَائِدًا وَمَقَطًا (٢)
فَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَسِيبُ رَهْطًا (٣) تَرَى لَهُ شِدْقَيْنِ خُطَا خَطَا (٤)
يَمْرَى إِذَا كَانَ الْجِرَاءُ عَبْطًا (٥) بَرَانِنًا سُحْمَ الْأَثَانِي مَلْطًا
يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بَيْنَ نَشِطًا تَخَالُ مَا دَمِينٍ مِنْهَا شَرْطًا (٦)
مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا فَرَطًا (٧) كَأَنَّهَا يُعْجَلِنَ شَيْئًا لِقَطَا
أَعْجَلَ مِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ قَطَا (٨) فَاجْتَاخَ خَزَانَ الصَّحَارَى الرَّقَطَا (٩)

- (١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفي الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيات .
والسلط : الشديد .
(٢) المقط : الحبل .
(٣) عني بالرهط هنا العشيرة . وفي الديوان : « فهو النجيب » الخ .
(٤) في الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .
(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك في البيتين التاليين .
(٦) رواية الديوان : « نخال مأمزين منه شرطاً » ، وما هنا صوابه . ودعى :
ظهر منه الدم .
(٧) إلا فرطاً : إلا في النادر ، فهو كأنه سابح في الهواء . وقد أخذ المعنى من
قول أبي النجم :

* فإيمس الأرض منه حافره *

- (٨) « قطا » هي حكاية صوت القطة . وفي الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك
على أبي نواس في شعره حرفين : قوله :

* أسرع من قول قطة قطا *

كان ينبغى أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كن الشنآن فيه لنا ككحون النار في حجره

وإنما كان ينبغى أن يقول : في حجرها اه . وفي الأصل : « من قول قطاء »
وليس بشيء .

- (٩) اجتاحتها : أهلكتها واستأصلها . وفي الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفي
الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرناب . بالرقط : جمع
أرقت ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَيْنِ مِنْهُ حَكْمًا مَشْتَطًا (١) للعظم خطأ والأديم عَطًا (٢)

(شعر في نعت سرعة القوائم)

والشعراء إذا أرادوا سرعة القوائم قالوا كما قال (٣) : ١٣

يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ وَمَسْنَنِ إِذَا أَقْبَلْنَ تَحْلِيلُ (٤)

وقال الآخر (٥) :

(١) مشتطا: جائراً . وفي الديوان : « يلقين منه حاكما » ، والحكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفي الديوان : « عبطا » موضع « عطا » ، وهما سيان .

(٣) القائل هو عبدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبي زيد ٩) .

(٤) يخفى : نحرف من الأضداد يكون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعنى الإظهار ، والإبداء كما في هذا البيت ، وكما في قول امرئ القيس بن عابس الكندي :

فإن تكتموا الداء لا تخفه وإن تبعثوا الحرب لا تقعد

وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك نحرف من الأضداد . وقرئ قوله تعالى :

« إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل في كل

من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة التبيين

أي الاستثناء في الحلف ، وهي أن يقول الحالف إثر حلفه : إن شاء الله .

قال العسكري : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كواصلته الحالف بالتحلة

بمعنى من غير تراخ . وقال ابن منظور في شرح هذا البيت : إن « تحليل »

بمعنى قليل حين يسير . . . والرواية المشهورة في عجز البيت :

* في أربع مسنن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف في أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما في الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتي في وصف ثور .

وكأثما جهَدَتْ أَلَيْتُهُ أَنْ لَا تَمَسَّ الْأَرْضَ أَرْبَعَهُ (١)

فأفرط المولَّدون (٢) في صفة السرعة - وليس ذلك بأجود - فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بِسرعة العَدُوِّ :

* كأثما ترفعُ ما لم يُوضعِ (٣) *

وقال الحسن [بن هانيء (٤)] :

* ما إن يقعن الأرض إلا فرطاً *

(طردية رابعة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هانيء في نعت كلب (٥) :

أنعتُ كلباً أهله في كدِّه (٦) قد سَعِدْتُ جدودهم بِجَدِّه (٧)

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالع . والألية : اليمين والقسم . و « أربعه » أي قوائمه الأربع . وهي في الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) في ط : « الولد » ، وصوابه في س ، م .

(٣) هذا ما في مب . وفي سائر النسخ : « يرفع بما لا يضع » ، تحريف . و الرواية في الصناعتين

٧٩ وكذا في محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كأثما يرفعن ما لم يوضع *

وقد جمعه الراغب في نعوت الخيل لالكلاب .

(٤) التكلمة من مب .

(٥) في نعت كلب ، ساقط من مب .

(٦) « في كده » : من كده . وفي ط : « في وده » ، وصوابه في س ، م ، مب .

وفي الديوان : « من كده » ورواية اللميري ٢ : ٤٠٢ ، ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦

« في كده » .

(٧) الجودود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، والجد بالكسر : الاجتهاد .

فكلُّ خيرٍ عندهم من عنده يظلُّ مولاه له كعبده
بيتٌ أذنَى صاحب من مهده (١) وإن عرى جله ببردِه (٢)
ذو غرّة مجلُّ بزنده (٣) تلدُّ منه العينُ حسنَ قدّه (٤)
ياحسُنَ شديقه وطولَ خدّه تلقى الطباءُ عننًا من طرده (٥)
يشربُ كأساً شدها في شده يالك من كلب نسيج وحده (٦)

(طردية خامسة لأبي نواس)

وقال في صفاتها [وأسمائها] (٧) وسماتها، وأنسابها، وألقابها ، وتفدية (٨)

أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك - :

قد أغتدي والطيرُ في مثنواتها (٩) لم تُعرب الأفواه عن لغاتها (١٠)

- (١) يقول : بيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .
(٢) جلّه : غطاه . وفي « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيسى في فتح عين الفعل المعتل اللام . وهي رواية الديوان . وفي مب : « عدا » وفي سائر النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى في طردية أخرى لأبي نواس ، يقول فيها (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جليل في رداثه *

- (٣) مب : « ذا غرة مججلا » .
(٤) ماعدا مب : « يلد » .
(٥) عننًا : شدة وهلاك . وفي الديوان : « عينا » . والطرده : الصيد والقنص .
(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لكل من بولغ في مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .
(٧) التكملة من مب .
(٨) ط : « تغذية » والصواب في س ، م ، ومب .
(٩) أراد بالمشوة الموضع التي تسكن فيه وتقيم .
(١٠) يقول : هي نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرحُ في قِدَاتِهَا (١) تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا (٢)
 قد نَحَتَ التَّقْرِيحَ وَاِرِيَاتِهَا (٣) مِنْ شِدَّةِ النَّسِيمِ وَاقْتِيَاتِهَا (٤)
 وَأَشْفَقَ الْقَانِصُ مِنْ حُفَاتِهَا (٥) وَقَلْتُ قَدْ أَحْكَمْتَهَا فَهَاتِهَا
 وَأَذِنَ لِلصَّيْدِ مُعَلَّمَاتِهَا وَارْفَعُ لَنَا نَسَبَةَ أُمَّهَاتِهَا (٦)
 فَجَاءَ يُزْجِيهَا عَلَى شِيَاتِهَا (٧) شَمَّ الْعَرَاقِيبِ مُؤَنَّفَاتِهَا (٨)
 غَرَّ الْوَجْوهَ وَمَحْجَلَاتِهَا مُشْرِفَةَ الْأَكْنَفِ مُؤَفِيَاتِهَا (٩)

- (١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثاني : سير يقدر من جلد غير مدبوغ ، جمعه قدات .
 وهذه الكلمة جاءت محرفة في الأصل فهي في ط : « فراتها » وفي س : « قراتها »
 وفي م : « قذاتها » . والصواب في مب والديوان .
- (٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وصحى به هنا البقر . وفي الموشح ٢٨٢
 كلام في هذا البيت .
- (٣) التقريح : أثر انهماكها في الصيد . والواريات : السينات . ورواية الديوان :
 قد لوح التقديح وارياتها .
- (٤) التميم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :
 من شدة التلويح و « اقتياتها »
- (٥) الحافي : الذي رق قدمه من كثرة السير والمدو . جمعه حفاة . وفي الديوان : « من
 حقاتها » ، وهو تصحيف . وهذا البيت في الديوان متقدم على سابقه .
- (٦) يقول : اذكر لنا نسبها .
- (٧) كذا في مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيا » بمعنى « يسوقها » .
 وفي سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهي الأثر والعلامة .
- (٨) العرقوب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . شم : مرتفعت . والمؤنف :
 المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ . وفي سائر
 النسخ : « مؤنفتها » .
- (٩) مشرفة الأكناف : عالية النواحي . و « مشرفة » رواية مب ، والديوان وديوان المعاني .
 وفي سائر النسخ : « مشرفة » تحريف . وفي الديوان وديوان المعاني : « الأكتاف »
 تحريف . والمؤنفيات : المشرفات .

- قُود الخراطيم مُخْرَطَاتِهَا (١) سوداً وِصْفَرًا وَخَلَنْجِيَّاتِهَا (٢)
 مَسْمِيَّاتٍ وَمُلقَبَاتِهَا (٣) حُمْرًا وَبِيضًا وَمَطَوَّقَاتِهَا
 ١٤ مَخْتَبَرَاتٍ مِنْ سَلُوقِيَّاتِهَا كَأَنَّ أَقَارًا عَلَى لَبَّاتِهَا (٤)
 تَرَى عَلَى أَفْخَاذِهَا سِمَاتِهَا مُفْعَدِيَّاتٍ وَمُحْمِيَّاتِهَا (٥)
 مَفْرُوشَةُ الْأَيْدِي شَرَنْبَثَاتِهَا (٦) شُمَّ الْعَرَاقِيبِ مَوْلَفَاتِهَا (٧)
 حَيْدَ الْأَظْفِيرِ مُكْعَبَرَاتِهَا (٨) زُلَّ الْمَآخِيرِ عَمَلَسَاتِهَا (٩)
 * تَسْمَعُ فِي الْآثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا (١٠) *

- (١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « قود » مخرفة ، وعلى الصواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هلال العسكري فى ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل ا. . يعنى للشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .
 (٢) الخلتجى : أصفر خفيف تعلوه غبرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .
 (٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ، وفى م : « ملقياتها » ؛ والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .
 (٤) وصفها ببياض النحور .
 (٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .
 (٦) مفروشة الأيدى : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .
 (٧) هذا البيت مكرر معاد ، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .
 (٨) الأcheid : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : « حده » ، والصواب ما أثبت . والبيت ليس فى ديوان أبي نواس . والمكعبرات : الشديدة .
 (٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعاني . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :
 * تمد عين الوحش من أقواتها *
 (١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الهاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحتها » ، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهْمِ الْحَرِصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا (١) لَتَفْتَأُ الْأَرْنَبَ عَنْ حَيَاتِهَا (٢)
إِنَّ حَيَاةَ الْكَلْبِ فِي وَفَاتِهَا حَتَّى تَرَى الْقِدْرَ عَلَى مَثْفَأِهَا (٣)
كثيرة الضيفان من عُفَاتِهَا (٤) تَقْدِفُ جَالَاهَا بِجَوْزِي شَاتِهَا (٥)
فقد قال كما ترى :

تَسْمَعُ فِي الْآثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا (٦) مِنْ نَهْمِ الْحَرِصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا (٧)
وهذا هو معناها الأول . وأما قوله :

* تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا *

فعلى قول أبي النجم :

* تَعُدُّ عَانَاتِ اللَّوِيِّ مِنْ مَالِهَا (٨) *

وزعموا أن قوله :

[كطلعة الأشمط من جلبابه

(١) هذا ما في مب والديوان . وفي سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح ، الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عني به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لا تطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لا يكون إلا للأنثى (الدميري ٢ : ٣٠) . وتفتأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفي الأصل : « تقشأ » ، وصوابه في الديوان ، وديوان المعاني .

(٣) عني بالمشافة موضع الأثافي ، وهى الحجارة تنصب عليها للقدر . وفي الديوان : « على شفاتها » محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشيء أو معظمه . وقد نطق بالمتنى وأراد الجمع عني أجوازها . انظر همع الهوامع ١ : ٥٠ . وفي الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام في هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى في الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبي النجم . ولم يذكر بيت أبي النجم ، فلعل ما هنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول^(١)] :

* كَطَّلَعَةَ الْأَشْمَطِ مِنْ كَسَائِهِ *

وهو كما قال الآخر :

* كَطَّلَعَةَ الْأَشْمَطِ مِنْ بُرْدِ سَمَلٍ^(٢) *

(طردية سادسة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هاني :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَّلَعَةَ الْأَشْمَطِ مِنْ جَلْبَابِهِ
وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ هِجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هِجْنَا بِهِ^(٣)
خَرَطُهُ الْقَانِصُ وَاغْتَدَى بِهِ^(٤) يَعْزُهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ^(٥)
[وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِبَائِهِ]^(٦) فَاَنْصَاعَ لِلصَّوْتِ الَّذِي يَعْنِي بِهِ^(٧)

كَلَمَعَانَ الْبَرْقِ مِنْ سَحَابِهِ

(١) التكلة من مب ، ونحوها في الموشح ٢٨٢ وما في أخبار أبي نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالي لأبي النجم .

(٢) السمل : الخلق البالي .

(٣) في الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان في سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهاني في المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ ، ولأبي نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حزة بن الحسن الأصبهاني جامع ديوان أبي نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينما يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحينما يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريد هو . وقد زدبت هذا البيت من الحيوان ص ٦١ ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

- كَأَنَّ عَيْنِيهِ لَدَى ارْتِيَابِهِ فَصَّا عَقِيْقِيْ قَدْ تَقَابَلَا بِهِ
حَتَّى إِذَا عَفَّرَهُ هَاهَا بِهِ (١) بَابًا بِهِ يَابِعُد مَا بَابًا بِهِ (٢)
يَنْتَسِفُ الْمِقْوَدُ مِنْ جِدَابِهِ (٣) مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إِذَا اغْلَوَى بِهِ (٤)
وَمِيعَةً تُعْرَفُ مِنْ شَبَابِهِ (٥) كَأَنَّ مَتْنِيَهُ لَدَى انْسِلَابِهِ (٦)
مَتْنَا شُجَاعٍ لَحَجٍّ فِي انْسِيَابِهِ (٧) كَأَنَّهَا الْأُظْفُورُ فِي قِنَابِهِ (٨) ١٥

(١) عفره : جذبه ، وهاها به : مخفف هأها به : زجره .

(٢) بآبأ به : فدهاه تفدية وقال : بآبأ أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .

(٣) ينتسف : ينتزع . وفي س : « ينتفس » وفي ط : « ينتسس » ، وفي المحاضرات :

« ينشف » ، وأثبت ما في م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » :

بسبب مجازيته ، فالباء سببية . وهذه هي رواية الديوان والنويري في نهاية الأرب

(٩ : ٢٦٢)) ومحاضرات الراغب . وفي س : « جزابه » ، وفي ط : « جرابه » ،

وفي م : « جذابه » وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذي الرمة :

فما زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما يزيدنا

وفي جمهور النسخ : « يملو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها

مع بقية البيت . واغلولي : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ،

إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير في « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية

مب والديوان .

(٥) مية الشباب : أوله .

(٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرايه » . وفي ط : وم : « اسرايه » وفي

المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب .

وانسلايه ، بمعنى إسرعه في السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبي كريمة متون الكلاب

بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران متونها إذا هي جالت في طراد الثعالب

(٨) القناب : غطاء الظفر . وفي الأصل : « قرابه » والوجه ما أثبت من مب ، والديوان

ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعاني (٢ : ١٣٣) .

مُوسَى صِنَاعٍ رُدًّا فِي نِصَابِهِ (١) يَثْرُدُ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ (٢)
 كَانَ نَسْرًا مَاتَوْكَدْنَا بِهِ (٣) يَعْفُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ
 إِلَّا الَّذِي أَثَّرَ مِنْ هُدَابِهِ (٤) تَرَى سَوَامَ الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِهِ (٥)
 * يَرُحْنَ أَسْرَى ظُفْرِهِ وَنَابِهِ (٦) *

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس في قوله يصف الكلب :

* كأنما الأظفور في قنابه *

* موسى صناع رد في نصابه *

لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذي ينستر إذا أراد أن لا يتبيننا ، وعند حاجتهما تخرج الخالب حجنا محددة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبدأ غير منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى في جمهور النسخ : « يثرط » وفي مب والديوان : « يترك » . وفي الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . . ولأبي نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :

* يقشر جلد الأرض من بلاطه *

والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد في السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذى اعتمدنا عليه في صيدنا نسر من النسور . والنسر أشد الطيور طيرانا وأقواها جناحا . وفي الأصل : « كأن نسرانا » وفي مب ، والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثاني لا يصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه شارح ديوان أبي نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :

* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *

وقال :

* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هدايب الثوب ، فإن الهواء المنذفع خلفه يسوى الأرض التى مزقتها ولا يميز إلا عن القليل . و « أثر » هو مافى مب ، م ، وفي ط : « أشر » وهو تصحيف ، وفي س والديوان : « آثر » ، ولم أجد له وجها .

(٥) سوام الوحش : ما يرعى في الفلوات . ويحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت هو رواية الديوان . وفي الأصل : « يرى سوام الوحش . . الخ . ورواية النويرى في نهاية الأرب :

* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس في الديوان ، وهو الذى قبله ساقطان من مب . وهو في الأصل محرف هكذا :

* وعين أسد ظفره ونابه *

والصواب ما أثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبي نواس لثعلب أفلت منه مراراً)

وقال في ثعلب [كان قد (١)] أفَلتَ منه مراراً :

قد طامًا أفلتَ يا ثعلالاً (٢) وطالما وطالما وطالما
جُلتَ بكلمى يومك الأجوالاً (٣) ما طَلتَ مَنْ لا يسأمُ المطالاً (٤)
[حتى إذا اليومُ حدًا الآصلاً (٥) أتاك حينُ يقدمُ الآجالاً (٦)]

(طردية سابعة لأبي نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبَسبِ (٧) بَعِيدِ بَيْنَ السَّمَكِ والمَطْنَبِ (٨)
لِفَتِيَةٍ قد بَكَرُوا بأَكْلِ (٩) قد أدَّبوها أحسنَ التَّادِبِ

- (١) التكلمة من مب .
- (٢) ثعلالاً : ترخيم ثعلالة ، والألف للإطلاق . وثعلالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد ، وهى فى ط ، م : « ثعلالاً » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .
- (٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .
- (٤) المطال هنا : بمعنى المراءوغة .
- (٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وحداً اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .
- (٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .
- (٧) السبب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبب » ، والوجه مأثبت من مب ، والديوان .
- (٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمين : حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوقت .
- (٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كُلِّ أَدْفَى مَيْسَانَ الْمَنْكِبِ (١) يَشْبُ فِي الْقَوْدِ شَبَابَ الْمُقْرَبِ (٢)
يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بِجِدِّ الْمَخْلَبِ (٣) فَمَا تَنِي وَشَيْقَةَ مِنْ أَرْنَبِ (٤)

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار، فالمراد به أنه معوج الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد في النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس
بأحجن الخطم كنى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدة تأخيرا *

ورواية العسكري فى ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : « أخسدى » ، وهى تصحيف « أخسدى » بمعنى المسترخى الأذن . والمليسان : المتبختر . قال العسكري :
أى من سعة جلده يمس منكبته . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستبان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعاني .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالآخر فى الديوان وديوان المعاني . والقود : نقيض السزق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعاني . والمقرب : الكرم من الخيل ، يشد لكرمه يقرب البيوت . وهو فيما عدا مب : « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين .

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعاني والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فانيون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماغدا مب : « فائى » ، والوجه ما أثبت من مب ، والديوان . والشقيقة : لحم يقدد حتى يبيس ، أو يغلى بإغلاء ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبقى قديداً . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجلدة مسلوبة^(١) من ثعلب^(٢) مقلوبة الفروة أو لم تقلب^(٣)
وعير عانات^(٤) وأم التولب^(٥) ومرجل يهدر هذر المصعب^(٦)

[يقذف جالاهُ بجوز القرهب^(٥)]

(صفة ما يستدل به على فراهية الكلاب وشياتها وسياستها)

قال بعض من خبر ذلك^(٦) : إنَّ طول ما بين يدي الكلب ورجليه -
بعد أن يكون قصير الظهر - من علامة السرعة .

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو في سائر النسخ .

(٢) في الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الرويتين ، وهما يؤديان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن
رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشي . والعانات : جماعات الخمر الوحشية . وفي الأصل : « وجحش
عانات » ، والجحش : الصغير من الخمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول
عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذي يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه
ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ في رؤساء الحيوان .
وقد جاءت الرواية على الصواب الذي أثبتته في ديوان أبي نواس . و « أم التولب »
هي الأتان : أنثى الحمار الوحشي ، والتولب ولدها . وفي الأصل : « لأم
التولب » ، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه .
والمصعب : الفعل من الإبل .

(٥) التكملة من مب ، وليست في الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط .
والقرهب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) مب : « غير » ، وفي سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأن يكونَ صَغِيرَ الرَّأْسِ ، طَوِيلَ العُنُقِ غَلِيظَهَا (١) ،
وَأَن يُشْبِهَ بَعْضُ خَلْقِهِ بَعْضًا ، وَأَن يَكُونَ أَعْضَفَ [الأذنين] (٢) مُفْرِطًا
الغَضَفَ ، وَيَكُونَ بَعِيدًا مَا بَيْنَهُمَا (٣) ، وَيَكُونَ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ ، طَوِيلَ
المُقْلَتَيْنِ (٤) ، نَاتِيًا الحَدَقَةَ (٥) ، طَوِيلَ الخَطْمِ (٦) ، وَاسِعَ الشَّدَقَيْنِ ، نَاتِيًا
الجَبْهَةَ عَرِيضَهَا ، وَأَن يَكُونَ الشَّعْرُ الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ كَأَنَّهُ طَاقَةٌ (٧) وَيَكُونَ
غَلِيظًا ، وَكَذَلِكَ شَعْرُ خَدَّيْهِ ، وَيَكُونَ قَصِيرَ اليَدَيْنِ ، طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ
إِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَسْرَعَ فِي الصَّعُودِ بِمَنْزِلَةِ الأَرْنَبِ . ١٦

قالوا : وَلَا يَكَادُ يَلْحَقُ الأَرْنَبَ فِي الصَّعُودِ ، إِلَّا كَلَّ كَلْبٌ قَصِيرَ
اليَدَيْنِ ، طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ .

وَيَنْبَغِي أَن يَكُونَ طَوِيلَ الصَّدْرِ غَلِيظًا ، وَيَكُونَ مَا يَلِي الأَرْضَ مِنْ
صَدْرِهِ عَرِيضًا ، وَأَن يَكُونَ غَلِيظَ العَضُدَيْنِ ، مُسْتَقِيمَ اليَدَيْنِ ، مُضْمُومَ
الأَصْبَاعِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، إِذَا (٨) مَشَى أَوْ عَدَا ، وَهُوَ أَجْدَرُ أَلَّا يَصِيرَ
بَيْنَهَا مِنَ الطَّيْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَفْسُدُهَا (٩) ، وَيَكُونَ ذِكِّيَّ الفؤَادِ نَشِيطًا ؛
وَيَكُونَ عَرِيضَ الظَّهْرِ ، عَرِيضًا مَا بَيْنَ مَفَاصِلِ عِظَامِهِ ، عَرِيضًا مَا بَيْنَ

(١) فِي الأَصْلِ : « غَلِيظُهُمَا » وَصَوَابُهُ مِنْ عِيُونِ الأَخْبَارِ (٢ : ٨٠) .

(٢) كَلِمَةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الكَلَامُ . وَالأَعْضَفُ : المُسْتَرَخِي الأُذُنِ .

(٣) وَذَلِكَ بِأَن يَكُونَ عَرِيضَ الجَبْهَةِ . وَانظُرْ نِهَآةَ الأَرَبِ (٩ : ٢٦٠) .

(٤) المُقْلَةُ : شَحْمَةُ العَيْنِ الَّتِي تَجْمَعُ البَيَاضَ وَالسَّوَادَ .

(٥) الحَدَقَةُ : سَوَادُ العَيْنِ .

(٦) الخَطْمُ : مُقَدَّمُ النَّمِ وَالأنْفِ .

(٧) الطَّاقَةُ : الخِزْمَةُ مِنَ الرِّيحَانِ وَنَحْوِهِ . وَفِي عِيُونِ الأَخْبَارِ : « وَأَن يَكُونَ الشَّعْرُ
الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ طَاقَةٌ » .

(٨) فِي الأَصْلِ : « وَإِذَا » .

(٩) فِي ط : « أَوْ هَوَى جَدْرَانَا لَا يَصِيرُ » الخ ، وَالصَّوَابُ فِي س ، م .

عَظْمَى أَصْلَ الفَخْذَيْنِ اللّٰذَيْنِ يَصِيْبَانِ أَصْلَ الذَّنْبِ ، وَطَوِيلَ الفَخْذَيْنِ غَلِيْظَهُمَا شَدِيْدَ لِحْمِهِمَا ، وَيَكُوْنُ رَزِيْنُ المَحْزَمِ^(١) ، رَقِيْقَ الوَسْطِ طَوِيْلَ الجِلْدَةِ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الفَخْذَيْنِ وَالصَّدْرِ ، وَمُسْتَقِيْمَ الرِّجْلَيْنِ ، وَيَكُوْنُ فِي رَكْبَتِهِ انْحِنَاءٌ^(٢) وَيَصِيْرُ قَصِيْرَ السَّاقِيْنَ دَقِيْقَهُمَا ، كَأَمَّهُمَا خَشْبَةٌ مِنْ صَلَابَتِهِمَا .

وَلَيْسَ يُكْرَهُ أَنْ تَكُوْنَ الإِنَاثُ طَوَالَ الأَذْنَآبِ . وَيَكْرَهُ ذَلِكَ لِلذَّكُوْرِ . وَلِيْنُ شَعْرُهُمَا يَدُلُّ عَلَى القُوَّةِ .

وَقدَ يَرْغَبُ ذَلِكَ فِي جَمِيْعِ الجَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الأَرْبَعِ ، مِنْ لِيْنِ الرِّيشِ أَذْوَاتِ الرِّيشِ .

وَلِيْنُ الشَّعْرِ لِذَوَاتِ الشَّعْرِ مِنْ عِتَاقِ الخَيْلِ عِلَامَةٌ صَالِحَةٌ .

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ الكَلْبُ شَدِيْدَ المَنَازَعَةِ لِلْمِقْوَدِ وَالسَّلْسِلَةِ ، وَأَنْ يَكُوْنَ العِظْمُ الَّذِي يَلِي الجُنْبَيْنِ مِنْ عِظَامِ الجُنْبَيْنِ صَغِيْرًا فِي قَدْرِ ثَلَاثِ أَصَابِعِ .

وَزَعَمَ أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْنَ : إِنَّ السُّوْدَ مِنْهَا أَقْدُهُمَا صَبْرًا عَلَى البَرْدِ وَالحَرِّ ، وَإِنَّ البِيضَ أَفْرَهُ إِذَا كُنَّ سُوْدَ العِيُوْنَ .

قَالَ : وَمِنْ عِلَامَةِ الفَرِّهِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ ، أَنْ يَكُوْنَ عَلَى سَاقِيْهِ

(١) المَحْزَمُ : مَوْضِعُ الحِزَامِ مِنَ الدَّابَّةِ . وَهِيَ فِي الأَصْلِ : « المَحْمَلُ » وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ .

وَالرِّزِيْنُ : التَّقْيِيْلُ .

وَعترة بن شداد قد جعل هذه الصفة أيضا من نعت الفرس الجيد ، قال في معلقته :

وحشيتي سرج على عبل الشوى نهد مراكله نبيل المحزم

(٢) فِي ط ، م : « وَلَا يَكُوْنُ فِي رَكْبَتِهِ إِغْنَاءٌ » ، وَفِي س : « وَلَا يَكُوْنُ فِي رَكْبَتِهِ

انْحِنَاءٌ » ، وَأَصْلُحَتِ العِبَارَةُ بِمَا تَرَى مِنْ عِيُوْنَ الأَخْبَارِ (٢ : ٨١) .

أو على إحداهما^(١) أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغي أن يُقَطَّع من السَّاقين ،
ثلاثاً يَمْنَعُهُ^(٢) من العدو .

(خَيْرُ غِذَاءٍ لِلْكَلْبِ)

وذكر أن خير الأشياء التي تُطْعَمُهَا الكلب^(٣) الخبزُ الذي قد يَبْسُ ،
ويكونُ الماءُ الذي يُسْقَاهُ يُصَبُّ عليه شيءٌ من زيت ، فإنَّ ذلكَ كَالقَتِّ^(٤)
المخض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُّه .

(خَيْرُ طَعَامٍ لِإِسْمَانَ الْكِلَابِ)

وقال : خير الطعام في إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ
بشرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرُ
ثلاثِ سُكَّرَجَاتٍ^(٥) مرتين أو ثلاثَ مرَّاتٍ فإنَّ ذلكَ مما يسمُّنه ، ويقالُ إنَّهُ

(١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) في ط : « ما يمنعه » وفي س ، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذي
يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) في الأصل : « تطعمه الكلاب » .

(٤) في اللسان والقاموس : « القت الفصنصة » . وقد رجعت في تفسير « الفصنصة »
إلى تذكرة داود الطيب فوجدته يقول : إنها تعرف في مصر بالبرسيم هـ . وفي ط :
« كالقت » وهو تحريف صوابه في س .

(٥) قال الخفاجي في شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء
المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الحل »
وفي اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ،
وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافي (في مبادئه
اللغة ٥٧) اسماً عربياً هو « المصينة » التي يجعل فيها الصمغ بالكسر ،
أي الإدام .

يُعِيدُ أَهْرَمَ شَابًا ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ فِي الصَّيْدِ وَفِي الْمَنْظَرِ . وَالْعَظْمُ وَالْأَثَرُ يُعِيدُ مَا أَرَدْنَا مَا تَأْكُلُهُ لِلْعَدُوِّ .

(من علاج الكلب)

وَمَا يَكُونُ غِذَاءً وَمِنْ خَيْرِ شَيْءٍ يَدَاوِي بِهِ الْكَلْبُ مِنْ وَجَعِ الْبَطْنِ
وَالدَّيْدَانِ ، أَنْ يُطْعَمَ قِطْعَةً أَلْبِيَّةٍ وَصُوفَ شَاةٍ مَعْجُونًا بِسَمْنِ الْبَقْرِ ، فَإِنَّهُ ١٧
يُلْقِي كُلَّ دُودٍ وَقَذَرٍ فِي بَطْنِهِ .

وخير ما يعالج به الحفأ^(١) أن يُدَهَّنَ أَسْتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَيُجَمَّ فِيهَا
وَلَا يَسْتَعْمَلُ ؛ أَوْ يَمْسَحَ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ الْقَطِرَانَ .

وَذُكِرَ عَنْ خَزِيمَةَ بْنِ طَرْحَانَ الْأَسَدِيِّ ، مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ^(٢) ، أَنَّهُ
قَالَ : لَيْسَ مِنْ عِلَاجِ الْكَلْبِ خَيْرٍ مِنْ أَنْ يُنْحَقَنَّ .

(كَدِي ، وَأَكْدِي ، وَالْكُدْيَةُ)

وقال : يقال كَدِي الجُرُوءُ يَكْدِي كَدْيًا^(٣) وهو داءٌ يأخذ الجِراءَ
خَاصَّةً ، يَصِيبُهَا مِنْهُ قِيٌّ وَسَعَالٌ ، حَتَّى تَكُونَ بَيْنَ عَيْنَيْهَا^(٤) . وَيُقَالُ أَكْدِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِلْحَفَا » ، وَفِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨١) : « وَإِذَا حَقَى دَهْتًا اسْتَمَّ »
وَالْحَفَا : رِقَّةُ الْقَدَمِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « هَمْدَانٌ » ، وَهَمْدَانٌ : قَبِيلَةٌ يَمَنِيَّةٌ . وَإِنَّمَا هُوَ « هَمْدَانٌ » بِلَدِّ بَدِيعِ الزَّمَانِ .

(٣) ط : « كَدَاءٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ سٍ وَالْمَخْصَصِ ٨ : ٨٢ .

(٤) مَب : « يَكُورِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

الرجلُ إكداء : إذا لم يظفرَ بجاحته . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاعٌ
في صلابة . ويقال في الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان في أجوافها دُود ، أكلت
سنبِلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأني حشيشة^(١) تعرفها بعينها ، فتأكل
منها فتبرأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أنَّ العقابَ تأكلُ الحياتِ ، وأنَّ بينهما عداوةٌ ؛
لأنَّ الحيةَ أيضاً تطلبُ بيضها وفراخها .

قال : والغداف يقاتل البومة ، لأنَّ الغدافَ يَحْطِفُ بيضَ البومة^(٢)
نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليَّةٌ
بالأرديَّة النظر^(٣) ، وإذا كان اللَّيْلُ لم يَقوَ عليها شيءٌ من الطير .
والطير كلُّها تعرفُ البومةَ بذلك وصنيعها [بالليل^(٤)] ، فهي تطير حولَ
البومة^(٥) وتضربُها وتنتفِ ريشها . ومن أجل ذلك صارَ الصيَّادون
ينصبونها للطير^(٦) .

والغداف يقاتل ابنَ عرسٍ ؛ لأنه يأكل بيضه وفراخه^(٧) .

- (١) هذا ما في مب . وفي سائر النسخ : « أن الكلاب تأني حشيشة » .
- (٢) مب : « والغداف يحطف بيض البومة » فقط .
- (٣) في مب : « البصر » .
- (٤) ط : « وضيعها فإذا رأيته » وتصحيحه من س ، ومب .
- (٥) ط : « حولها البومة » وصوابه في س ، ومب .
- (٦) مب : « ولحصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .
- (٧) هذا الصواب من مب . وفي سائر النسخ : « ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَاةَ والغُدافَ قتالاً ؛ لأنَّ الحِدَاةَ نَحَطَفَ بيضَ الغُدافِ ؛
لأنَّها أشدُّ مَخَالِبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأَطْرُغْلَةَ (١) والشَّقْرَاقَ (٢) قتالاً ؛ لأنَّه يقتل الأَطْرُغْلَةَ (١)
ويُطالِبُها (٣) .

وبين العنكبوت والعظاية (٤) عداوة ، والعظاية تأكل العنكبوت .
وعصفور الشوك يعبثُ بالحمار ، وعبثه ذلك قتال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مرَّ
بالشوك وكانت به دَبْرَةٌ (٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ به ، ولذلك متى نَهَقَ الحمارَ سقطَ
بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتُ (٦)] فراخه تخرج من عشها . ولهذا العلة
يطيرُ العصفورُ وراءَ الحمارِ وينقرُ رأسه .

وَأَلذنبُ مخالفٌ للشَّورِ والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنَّه يأكل اللحمَ الَّتِيءَ (٧)
ولذلك يقع على البقرِ والحَمِيرِ والثعالِبِ .

(١) الأَطْرُغْلَةُ : اسم يقع على الدبسية ، والقمرية ، والفاخنة المطوقة . انظر القاموس
(الأَطْرُغْلَات) و (صلل) .

(٢) الشَّقْرَاقُ بفتح الشين وكسرهما : طائر صغير يسمى الأخييل ، وهو أخضر مليح
بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفي أجنحته سواد ، والعرب تتشاهم به .
وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفي طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير
الامتغاة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الديمري .

(٣) في الأصل : « يطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً ، تشبه سام أبرص ، إلا أنها
أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض . الديمري .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعر ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر
وأشجار . وهي في ط : « بدرة » ، وصوابها في س . وانظر نهاية الأرب

١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) في الأصل : « الئ » ، وإنما هو « الئ » .

وبين الثعالبِ والزُّرْقِ^(١) خلافٌ لهذه العلة ؛ لأتّهما جميعاً
ياكلان اللحم .

والغراب يُخالف الثورَ ؛ ويُخالف الحمارَ جميعاً ، ويطير حولهما ، وربما
نَقَرَ عيونهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لَا زَلْتَ فِي تَبَابِ عَدَاوَةِ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ
ولا أعرف هذا من قول صاحب المنطِقِ ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِيَ مِنْ
بينِ أحرارِ الطيرِ وجوارِحها الزُّرْقَ وحده ، وغيرُ الزُّرْقِ آكلُ اللحمِ . وإن
كان سببُ عداوته له اجتماعهُما على أكلِ اللحمِ ، فليُبغِضِ العقابَ من
الطيرِ ، وألذُّبَ من ذوات الأربَعِ ؛ فإنّها آكلُ اللحمِ . والثعلبُ إلى أنْ
يحسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولى في القياس^(٢) ، فلو زعم أنه يعمُّ أكلةَ
اللحمِ بالعداوة ، حتّى يُعطى الزُّرْقُ من ذلك نصيبه ، كان ذلك أجوزَ^(٣) .
ولعلَّ المترجم قد أساء في الإخبار عنه .

قال : والحية تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتل ابنَ عرسٍ ، وإتّما تقاتلُ
ابنَ عرسٍ إذ كان مأواهما في بيتٍ واحدٍ ، [وتقاتلُ الخنزيرُ]^(٤) لأنَّ
الخنزيرَ يأكلُ الحياتِ . ويزعمون أنَّ ألدَى يأكلُ الحياتِ القنافذُ ،
والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعقبانُ .

قال : فالحيّة تعرف هذا من الخنزيرِ ، فهى تُطالبه .

(١) الزرق ، كسكركر : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق .

(٢) في الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ما هو أقرب وذلك أولى في القياس » ، وقد
عدلت القول وأكلمته بما ترى .

(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب في س .

(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثعلب ، والثعلبُ مصادقٌ للحية^(١) ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفيلة اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهي تستعمل الأنيابَ إذا قاتل بعضها بعضاً ، وتعتمد بها على الحيطان فتهدمها ، وترحم النخلة بجنبها فتصرعها .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعّب من ذكورتها شيء احتالوا له حتى يكومه^(٢) [ذكر] آخر ، فإذا كامه خضع أبداً . وإذا اشتد خلقه وصعب عصبوا رجليه فسكن .
ويقال إن البعير إذا صعّب وخافه القوم ، استعانوا عليه فأبركوه^(٣) وعقلوه حتى يكومه فحل آخر ، فإذا فعل ذلك به ذل !

(الفيل والسنور)

وأما أصحابنا فحكوا وجوه العداوة التي بين الفيل والسنور - وهذا أعجب - وذهبوا إلى فزع الفيل من السنور ، ولم يروه يفزع مما هو أشد وأضخم . وهذا الباب على خلاف الأول ؛ كأن أكثر ذلك الباب بُني على عداوة الأكلفاء .

(١) ماعدا مب : « الثعلب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يمتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكلمة بعده من مباء .

(٣) في الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئبِ أشدُّ فرَاقاً منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أن
الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يعتريه من الشاهين ما لا يعتريه من العقاب
والبازي والصقر .

(أعداء الفأرة)

وكذلك الفأرة من السنور ، وقد يأكلها ابنُ عرس . وأكثر ذلك
[أن ^(١)] يقتلها ولا يأكلها . وهي من السنورِ أشدُّ فرَاقاً .

(الثعلب والدجاج)

والدجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبَةً شديدة ، ١٩
ولو أن دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصانِ شجرةٍ شاهقة ، ثم مرَّ
تحتها كلُّ صنفٍ مما يأكلها ، فإنها تكونُ مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصانِ
التي [هي] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهنَّ ألفٌ ، لم تبتقِ واحدةً منهنَّ
إلا رمتُ بنفسها إليه ^(٢) .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسياتي في ٦ : ٣٧٦ .

(ما يأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لا يأكل الحارَّ ، والسِّنور لا يذوقُ الحموضة ، ويَجزَع من الطَّعام الحارَّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلِّ ما أشبه فيه الكلبُ الأسودَ والإنسان ؛ وبشيءٍ من صفات العظال (١) .

قال صاحب المنطق (في كتابه الذى يقال له الحيوان ، فى موضعٍ ذَكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأسدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثارِ مخالبه فى أقدار شرط الحجَّام أو أزيدَ قليلاً ، إلاَّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرزاً ، كأنَّ الجلدَ ينضمُّ على سمِّ مخالبه (٢) ، فيأكل ما هنالك . فأما عَضَّتُه فإنَّ دوائها دواءُ عَضَّةِ الكلب .

قال : ومما أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . ومما أشبهَ فيه الكلبُ الأسدَ النَّهْمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويمضغُ مضغاً متداركاً ، ويتلعَّبُ البضْعَ الكبار (٣) ، من حاقِّ الرغبة (٤) ومن الحرص ،

(١) العظال : الملازمة فى السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضغ بالفتح ، وكمنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضمة بالفتح وقد تكسر ، وهى القطعة من اللحم .

(٤) حاقِّ الرغبة : شدتها وصدقها . وفى ط : « خاق » ، وصوابها فى س .

وكالذى يخاف الفوت . ولما نازع السنور من شبّهه^(١) صار إذا ألقيت له قطعة لحم فإمّا أن يحملها أو يأكلها حيث لا تراه ؛ وإمّا أن يأكلها وهو يكثر التلقت ، وإن لم يكن بحضرته سنور ينازعه . والكاب يعصّ على العظم إرضه ، فإن مانعه شيء وكان مما يُسيغه ، ابتلعه وهو واثق بأنّه يستمريه ويُسيغه .

والنهم يعرض للحيات ، والحية لاتمضغ ، وإنما تبتلع ذوات الرّاسات^(٢) ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضغ المضغة والمضغتين^٣ . وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتت عوداً شاخصاً فالتوت عليه ، فحطمت العظم . والحية قويّة جداً .

قال : والأسد وإن كان ممّا لا يفارق الغياض [و]^(٣) لا يفارق الماء فإنّه قليل الشرب للماء ، وليس يُلقى رجعه إلا مرة فى اليوم ، وربّما كان فى اليومين والثلاثة . ورجعه يابس شديد اليُبس متعلّق ، شبيه برجيع الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بالاً شغراً^(٤) .

والكلب من أسماء الأسد ، لقراية ما بينه وبين الكلب .
والكلب يُشبه الخنزير ، فإنّ الخنزير يسمّن فى أسبوع ، وإن جاع أياماً ثم شبع شبةً تبين ذلك تبيناً ظاهراً . ألا تراه ينزع إلى محاسن الحيوان ، ويُشبهه أشرف السباع وكرائم البهائم !؟

(١) ط : « شبه » ، وأثبت ما فى س . والمعنى يصح بكل منهما .
(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رموس وأرؤس .
(٣) زدتها ليستقيم الكلام .
(٤) شغر : رفع إحدى رجليه .

(عظام الكلاب)

٢٠ ويقال : ليس في الأرض فحلاً من جميع أجناس الحيوان لِذَكَرِهِ حَجْمٌ ظاهر إلا الإنسان والكلب . وليس في الأرض شيئان يتشابهان من فرط إرادة كل واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضو الذكر بعضو الأنثى حتى يصير التحامهما التحام الخلقة والبنية ، لا كالتحام الملامسة والملازمة^(١) ، إلا كما يُوجد [من^(٢)] التحام قضيب الكلب بثفر^(٣) الكلبة .

وقد يلزق القراد ، ويغمس العلس^(٤) مقاديمه في جوف اللحم ، حتى يرى صاحب القراد كأنه [صاحب] ثؤلول^(٥) . وما القراد المضروبُ به المثلُ في الالتحام إلا دون التحام الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل للمتباضعين بالسيوف ، والمتتقيين للصراع ، فالتف بعضهم ببعض ، قالوا :

(١) في الأصل : « كالتحام الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) في الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهي في الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الخلق والأورام الدموية . كذا قال الدميري . قلت : ولا يزال كثير من العامة بمصر في زمننا هذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بئر صغير صلب مستدير على صور شقي . وفي الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لا يصيب الناس ، وهو موكل بالإبل .

وانظر القول في ولوعها بالإبل في الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكلاب المتعاطلة^(١) . وليس هذا النوع من السفاد إلا للكلاب .
وزعم^(٢) صاحب المنطق وغيره ، أن الذباب في ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية موييس بن عمران)

وكان إسماعيل بن غزوان^(٣) قد تعشق جارية كانت لموييس بن
عمران^(٤) ، وكانت إذا وقعت وقعة إليه لم تمكث عنده إلا بقدر ما يقع
عليها ، فإذا فرغ ليست خضفها وطارت ، وكان إسماعيل يشتهي المعاودة

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالي ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمي بذلك لركوب
الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعي : ركب فيه الثلاثة والاثنا الدابة الواحدة .
وقيل : سمي بذلك لأنه تعاطل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهاني بن قبيصة ،
ومفروق بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) في الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا من ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » ، وكثيرا
ما يقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكا شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ،
فن ذلك قوله للأصمعي : « تنعمم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب
الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بجز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ،
وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز
عن مصلحة العيال ، فتلك لذتك وهذه لذتنا » . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه :
« لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف
بحسن الفهم وجودة الاستماع . (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) موييس بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج بالبخل ، وهو
من معاصري الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه
على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويبيته تهية من
لا يريد أن يمسه . وكيف يجسرى الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض
ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح
ولم يجعل دونه الجسن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاه إليه
نهبيا » . البخلاء ٥٨ . وفي الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « موييس »
كما في ستة مواضع من البخلاء ، وكما في القاموس . وكان موييس من المتكلمين .

وَأَنْ يُطِيلَ الْحَدِيثَ ، وَيُرِيدُ الْقَرِصَ وَالشَّمَّ وَالتَّقْبِيلَ وَالتَّجْرِيدَ ، وَيَعْلَمُ (١)
أَنَّهُ فِي الْكَوْمِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ أَجْدَرُ أَنْ يُنْظَرَ (٢) ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَشْتَفَى .
فَكَانَ رَبِّمَا ضَجِرَ وَيَذْكُرُهَا بِقَلْبِهِ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ ، فيقول : يَا رَبُّ امسْخِنِي
وَإِيَّاهَا كَلْبَيْنِ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ (٣) ، حَتَّى يَشْغَلَهَا الْإِلْتِحَامُ عَنِ التَّفَكِيرِ
فِي غَضَبِ مَوْلَاتِهَا إِنْ احْتَبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وفي الكلبة أعجوبة أخرى : وذلك أَنَّهُ يَسْفِدُهَا كَلْبٌ أَبْقَعُ وَكَلْبٌ
أَسْوَدٌ وَكَلْبٌ أَيْضٌ وَكَلْبٌ أَصْفَرٌ ، فَتَوَدَّى إِلَى كُلِّ سَافِدٍ شِكْلَهُ وَشَبِهُهُ ،
فِي أَكْثَرِ مَا يَكُونُ ذَلِكَ .

(تأويل الظالع في شعر الخطيئة)

وَأَمَّا تَأْوِيلُ (الظالع) فِي قَوْلِ الْخَطِيئَةِ :

تَسْدِيئُهَا مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ ظَالِعٌ أَلْ كَلَابِ وَأَخْبَى نَارَهُ كُلُّ مُوقِدٍ (٤)

(١) فِي ط ، س : « وَلِيَعْلَمَ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ م .

(٢) هُوَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، مِنْ أَنْظَرَهُ بِمَعْنَى أَمْهَلَهُ . وَهُوَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَطَاوِلَةَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَالنَّهَارِ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٤) تَسْدَاهَا : عَلاهَا . وَلَمْ أَجِدْ هَذَا الْبَيْتَ فِي دِيْوَانِ الْخَطِيئَةِ بِرَوَايَةِ السُّكْرِيِّ ، وَهُوَ

فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ ١ : ٢٤ بِرَوَايَةِ : « أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَ . . . » . وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ :

« يَضْرِبُ مِثْلًا فِي تَأْخِيرِ قَضَاءِ الْحَاجِسَةِ » . وَالرُّوَايَةُ فِي اللِّسَانِ (ظَلْع) :

« تَسْدِيئَتُنَا » بِنَاءِ الْمُخَاطَبِ ، وَقَالَ : « يَخَاطَبُ خِيَالَ امْرَأَةِ طَرَقَهُ » .

قال الأصمعيّ : يظَلَعُ الكلبُ لبعض ما يعرض للكلاب ، فلا يمنعه ذلك من أن يهيجَ في زمن هَيْجِ الكلاب ، فإذا رأى السكلبة المستحرمة^(١) لم يطمع في معاظمتها والكلابُ منبهةٌ تنبَحُ ، فَلَا يَزَالُ يَنْتَظِرُ^(٢) وقتَ فِترَةِ الكلابِ ونومها ، وذلك من آخر الليل .

وقال أحيحة بن الجلاح^(٣) :

[ياليتني ليلةٌ إذا هجع النَّاسُ ونام الكلابُ صاحبُها]^(٤)

(طردية ثامنة لأبي نواس)

ومما قيل في الكلاب من الرجز [قول أبي نواس^(٥)] :

(١) استحرمت السكلبة : اشتمت .

(٢) في الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ما أثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لثيء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع يبيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما في الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغاني ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبتته اعتمادا على ما في الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغاني (١٣ : ١١٥) . والعبارة في الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل في الكلاب من الرجز » !!

(٥) زيادة يقتضها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبي نواس مرويتين في ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهاني .

- ٢١ مِنْ الرَّقَاشِيِّينَ فِي أَعْلَى الْعُلَا (١)
 بِأَتُوا يَسِيرُونَ إِلَى صُوحِ اللُّوَى (٢)
 إِلَّا غَشَّاشًا بَعْدَ مَا طَالَ السُّرَى (٣)
 حَتَّى إِذَا مَا كَوَّكَبُ الصُّبْحِ بَدَأَ (٤)
 ثَلَاثَةَ يَقْطَعْنَ حَزَانَ الصَّوَى (٥)

(١) قال أبو الفرج في الأغاني ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل » . ويدور في الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغاني ١٥ : ٣٤ . وقد لجج الهجاء بينه وبين أبي نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ - ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والخلاء ١٩١ . وفي هجوه أبي نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المشعل فقيل « قدر الرقاشي » . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبي نواس من شأن الرقاشيين في هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لا يكاد أحد من اصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشي هذا كان من خطلائه ونداماه ، كما في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ .

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهي الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : ما التوى من الرمل . وفي س ، م :

* باتوا بعيان إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) ماجواها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون ذلك شبيه الموج ، أو لعل صواها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة في مثل هذا الموضع : قال في طردية له سبقت في هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال في طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال في غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب في دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسهه بالثلاثة في البيت بعده . وفي اللسان : وتحمسى الرجالان : تلاعبا بازواج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكيت ورؤية .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرهما : جمع حزير ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

- رحبية الأشداقِ غَضْفٍ فِي دَفَاً (١) تَلَوَى بِأَذْنَابِ قَلِيلَاتِ اللَّحَا (٢)
سَمَمَعَاتِ الضَّمْرِ مِنْ طُولِ الطَّوَى (٣) مِنْ كُلِّ مَضْبُورِ الْقَرَا عَارَى النَّسَا (٤)
مَحَلِّجِ الْمَتْنَيْنِ مَنَحُوضِ الشَّوَى (٥) شَرَنْبَثِ الْبُرْثَنِ خَفَاقِ الْحَشَا (٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزير به فدفنناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفي ط :
« تقلص حزان الصوى » . وقلص في جميع صورته واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصوابه
ما أثبت من س ، ومب .

(١) رحيبية : واسعة ، وفي ط ، م : « وحيبية » وفي س : « رحيبية » تحريف
ما أثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل :
« عصف » ، صوابه فى مب . والدقا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد
أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجهة . وهى فى الأصل : « رقا » ، وفى مب : « رفا »
ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :
* أذنى ترى فى شدقه تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنانها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا ما يحيط
بعضم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعم : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان
العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :
مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضم
مغرثة : مجموعة . وقال عيدة بن الطيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضوارى أشباها مجموعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العتق إلى علوة الذنب .
والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا
هزلت الدابة ماجت فخذها فخفى ، وإذا سمت انفلقت فخذها فجرى بينهما واستبان
كأنه حية . ومثل ذلك فى الاسان عن الأصمى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الغليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر
البطن .

- تخالُ منه القصَّ من غير جنأ (١) مَسَدَّتَا صَفْوَاءَ فِي حَيْدِي صَفَا (٢)
 يلتهب الغائطُ مِنْهُ إن عدا (٣) يُقَادِحُ المَرَوَ وَشَدَّانَ الحِصَا (٤)
 حتَّى إِذَا اسْتَسْحَرَ فِي رَأْدِ الضُّحَى (٥) بِمَرَبَا أَوْفَى بِهِ عَلَى الرَّبَا (٦)
 أَرَانِبًا مِنْ دُونِهَا سِرْبًا ظِبَا (٧) نَوَاشِرًا مِنْ أُنْسٍ إِلَى خَلَا (٨)

- (١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .
 (٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفي سائر النسخ : « مسنة » والوجه مأثبات من الجمع بينهما . الصفواء : الملساء . وهي فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب في صلابته وملاسته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس في تشبيهه مستن فرسه بالصفواء ، إذ يقول في معلقته :
 كيت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل
 ماعدا مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل .
 والصفاء : الحجارة الملساء .
 (٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هي في ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفي س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .
 (٤) المرو : حجارة بيض براقه تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أي يجعل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطير منه . ولأحمد بن زياد بن أبي كريمة في مثل هذا المعنى :
 إذا اقرشت خبتنا أثارته بمته عجاجا وبالكدان نار الحباب
 وقول أبي نواس أشرف وأقوى .
 (٥) ماعدا مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .
 (٦) المربا : المرقب . والربوطة : ما ارتفع من الأرض ، جمها « ربا » . وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت في الأصل محرف ، فهو في ط :
 * مر بأوفى علم به الربا *
 وفي س ، م : « بمرباً أوفى به على الربا » ، صوابه في سائر النسخ .
 (٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .
 (٨) نثر من المكان : خرج منه . وفي ط ، م : « نواشطا » . والوجه فيه ما كتبت .
 وفي مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ، أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ، عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ما حسبه مأمناً له .

فَوْضَى يُدْعَرْنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا (١) لَعَلْنَ وَاسْتَلْهِنَّ مِنْ غَيْرِ ظَا (٢)
 مَبَالِغَاتٍ فِي نَهْمٍ وَصَايَ (٣) كَأَنَّهَا أَعْيُنُهَا جَمْرُ الْغَضَى (٤)
 ثُمَّ تَطْلَعْنَ مَعًا كَالْبَرْقِ لَا فِي الْأَرْضِ يَهْوِينَ وَلَا لَوْحَ الْهَوَا (٥)
 كَأَنَّهَا فِي شَرْطِهَا لَمَّا انْبَرَى (٦) كَوَاكِبٌ يُرْمَى الشَّيَاطِينَ بِهَا

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثن : يهدمن ويفسدن .
 وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهي مجثم القطة تضع فيه بيضها ، يكون في
 السراب ، سمي بذلك ، لأنها تفحصه أي تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطة ،
 قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجتها ، فعل الظمان ، وما بها
 من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتها في الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفي اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والخنزير ،
 والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا - أي بفتح
 الصاد وكسرهما مع تشديد الياء - وتصأى أي صاح » وزاد في القاموس صئيا
 بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمل . وجره - أي ناره - بطيئة
 الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة
 في سواد العين . أما نعتها بالحمرة ، كما في هذا البيت ، وكما في قول
 امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عخرس
 ونوارالعخرس أحر قاني . وكما في قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة :

تدير عيوننا ركبت في براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنايب
 وقول أبي نواس أيضاً :

كأنتما يطرف من بين الهدب بجمرق نار بكف محتضب

فليس يتناق مع وصفها بالزرقة ، وإنما تلك الحمرة في بياض العين لاني سوادها
 وتزداد الحمرة وتشدد حينما يهاج الكلب ويغرى بالصيد .

(٥) في ط : « في أرض هوني » وصوابه في س ، م ، مب . وفي اللسان : « اللوح
 بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحياني : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه
 الفتح غيره » . جعلها في عدوها كأنها تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هي
 تمس أديم الأرض ، ولا هي تعلق في الجو ، يخيل ذلك للناظر من شدة سرعتها
 وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) في ط ، م : « من شرطها » ، صوابه في ش ، ومب .

يَذْمَرْنَ بِالْإِسَادِ ذَمْرًا وَأَيًّا^(١) حتى إذا ماكنَّ منهنَّ كهأ^(٢)
 دارتُ عليهنَّ من الموتِ رَحَى تجذهنَّ بجديداتِ الشِّبَا^(٣)
 شَوَامِدُ يَلْعَطُنَ مَعْبُوطِ الدِّمَا^(٤) بين خليع الزَّورِ مَرضُوضِ الصَّلَا^(٥)
 وبينَ مَفْرَى النِّيَاطِ قد شَصَا^(٦) كأنه مبتهلٌ إذا دَعَا

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يذمرن » ، وهو تحريف .
 والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفي ط : « بالإيسار » وهي على الصواب
 في س ، م ، ب . و « ذمرا » هي في الأصل : « زمرا » وصوابه ما أثبت .
 و « أيا » كلمة يزجر بها . وفي مب : « من مرابوبا » .

(٢) « كهأ » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر
 سيوييه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومخدين » .

(٤) شوامد : رافعات أذناها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة
 في ط برسم « نوامد » ؛ وفي مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه في
 س ، م . و « يلعطن » من اللط وهو اللحم ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه
 الكلمة ؛ إلا ما يفهم من عبارة القاموس في مادة (لعتط) قال : « وكقعد : كل
 مكان يلعظ نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور
 والفيروزبدي بأنه اللحم . وهي في ط ، م : « يطلعن » وفي مب : « ينطقن »
 ولا وجه له ؛ والوجه ما أثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ما ارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام
 الصدر حيث اجتمعت . وفي جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفي مب :
 « حريق الروق » . وأبو نواس في طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب - والعجب
 أصل الذنب . والصلا المذكور في البيت : مكتنفا الذنب - قال أبو نواس :
 حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مفرى » محرقة . والنياط : القلب ؛ أو العرق
 من العزوق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفي ط ، م :
 « فلسطا » ، وفي س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ما أثبت من مب .

ومائلِ الْفَوْدَيْنِ مجلوزِ الْقَفَا (١) يُقْفَيْنَ بِالْأَكْبَادِ مِنْهَا وَالْكَلَى (٢)

* وبالقلوبِ وَكَرَادِيسِ الطُّلَى (٣) *

٢٢

(طردية تاسمة لأبي نواس)

وقال أيضاً :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ وَاوْعَدَلَّ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ
خَرَطَهُ الْقَانِصُ وَاغْتَدَى بِهِ (٤) فِي مِقْوَدٍ يَرْدَعُ مِنْ جَذَابِهِ (٥)
يَعْزُهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ (٦) وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِيبَابِهِ
كَأَنَّمَا يَفْتَرُّ مِنْ أَنْيَابِهِ عَنْ مَرْهَفَاتِ السَّنِّ مِنْ حِرَابِهِ (٧)
يَرْتُمُ أَنْفَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ (٨) حَتَّى إِذَا أُشْرَفَ مِنْ حِدَابِهِ (٩)

-
- (١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطلى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزع .
و « القفا » هى فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفى مب : « مخلوق القفا » .
- (٢) يقفين ، من قوطم : أفضاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفى ط :
« يعقر » ، صوابها فى مب .
- (٣) الكردوس ، بضم الكاف والذال : كل عظيمين التقياء فى مفصل . وفى س ، م :
« كواديس » محرفة صوابها فى ط ، مب . والطفى : جمع طلية بالضم ، إوهى
العق أو أصلها .
- (٤) خرطه : أرسله .
- (٥) جذابه : جذبه . وفى الأصل : « جذابه » ؛ والوجه ما أثبت .
- (٦) سبق شرح هذا البيت وما بعده فى ص ٤٠ من هذا الجزء .
- (٧) عنى بالمرهف العيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف .
ط ، م : « من جرابه » صوابه فى ش ، ومب .
- (٨) رتم أنفه : كسره ؛ وعن أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .
- (٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحدايب بالكسر ، والأحدايب كذلك :
جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

- بعد انحدار الطَّرْفِ وانقلابه بروضة القاعِ إلى أعجابه (١)
 أرسله كالسهمِ إذْ غالى به (٢) يكادُ أن ينسلَّ من إهابه (٣)
 كلمعانِ البرقِ في سحابه حتى إذا ما كادَ أو حدَّاه (٤)
 وانصت للصوتِ الذي يُدعى به (٥) كأنما أدمجَ في خضابه (٦)
 ما بين لحْيَيْه إلى أقرابه (٧) مشهَرُ الغدوِّ في إياه (٨)

- (١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع :
 الموضع الذي يجتمع إليه الماء فيكثر نبتة . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ،
 مفردة عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضة » ،
 والصواب فى س ، ومب .
 (٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

- يقال غلا بالسهم ، وغلاه ، وغالى به ، رى به أبعد ما يقدر عليه .
 فالروايتان صحيحتان .
 (٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول
 ذى الرمة :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تسكاد تقرى عنهما الأهب
 وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمه يكاد يفرى جلده عن لحمه

- (٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .
 (٥) انصت للصوت : أجابه . ماعدا مب : « فانصاع » .
 (٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .
 (٧) الأقرب : جمع قرب بالضم وبضميتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى
 مرقا البطن .
 (٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : « مشهَر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشره لأبي نواس)

وقال أيضاً^(١) :

مالبرقُ في ذى عارضٍ لَمَّاحٍ^(٢) ولا انقضاضُ الكوكبِ المنصاح^(٣)
ولا انبتات الدلو بالمتاح^(٤) ولا أنسيابُ الحوتِ بالمنداح^(٥)

(١) هذه الطردية مثبتة في ديوان أبي نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهي :

قد أغتدى في فلق الإصباح
بمطعم يوجر في سراح
مؤيد بالنصر والنجاح
غذته أطاراً من اللقاح
فهو كمش ذرب السلاح
لا يسأم الدهر من الضباح
منجد يأسر للصباح

الكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضحاح : الصباح ، وهو في الأصل للثعلب . والمنجد والمنجد أيضاً : المحرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأسر للصباح : ينشط عند صباح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع جبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبدل هذا الشطر مع سابقه في مبد :

* إلا انفتاه الحوت بالمنداح *

- حين دنأ من راحة السَّبَّاحِ (١) أجدَّ في السُّرعةِ من سِرِّياحِ (٢)
يَكادُ عِنْدَ تَمَلِّ المِرَّاحِ (٣) إذا سَمَّا الخاتِلُ للأشْباحِ (٤)
يَطِيرُ في الجَوِّ بلا جَنَاحِ (٥) يفتَرُّ عن مِثْلِ شَبِّا الرِّمَّاحِ (٦)
فكَمْ وكمْ ذِي جُدَّةِ لِيَّاحِ (٧) ونازِبِ أَعْفَرَ ذِي طِمَّاحِ (٨)

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد في فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك فى س ، م والتمورية . وفى ط : « السباح » وفى مب : « الممتاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما فى الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوَّابِ المنداحِ

حين دنأ من راحة المَتَّاحِ

- والحوَّابِ المنداحِ : الدلو الواسع .
(٢) سرباح بالكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .
(٣) « يكاد » فيما عدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . وانثل ، بالتحريك : السكر ونشوته . ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالكسر : النشاط والأثر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت من مب ، والديوان .
(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : « أرى الخاتل » وفى مب : « سنا الخاتل » ، وفى الديوان : « سما الخاتل » ولعل الوجه ما أثبت والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .
(٥) الجو : الهواء . مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .
(٦) شبا الرماح : حدودها ، جمع شباة .
(٧) الجدة : الخطة السوداء فى متن الحار . واللياح ، كسحاب وكتاب : الأبيض .
(٨) النازب : غنى به الظبي ، والنازيب : صوته . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حرمة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرا به بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والطماح بالكسر : الجماع .

* غَادِرُهُ مُضْرَجٌ الصَّفَاحِ (١) *

٢٣ باب آخر في الكلب وشأنه

(تفسير بعض ما قيل من الشعر في الكلاب)

قال طُفَيْلُ الغَنَوِيِّ :

أناس إذا ما أنكر الكلبُ أهلهُ حَمَوُ اجارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِعٍ (٢)

يقول : إذا تكفروا في السِّلاحِ لم تَعْرِفُهُمْ كلابُهُمْ .

ولم يَدَعِ جَمِيعُ أَصْحَابِ المَعَارِفِ إِلَّا أَنَّ الكَلْبَ أَشَدُّ ثِبَاتًا (٣) ، وأصدقُ

حِسًّا . وفي ذلك يقول الآخر :

فلا تَرَفَعِي صَوْتًا وَكُوْنِي قَصِيَّةً إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَأَنْكَرَنِي كَلْبِي (٤)

يقول : إِيَّاكَ وَالصُّرَاخَ (٥) إِذَا عَايَنْتِ الجَيْشَ .

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو علي في الأملاني (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله حمو اجارهم من كل شنعاء مضلع

قال أبو علي : « ويروى مضلع » قال : ومضلع : شديدة ، يقال أضلعتي الأمر : إذا اشتد

على وغلبني أه . وقال في اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تثقل الأضلاع

وتكسرهما » . فيظهر أن ما هنا عن س ، م رواية ثالثة في البيت ، وفي ط :

« تطلع » وهي ظاهرة التحريف . و « مطلع » : تجعل صاحبها يطلع : أى

يخرج . وجاء في الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذي لا ينقطع ، إظهار البدع »

فقال ابن الأثير : « ولو روى بالطاء من التطلع : العرج والغمز ، لكان وجها » .

و « الشنعاء » قال أبو علي : هي الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع » . وحسبت أن « ثباتا » محرفة عن « إثباتا » - والإثبات بمعنى

المعرفة - ثم وجدت في القاموس واللسان : « وثابته وأثبتته : عرفه حق المعرفة » . فكلمة

« ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصية : البعيدة . والداعي : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعد أخرى .

ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرنى كلبى » ، يخبر أن سَلاحَهُ تامٌّ من الدرِّع والمِغْفَرِ
والبيضة^(١) . فإذا تكفَّرَ بسلاحه أنكره كلبه فنبَّحه^(٢) .

وأما قوله :

إذا خرسَ الفحل وسطَ الحُجُورِ^(٣) وصاحَ الكلابُ وعُقَّ الوالدُ
فأما قوله : إذا خرسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عاينَ الجيشَ وبوارقَ
السيوف ، لم يلتفتَ لِفَتِّ الحُجُورِ^(٣) .

وأما قوله : وصاحَ الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبَّحَ أربابها
كما تنبَّحَ سرعانَ الخيلِ إليهم^(٤) ؛ لأنَّها لا تعرفهم من عدوِّهم .

وأما قوله : وعُقَّ الولد ، فإنَّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل ، ونادى الرجال
يا صباحاه ! ذهبت عن ولدها ، وشغلها الرَّعبُ عن كلِّ شيء . فجعلَ ركها
احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهم : نزلتُ
بهم أمور لا يُنادى وأيدُّها^(٥) ، وإِنَّمَا استعاروا هذه الكلمة فصيَّروها فى هذا
الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرَّد بنِ ضِرَّارٍ وغيره ، فقال :

(١) المغفر، كنبير وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطفى العنق ، وقيل حلق
يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدي للرأس .

(٢) تكفَّرَ بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته ، ماعدا مب : « فينبَّحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة
والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأثني من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول
والكبار . وقال الكلابي : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت
أمواهم ، فإذا أهوى الصبي إلى شيء ليأخذه لم يته عن أخذه ، ولم يصح به ،
لكثرته عندهم . الميداني (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العيثل : الصبيان إذا
رأوا شيئاً عجيباً تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون
يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ - ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِنْ شَتْمِ الرِّجَالِ بِتَوْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْى لَا يُنَادَى وَلَيْدُهَا (١)
وقال الآخر :

ظَهَرْتُ عَلَى الْأَحْرَارِ مِنْ بَعْدِ ذَلَّةٍ وَشِقْوَةِ عَيْشٍ لَا يُنَادَى وَلَيْدُهَا (٢)
والذى يُخْرِسُهُ إِفْرَاطُ الْبَرْدِ ، وَالْحَاحُ الْمَطْرُ ، كَمَا قَالَ الْهَذَلِيُّ (٣) :

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَحْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُثْرِينَ دَاعِيَهَا (٤)
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنَ الصَّقِيحِ ، وَلَا تَسْرَى أَفَاعِيهَا
وقال ابن هرمة :

وَأَسْأَلُ الْجَارَ وَالْمَعْصَبَ وَالْأَضْيَا فِ وَهْنًا إِذَا تَحِيَّوْا لَدِيَّآ (٥)
كَيْفَ يَلْقَوْنَنِي إِذَا نَبَحَ السُّكْلَا بٌ وَرَاءَ الْكُسُورِ نَبْحًا خَفِيًّا
وقال آخر :

إِذَا عَمِيَ الْكَلْبُ فِي دِيْمَةٍ وَأُخْرَسَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ صِرٍّ (٦)

يقول : السُّكْلُ وَإِنْ أُخْرَسَهُ الْبَرْدُ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْمَطْرِ وَالرِّيْحِ الَّتِي
تَمُرُّ (٧) بِالصَّحَارَى الْمَطْبُورَةِ فَتَبْرُدُ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ وَإِنْ نَالَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
خِصْبٍ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِرٍّ (٨) .

(١) مثل هذه الرواية في اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت في الميداني (٢ : ٣١٣)
غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغواني بتوبة إلى الله منى لاينادى وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ما أنشده الميداني (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لاينادى وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب . ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق في ١ : ٣٨٨ .

(٤) يقال دعا النقري : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم في دعوته .

(٥) سبق الكلام في هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت في الأصل مقحم ظلماً .

بين بيتي « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » في أول هذه

الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعي ، والكلام الآتي خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ما أثبت من س .

(٨) قد يرى القارى تناقضاً في هذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى

من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألحت عليه السحاب بالأمطار في أيام الشتاء لقيَ جِنَّةً (١)
ففتى أبصرَ غيماً نبحه ؛ لأنه قد عرف ما يُلقى من مثله . وفي المثل : « لَا يَضُرُّ
السَّحَابُ نُبَاحُ الكلابِ » (٢) ، فقال الشاعر :

ومالَى لا أَعزُّو وللدَّهرِ كَرَّةٌ وقد نَبَحَتْ نَحْوَ السَّمَاءِ كلابُها

يقول : قد كنت أدعُ العزُّو مخافةَ العطش على الخليل والأنفس ، فما
عُذِرِي اليوم والغدران كثيرة ، ومناقع المياه موفورة (٣) .

والكلابُ لا تنبَحُ السحاب إلا من إلحاح المطر وترادفه .

وقال الأفوه الأودِيّ ، في نبح الكلاب السحاب ، وذلك من

وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دانٍ ورعدٌ وجبَّةٌ و برقٌ تراه ساطعاً يتبلَّجُ (٤)
فباتت كلاب الحىّ ينبحنُ مُزَنَهُ وأضحتُ بناتُ الماءِ فيها تعمجُ (٥)

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل :
الكلب إذا ألحت عليه السحاب . . . الخ .

(٢) المثل عند الميداني (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره » .
(٣) في الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبهه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح في الماء أو تتنقى . وهذا ما في س . وفي ط : « تعمج » أى
تلوى وتتنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى
« بنات الماء » وهو عجيب الخلقة - زعموا - وليس يريده الشاعر . الظر الديمرى .

(قول أبي حية النيرى في السكاب)

وقال أبو خالد النيرى : وذكروا^(١) فرعون ذا الأوتاد عند أبي حية النيرى ، فقال أبو حية : السكابُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ السكابَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

ومالى لا أغزو وللدهرِ كَرَّةٌ وقد نبحت نحو السماءِ كلابها
وقال الفرزدق :

فإنَّك إن تهجو حنيفةً سادراً وقبلك قد فاتوا يدَ المتناولِ^(٢)
كفِرَعُونَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ فرُدَّ عليه السهمُ أفوقَ ناصِلِي^(٣)
فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبحُ السحابَ من جودَةِ فِطنته .

٢٥

(تعصّب فهد الأحزم للسكاب)

وزعم فهدُ الأحزم^(٤) أنَّ السكابَ إنما عَرَفَ مخرَجَ ذلك الشئِء المؤذى له حتّى نبحه بالقياس ، لأنّه إنما نبّحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد^(٥) يتعصّب للسكاب ، فقالت له : وكذلك الحمار

(١) فى الأصل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لم أجد البيتين فى ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .

(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التثنية على الحماسة لابن جنى (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسى : * كساق الجراداة أو أحشى * والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذى خرج سهمه . قال ابن جنى : « أى أفوق ناصليا » .

(٤) هذا ما فى س . وفى م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفى ط : « فهذا جزم » وهو تحريف ظاهر .

(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف ما فى س وم .

إذا رفعت عليه السَّوط مرَّ من تحتك مرًّا حثيثاً . فالقياس عَلَّمَهُ^(١) أن السَّوط متى رُفِعَ حُطَّ ، ومتى حُطَّ أصابَه ، ومتى أصابه ألم . فما فضلُ الكلب في هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !
(مما قيل في نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَّحَ الكلبُ السحابَ ودُونَهَا مَهَامَهُ تَعَثَّى نَظْرَةَ التَّمَلُّلِ
وقال الآخر :

مَالِكٌ لَا تَنْبِحُ يَا كَلْبُ الدَّوْمِ قَدْ كُنْتَ نَبَّاحًا فَمَا بَالُ الْيَوْمِ
قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عَيْرًا له تَقَدَّمَ ، فكان إذا جاءت العيرُ
نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالتمنيُّ وكالمنتظر المستبطئُ : مالك
لا تنبح ؟ أي مال العيرِ لا تأتي .

(فراصة إياس بن معاوية في الكلاب)

وقال : خرج^(٢) إياس بن معاوية ، فسمع نباح كلب فقال : هذا كلبٌ
مشدود . ثم سمع نباحه فقال : قد أرسل . فأنتهوا إلى الماء فسألوهم فكان كما
قال . فقال له غيلان أبو مروان^(٣) : كيف علمت أنه موثق وأنه أطلق ؟ قال :

(١) في الأصل : « علم »

(٢) في الأصل : « حج » .

(٣) قال ابن النديم في شأنه : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجئة .
ولرسائله مجموع نحو ألئى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده
أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده في الكتاب المترسلين بعد
عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ في البيان بابن المقفع وسهل بن هارون
وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع
دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجاً من رائع
كلامه في عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته في المعارف ٢١٢ وآراءه
في « الفرق بين الفرق » .

كان نباحه وهو موثق يُسَمَع من مكانٍ واحد ، فلما أُطْلِقَ سمعته يقرب مرةً ويبعد مرةً ، ويتصرّف في ذلك .

وقالوا : مرّ إياس بن معاوية ذات ليلةٍ بماء ، فقال : أسمع صوت كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بِخُضوعِ صوتِهِ وشِدَّةِ نُبَاحِ الآخرِ . فسألوا فإذا هو غريبٌ مربوطٌ والكلابُ تنبّحه .

(استطراد لغويّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقع ، وفرس أبلق ، وكبش أملح^(١) ، وتيس أبرق ، وثور أشيه^(٢) .

ويقال كلب وكلاب وكليب ، ومَعَز ومَاعِز ومَعِيز . وقال لبيد :

فَبِتْنَا حَيْثُ أَمْسَيْنَا قَرِيبًا عَلَى جَسَدَاءَ تَنْبَحِنَا الْكَلِيبُ^(٣) ٢٦

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفي س : « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء في فقه اللغة ص ٥٧ ما يأتي : « فصل في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، ابنوس ملمع ، سحاب أتمر ، أفعون أرقش ، دجاجة رقطاء » .

(٢) لا تجدد هذه الكلمة في مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هي من مادة « وشى » . قال في اللسان : « والشية سواد في بياض أو بياض في سواد ، الجوهري وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالأزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذراً » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفي القاموس : « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع بطن جلدان ، وجلدان : موضع قرب الطائف . وفي الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه في الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هي في الأصل : « تتبعنا » وصوابها في المصدرين السابقين . وروايتها في معجم البلدان واللسان (نأد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو ما في الديوان ٢٤٩ ونوادر أبي زيد ص ٦٨ . وبهذه في النوادر والديوان :

نقلنا سيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال علقمة بن عبدة^(١) :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكانها مُولَعَةٌ تخشى القنيص شُبُوبُ^(٢)
تَعَفَّقَ بالأرطى لها وأرادها رجالٌ فَبَدَّتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ^(٣)

وقال عبادة بن محبّر السعدي^(٤) :

فَمَنْ لِلخَيْلِ بَعْدَ أَبِي سَرَّاجٍ إِذَا مَا أَشْنَجَ الصَّرُّ الكَلِيبَا^(٥)
وهؤلاء كلهم جاهليون .

(١) من قصيدته المشهورة التي اختارها المفضل الضبي في المفضليات ٣٩١ - ٣٩٦ . وهي في الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين الرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بني غسان وملك الشام ؛ وهي وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قریش في عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة في نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اه . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا في اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) في ط : « عبادة بن مجبر » وفي م : « عبادة بن مجبر » وفي س : « عبادة بن مجبر » وصوابها ما أثبت من نوادر أبي زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عبادة ابن مجبر » ؛ وصححه أبو حاتم في روايته مما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلي كما في النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما في النوادر ؛ وهي في الأصل : « الضر » . و « أشنج » هي في النوادر « ألجأ » ؛ وفي س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف مافي النوادر .

(رأى لجموية الخريبي في بقع الكلاب وسودها)

وقال حموية الخريبي (١) وأنشدوه (٢) :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارِكِ بَعْدَ حِينٍ تَخْوِضُ غِمَارَهُ بِقُعِ الْكِلَابِ (٣)
وأنشدوه :

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقدت أمسى شريدهم في الأرض فلالاً (٤)
فقال : لاخير في بقع الكلاب ألبتة، وسود الكلاب أكثرها عقوراً.

(خير الكلاب والسناير)

وخير الكلاب ما كان لونه يذهب إلى ألوان الأسد من الصفرة
والحمرة . والتبقيع هجنة .

وخير السناير الخلنجية ، وخير كلاب الصيد البيض .
قالوا : إنَّ الأسدَّ للهراشِ الحمرِ والصففرِ ، والسُّودُ للدُّنَّابِ ، وهي شرُّها ،

(١) الخريبي : نسبة إلى الخريبة : موضع بالبصرة . وفي ط : الخرسى « وفي س :
« الخريبي » ، وصوابها ما أثبت من م .

(٢) في الأصل : « وأنشدني » ، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفراه خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع
غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفي ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه
في س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٦١ .
وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام في هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّ السُّكَّالِبَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّةِ
لَأَمْرَتْ بِقَتْلِهَا . وَلَكِنْ اقْتَلَوْا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ » .

(القوّة في السُّود من الحيوان)

وكلُّ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ إِذَا اسْوَدَّ شَعْرُهُ أَوْ جِلْدُهُ ، أَوْ صُوفُهُ ، كَانَ
أَقْوَى لِبَدَنِهِ وَلَمْ تَكُنْ (١) مَعْرِفَتُهُ بِالْحَمُودَةِ .

(خير الحمام)

وزعم (٢) أَنَّ الْحَمَامَ الْمُدَّاءَ (٣) إِنَّمَا هُوَ فِي الْخَضِرِ وَالنَّمْرِ (٤) ، فَإِذَا اسْوَدَّ
الْحَمَامَ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْإِحْتِرَاقِ صَارَ مِثْلَ الزَّنْجِيِّ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ ، الْقَلِيلِ
الْمَعْرِفَةِ . وَالْأَسْوَدُ لَا يَجِيءُ مِنَ الْبَعْدِ ؛ لِسُوءِ هِدَايَتِهِ . وَالْأَبْيَضُ وَمَا ضَرَبَ
فِيهِ الْبَيَاضُ لَا يَجِيءُ مِنَ الْغَايَةِ ، لِضَعْفِ قَوَاهِ . وَعَلَى قَدْرِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ
الْبَيَاضِ يَعْتَرِيهِ مِنَ الضَّعْفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا تَكُنْ » . وَانظُرْ ١ : ٢٦٢ .

(٢) لَعَلَّهُ : « وَزَعَمَ مِثْنَى بِنِ زَهِيرٍ » ، وَقَدْ كَانَ أَخْبَرَ النَّاسَ بِالْحَمَامِ ، وَالْجَاحِظَ يَرُوى
عَنْ كَثِيرٍ أَيْمًا يَخْتَصُ بِالْحَمَامِ .

(٣) كَذَا فِي الْمَخْصَصِ ٨ : ١٧٠ وَقَالَ : « الْوَاحِدُ الْمَادِي » : وَيُقَالُ هِدَاةً فَاهْتَدَى
وَهْدَى أَيْضًا : أَيْ صَارَ مَهْتَدِيًا . وَهَذِهِ السُّكَّالِبُ فِي الْأَصْلِ رَسَمَتْ هَكَذَا « الْهَدَا » .
وَقَدْ سَبَقَتْ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٩٧ بِرِسْمِ « الْهَدَى » كَمَا سَيَأْتِي فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ
ص ٢١٣ ، ٢١٧ . وَيُظْهِرُ أَنَّ الْقَصْرَ وَالْمَدَّ لِفَتَاتَانِ جَائِزَتَانِ فِيهَا . وَهِيَ مِنَ
الْجَمْعِ الشَّاذِ ، فَإِنَّ فَاعِلًا مَعْتَلَّ الْبَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى « فَعَلٍ » بِضَمِّ الْفَاءِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ ،
وَلَا « فَعَالٍ » بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ ؛ وَإِنَّمَا قِيَاسُهُ أَنْ يَجْمَعَ عَلَى « فَعَلَةٍ » بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَتْحِ
الْعَيْنِ كَقَضَاةٍ وَرَمَاةٍ ، فِي قَاضٍ وَرَامَ . التَّوْضِيحُ ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥ . قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ :
« وَهِيَ اللَّائِي يَدْرِبُنْ وَيَرْفَعُنْ مِنْ مَرِحَلٍ إِلَى مَرِحَلٍ حَتَّى يَجْمَعُنْ مِنَ الْبَعْدِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ
وَعَرِيشِ مِصْرَ وَدُونَ ذَلِكَ ، مِنْ مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِمَّا » . وَأَقُولُ : هُوَ حَمَامُ الزَّجَلِ
أَوْ الزَّاجِلِ . وَانظُرْ لَهُ الْحَيَوَانُ ٣ : ٢١٢ - ٢٢٧ .

(٤) النَّمْرُ : أَجْمَعُ أُنْمَرُ ، وَهُوَ مَا فِيهِ نَمْرَةٌ بَيْضَاءُ وَأُخْرَى سُودَاءُ .

فالكلب هو الأصفر والأحمر، والحمام هو الأخضر والأحمر، والسَّنور هو الخَلنجي العَسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجى^(١) كما يكون من الخيل ، ولكنه لا يكادُ ينجب ، ولا تعدو الأمورُ المحمودَةُ منه رأسه ، وقد يكون ربَّما أشبهَ وقرب من النَّجَابَةِ ؛ فإذا كان كذلك [كان]^(٢) كهذه الأمهات والآباء المنجبة^(٣) ، إلا أن ذلك لا يتمُّ منها إلا بعد بطون عدَّة . ٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد: قال رَدَّاد^(٤): أقول للرجل الذي إذا ركب الإبل فَعَقَرَ ظُهُورَهَا من إتعابه ، هذا رجل مَعْقَرٌ ، وكذلك السَّرَجُ والقَتَبُ ، ولا يقال للكلب إلا عَقُور . ويقال هو ضرو للكلب الضارى على الصيد ؛ وضروة للكلبة^(٥) ، وهذا ضراءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضواري . وقد ضريت أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مقزَع أطلس الأطمارِ ليس له إلا الضراءُ وإلا صيدها نَشِبُ^(٦)
وقال طفيل الغنوى :

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : « المنجبة » .

(٤) هو رداد الكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ لبيسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقزَع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشِب : المال ناظته وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزَع ، طلس ، ضرو) .

تُبَارَى مَرَاخِيهَا الزَّجَاجَ كَأَنَّهَا ضِرَاكُهُ أَحْسَتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ (١)

ومنه قيل : إناء ضار (٢)

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْمَجَازِرَ فَإِنَّ لَهَا ضِرَاوَةَ

كضِرَاوَةِ الْحَمْرِ (٣) » .

وقال الأصمعيّ : كلب أبقع وكلبة بقعاء ، وفرس أبلق وفرس بلقاء ،

وتيس أبرق وعنز برقاء ، وكذلك جبل أبرق وكساء أبرق وكلب أبرق .

(١) سبق الكلام على هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفي ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق في الجزء الأول . ونحوه قول المثلّم البلوى في المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى . راخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب .

(٢) جاء في اللسان : « وفي حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب في الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمير وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحماتها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كمادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى اللوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهري فى الصحاح : « قال الأصمعيّ : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنما تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومدامنة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكفى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحه^(١) : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهتراً^(٢) باللعب بالكلاب ، وكان الآخر مستهتراً^(٣) بالحملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالي أراك مع الكلاب جنيباً وأرى أخاك جنيباً الحملان^(٣)
قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهرشها من دُونها كَانَ الوقيرُ فريسةَ الذُّوبانِ^(٤)

والوقير : اسم للغنم الكثيرة السائمة مع ما فيها من الحمير وغير ذلك^(٥) .

وقال الشماخُ بنُ ضرارٍ :

فأوردَهْنَنَ تقربياً وشدًّا شرائعَ لم يكدرها الوقيرُ^(٦)

-
- (١) لم أعر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ في البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحه مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع « أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت ما فى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .
- (٢) استهتر بالشيء - بالبناء للمجهول - : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مشهرا » من الشهرة . وهو تحريف .
- (٣) الجنيبية : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .
- (٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذُّوبان » وصوابهما ، ما أثبت من س .
- (٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ما للوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لا يكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر ما عنى الجاحظ .
- (٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمير ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعملو ويشتد فى عدوه . وحمير الوحش من الحيوانات التى تمتدق الرياسة لأحدها . لنظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر في نفع الكلاب)

وقال الشاعر - في تثبيت ما قال الغلام - :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَيَّ مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي^(١)

وقال الآخر :

إِنَّ الذَّنَابَ تَرَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي حَوْزَةَ الْمُسْتَشْفِرِ الْحَامِي^(٢)

٢٨

(عفة عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق)

وقال محمد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امْرَأَةٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ وَعَفَافٍ وَبَرَاعَةٍ وَشَارَةَ ، فَأَعْجَبَتْ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَخَافَتْ شِعْرَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَتِ الطَّوْافَ قَالَتْ لِأَخِيهَا : اخْرُجْ مَعِيَ . فَخَرَجَ مَعَهَا ، وَعَرَّضَ لَهَا عُمَرَ فَلَمَّا رَأَى أَحَاها أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَأَنْشَدَتْ قَوْلَ جَرِيرِ^(٣) :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَيَّ مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي حَوْزَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي^(٤)

(١) كذا في ط ، م . وفي س : « مريض المستشفر الحامي » .

(٢) الاستنفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذه ملوياً ثم يخرج به فيشده طرفيه في حجزته ، وذلك حين الصراع . وفي ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله في الأغاني ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدي وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن علي . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مريض المستأسد الحامي
والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما في اللسان وحاسة البحري
٢٦٤ وشرح الأشعار الستة للشنمري مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يابؤس للجهل ضاررا لأقوام

وفي س : « وتتقى حوزة المستشفر الحامي » . والبيت في شعر الزبرقان بن بدر
أيضاً كما في المؤلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هول النابغة : أظن الزبرقان
استزاده في شعره كالمثل » ، انظر المزهري ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبي الحسن ، وأما بنو مخزومٍ فيزعمون أنَّ ابن أبي ربيعةَ لم يحُلَّ إزاره على حرامٍ قطُّ ، وإنما كان يذهب في نسيبه إلى أخلاقِ ابن أبي عتيق ؛ فإنَّ ابن أبي عتيقٍ كان من أهل الطَّهارة والعفاف ، وكان من سمعَ كلامه توهم أنَّه من أجرأ الناس على فاحشة .

وما يُشبهه الذي يقولُ بنو مخزومٍ ما ذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنَّهم يقولون : إنَّ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعةٍ لَمَّا سُمِّيَ بعمر بن الخطَّاب (١) وإنَّه ولد ليلة ماتَ عمر . فلما كان بعد ذلك ذكروا فسَادَ هذا وصلاح ذلك فقالوا : أيُّ باطلٍ وُضع ، وأيُّ حقٍّ رُفِعَ !!
ومثلُ هذا الكلام لا يقالُ لمن يُوصَفُ بالعفة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولُبغض (٢) المزاح في لعب الصبيان بالكلاب واستهتارهم بها ، كتَبَ شريح إلى معلمٍ ولِدٍ له كان يدعُ الكُتَّابَ ويلعب بالكلاب (٣) :
تَرَكَ الصَّلَاةَ لِأَكْلِ كَلْبٍ يَلْهَوُ بِهَا طَلَبَ الْهَرَّاشِ مَعَ الْغَوَاةِ الرَّجَّسِ (٤)

(١) ط : « يسمى » ، والوجه ما في س .

(٢) في الأصل : « لبغض » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الأبيات الآتية في ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والحاسن للبيهقي ٢ : ٢١٦ والشريشي ٢ : ٣٨١ .

(٤) في المراجع : « يسمى بها » موضع « يلهو بها » . وفي الثمار أيضاً : « نحو الهراش » وفي العتد : « طلب الهراش » .

- وليأتينك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمس^(١)
فإذا خلوتَ فعَضَهُ بمَلَامَةٍ أو عِظَهُ مَوْعِظَةَ الأديب الأكيِس^(٢)
وإذا هممت بضربِهِ فبِدْرَةٍ وإذا ضربتَ بها ثلاثاً فاحْدِسِ^(٣)
واعلمُ بأنك ما فعلتَ فإنَّهُ مَعَ مَا يُجْرَعُنِي أعزُّ الأَنْفُسِ^(٤)

وهذا الشعر عندنا^(٥) لأعشى بنى سليم في ابن له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقول الشعر^(٦) وله أحاديثٌ كثيرةٌ طريفة .

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة في كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل في الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا يتادمان عمرو ابن هند ، فتمنى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فضا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذي أضمره الملك ، وألقى كتابه في المساء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) في عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفي الثمار فقط : « فضضه بملامة » . وأما الشطر الثاني للبيت فهو في الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفي العيون : « وعظته وعظك للأريب » ، وفي العقد : « وعظته موعظة الأديب » .

(٣) الدررة بالكسر : السوط ، كما في المصباح . وهي في ط : « بذرة » محرفة وصوابها في س والمراجع المتقدمة . وفي الأصل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائد إلى « الدررة » فالصواب ما أثبت من الثمار . وفي العقد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ، وفي العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفي الشريشي : « وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هي في معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لأبأس به .

(٥) ط فقط : « عندي » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه في س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : ومما يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ (١) ما يجري على ألسنةِ النَّاسِ من مَدْحِهِ بالخير والشرِّ ، وبالحمد وبالذمِّ ، حتَّى ذكر في القرآن مرَّةً بالحمد ومرَّةً بالذمِّ . وبمثل ذلك ذِكْرُ في الحديث ، وكذلك في الأشعار والأمثال ، حتَّى استعمل في الاشتقاقات ، وجرى في طريق الفأل والطَّيرة ، وفي ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجنِّ والجنِّ (٢) والسَّباعِ والبهائمِ . فإن كنتم إئمَّا قضيتُم عليه بالشرِّ والنقص ، وباللؤمِ وبالسقوطِ لأنَّ ذلك كلُّه قد قيلَ فيه ، فالذي قيلَ فيه من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودة أشهرُ . وليسَ شيءٌ أجمعَ لخصالِ النقص من الخمول ؛ لأنَّ تلك الخصالَ المخالفةَ لذلك ، تُعطى من النباهةِ وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذكورِ من ذلك . وكما لا تكون الخصالُ التي تُورث الخمول مورثةً للنباهةِ فكذلك (٣) خِصَالُ النَّبَاهَةِ في مجانبَةِ الخمول ؛ لِأَنَّ الملوَمَ أفضلُ من الحاملِ .

(١) ط : « كثيرًا » ، والصواب في س ، م .

(٢) قالوا : الجن : ضعاف الجن .

(٣) ط : « كما لا تكون . . . فذلك » ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هریم والحارث بن شريح)

وسمى التَّرجَمَانُ بنَ هُرَيْمٍ (١) [عند يزيد بن عمر (٢)] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريح بيومٍ خَيْرٍ قَطُّ . قال التَّرجَمَانُ : إلا يكن (٣) جاء بيومٍ خَيْرٍ فقد جاء بيومٍ شرٍّ (٤) .

(مياسة الحزم)

وبعدُ فأبى رئيسٍ كان خيرهُ محضاً عديمَ الهيبة . ومن لم يعمل بإقامة جزاء السيئة والحسنة ، وقتل في موضع القتل ، وأحياناً في موضع الإحياء ، وعفماً في موضع العفو ، وعاقبَ في موضع العقوبة ، ومنع ساعة المنع ، وأعطى ساعة الإعطاء ، خالفَ الرَّبَّ في تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

(١) التَّرجَمَانُ بنُ هرِيمٍ : قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز : وعلى بني حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هرِيمُ بنُ أبي طحمة كان شجاعاً كيساً ، وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة في قتال يزيد بن المهلب . وكبر هرِيمُ فحول اسمه في أعوان الديوان ، فقليل له : إنك لاتحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فأبى أحو الصحف ! في الأصل : « التَّرجَمَانُ بنُ مرِيمٍ » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هذا أمير قائد من ولاية الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين في أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) في الأصل : « إن لا يكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ في البيان : ذهب التَّرجَمَانُ إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق للناس طرا

وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزماني الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفوِ إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنعِ إعطاء ، ولا خَيْرَ فيمن كان خَيْرُهُ محضاً ، وشرُّه منه مَنْ كان شرُّه صرفاً . ولكنْ أخلطِ الوعدَ بالوعيد ، والبشرَ بالعبوس ، والإعطاءَ بالمنع ، والحلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يهابون ولا يصلحون إلَّا على الثَّواب والعقاب ، والإطاعِ والإخافة . ومَنْ أَخَافَ ولم يُوقِعْ^(١) وعُرِفَ بذلك ، كَانَ كَمَنْ أَطْمَعَ ولم يُنَجِّزْ وعُرِفَ بذلك ، ومَنْ عُرِفَ بذلك دخلَ عليه بحسبِ ما عُرِفَ منه . فخَيْرُ الخَيْرِ ما كان ممزوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كان صرفاً ، ولو كَانَ النَّاسُ يصلحون على الخَيْرِ وحده لسكانَ اللهُ عزَّ وجلَّ أولى بذلك الحكم .

وفي إطباقِ جميعِ الملوكِ وجميعِ الأئمةِ في جميعِ الأقطارِ وفي جميعِ الأعصارِ على استعمالِ المكروهِ والمحبوبِ ، دليلٌ على أنَّ الصوابِ فيه دونَ غيره .

وإذا كان الناسُ إنما يصلحون^(٢) على الشَّدَّةِ واللينِ ، وعلى العفوِ والانتقامِ وعلى البذلِّ والمنعِ ، وعلى الخَيْرِ والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيراً وذلك المنعُ إعطاءً وذلك المكروهُ محبوباً . وإنما الشأنُ في العواقبِ ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدوم ، ومن الانقطاعِ أبعدُ .

(١) في ط : « يقع » ، والصواب في س .

(٢) في الأصل : « يصلحون » والوجه ما أثبت .

(شعر في الحزم)

وقال الشاعر ، وهو يمدح قوماً^(١) :

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارِ^(٢)
وَإِنْ تَوَدَّدْتَهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا كَشَفَتْ أذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَعْمَارِ^(٣)

وقال العتبي^(٤) :

ولكن^(٥) بنو خيرٍ وشر كليهما جميعاً ومَعْرُوفٍ أَلْمٌ وَمُنْكَرٍ

(١) الشاعر هو عبيد بن العرنس الكلابي ، كما في الكامل ٤٧ وتنبية البكري ٧٣ . والشعر رواه أبو تمام في الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالي في الأمالي ١ : ٢٣٩ والمرزباني في المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرنس الكلابي لا إلى عبيد . وقد نبه البكري على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكري في ديوان المعاني ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرنس فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابي يمدح غنويا ! » . قال البكري في تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقعت بيني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيبى قيس السداسي الغنوي ، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوي ، استغاثت غنى بيني أبي بكر وبين محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقتلوا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزي في شرح الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأعمار : جمع غمر بالتثنية ويحرك ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته في شرح الجزء الأول ص ٥٣ - ٥٤ .

(٥) كذا في ط . وهي في س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارتجز يوم جَبَلَة^(١) :

أنا الغَلامُ الأعسرُ الخيرُ فيَّ والشرُّ

* والشرُّ فيَّ أكثرُ *

وقال عبدُ الملكِ بن مروانَ لزُفَر بن الحارث - وقد دخل عليه في رجالات

قيس : ألسْتَ امرأَةً مِن كندة ؟ قال : وما خيرُ مَنْ لا يُتَّقَى حَسَدًا ،
ويُدعى رغبة .

وقال نَمامة : الشُّهرة بالشرِّ خيرٌ من أن لا أعرفَ بخيرٍ ولا شرِّ .

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجُلِ من المَاضِيَن بِنَبَايِنِ

الناس فيه .

وقال : ألا ترى أَنَّ عَلِيًّا - رضى اللهُ تعالى عنه - قال : يَهلكُ فيَّ فِتانان^(٢) :

محبُّ مُفْرِطٍ ، ومبغِضُ مُفْرِطٍ .

وهذه صفةُ أَنبَهِ الناسِ ، وأبعدهم غايةً في مراتبِ الدِّينِ وشرفِ الدنيا^٣

ألا ترى أَنَّ الشاعرَ يقول :

(١) يوم جبلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهى : يوم الكلاب ، ويوم

جبلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل في الأغاني ١٠ : ٣٣ - ٤٥ . وكان قبل

الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في العقد

٣ : ٣٠٧ . وقائل للشعر هو معاوية بن عباد بن عقييل ، وكان أعسر ،

كما في الأغاني . والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) في الأصل : « فتيان » .

أَرَى الْعِلْبَاءَ كَالْعِلْبَاءِ ۚ لَا حُلُوًّا وَلَا مَرًّا^(١)
شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْجَارِوِّ دِ لَا خَيْرَ وَلَا شَرًّا

وقال الآخر :

عَيَّرَنِي يَا ثَكَلْتَنِي أُمِّي^(٢) أَسْوَدَ مِثْلَ الْجَلْعَلِ الْأَحْمِ^(٣)
يَنْطَحُ عُرْضَ الْجَبَلِ الْأَصْمِ لَيْسَ بَدَى الْقَرْنِ وَلَا الْأَجْمِ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناسِ بَراعةً ، وأظهرهم فضلاً ، وأجمعهم
لحصال الشرف ، ثمَّ كانت كلُّ خصلةٍ مساويةً لأختها في التمام ، ولم تغلب
عليه خصلةٌ واحدة ، فإنَّ هذا الرَّجُلَ لا يكادُ يوصفُ إلا بالسيادة والرياسة
خاصةً إذا لم يكن له مسندٌ عما^(٤) يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبهه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر^(٥) :

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق في الجزء الأول
من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البمير .
يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته : وفي ط : « شكلتني » وصوابه في س ، م . وقد حذف الراجز
المنادى هنا بعد الياء ، كما في بيت الشماخ :

ألا يا سقياني قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى يا صاحبي اسقياني . وكقول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب ١ :
٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمان من جار

أى يا قوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجعل : دويبة تألف الأماكن القذرة . وفي ط : « الحمل » ، وصوابها
في س ، م .

(٤) كذا في س ، ط . وفي م : « مسندهما » ، وفي العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن الرندس الكلابي . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتي في ص ٨٩
من هذا الجزء .

٣١ هَيِّنُونَ لَيْتُونَ أَيَسَارٌ ذُو وَيُسِرُّ سَوَّاسٌ مَكْرَمَةٌ أَبْنَاءُ أَيَسَارٍ (١)
مَنْ تَلَقَى مِنْهُمْ تَقُلْ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسِرِّي بِهَا السَّارِي

وقد قال مثل الذي وصفنا جعفرُ الضبيُّ (٢) في الفضل بن سهل (٣) :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَسْكَنْتَنِي عَنْ وَصْفِكَ تَسَاوَى أفعالِكَ فِي السُّودَدِ ، وَحَيَّرَنِي فِيهَا
كَثْرَةُ عَدَدِهَا ، فَلَيْسَ إِلَى ذِكْرِ جَمِيعِهَا سَبِيلٌ ، وَإِنْ أَرَدْتُ وَصْفَ وَاحِدَةٍ
اعْتَرَضَتْ أَخْتَهَا ؛ إِذْ لَمْ تَكُنِ الْأُولَى أَحَقَّ بِالذِّكْرِ . وَلَسْتُ أَصْنُفُهَا إِلَّا بِإِظْهَارِ
العَجْزِ عَنْ وَصْفِهَا .

ولذلك قالوا : « أحلم من الأحنف » ، و « ما هو إلا في حلم معاوية »
و « أحلم من قيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلم من عبد المطلب ، ولا هو
أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خصلة من خصاله كتام حلمه ، فلما كانت خصالُه
متساويةً ، وخلالُه مشرفة (٤) متوازيةً ، وكلُّها كأنَّ غالباً ظاهراً ، وقاهراً
غامراً ، سُمِّيَ (٥) بأجمع الأشياء ولم يُسمَ بالخصلة الواحدة ، فيستدلُّ بذلك على
أَنَّهَا كَانَتْ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ .

(١) المشهور في رواية البيت « ذوو كرم » ، وما هنا رواية صحيحة كما في شرح التبريزي
للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعني في أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس
مكرمة : أي يروضون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيسار أبناء أيسار
أي إنهم عريقون في الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر .
والقمار مما يتمدح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل في الميسر
« برما » ، قال : ولا برما تهدي النساء لعرسه إذا القشع من برد الشتاء تقعقا
(٢) في البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغانى ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر
ابن سليمان الضبي » ، قلعه هذا .

(٣) هو الفضل بن سهل السرخسي ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به في صباه
وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قيل أن يلي الخلافة ، فلما وليها جعل
له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذي الرياستين . ولد سنة ١٥٤
وتوفي سنة ٢٠٢ .

(٤) يعني عالية ظاهراً علوها . (٥) في الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السيد في السؤدد الكمال ، حسده من الأشراف من يُظنُّ أنه
الأحقُّ به ، وفخرت به عشيرته ، فلا يزال سفيه^(١) من شعراء تلك القبائل
قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه . ومن طلب عيباً وجدّه .
فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره ، وجد من يغلط فيه ويحمله عنه .
ولذلك هجى حصن بن حذيفة ، وهجى زُرارة بن عدس ، وهجى عبد الله
ابن جُدعان ، وهجى حاجب بن زُرارة .

ولئنما ذكرت لك هؤلاء لأنهم من سؤددهم وطاعة القبيلة لهم ، لم يذهبوا
فيمن تحت أيديهم من قومهم ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مذهب كليب بن
ربيعه ، ولا مذهب حذيفة بن بدر ، ولا مذهب عيينة بن حصن ، ولا مذهب
لقيط بن زُرارة ؛ ولأن لقيط لم يأمر بسحب ضمرة بن ضمرة^(٢) إلا وهو
لو بقي لجاوز ظلم كليب وتهكم عيينة^(٣) ، فإن هؤلاء وإن كانوا سادة فقد كانوا
يَظلمون ، وكانوا^(٤) بين أن يظلموا وبين أن يظلموا ظلماً ممن ظلمهم . ولا بد
من الاحتمال كما لا بُدَّ من الانتصار .

وقد قال عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى
رجع قول الحكيم الأول : « بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميع » .

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) في الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ،
٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التهم : التكبر ، واشتداد الغضب والحق .

(٤) في ط : « وكان » ، والصواب في س ، م .

(حزم السادة)

وعامة هؤلاء السادة لم يكن شأنهم أن يردوا الناس إلى أهوائهم ،
وإلى الانسياق لهم بعنف السوق ، وبالخرب في القود . بل كانوا لا يؤثرون ٣٢
الترهيب على الترغيب . والخشونة على التلين . وهم مع ذلك قد هجوا
بأفصح الهجاء .

ومتى أحب السيد الجامع ، والرئيس الكامل قومه أشد الحب وحاطهم
على حسب حبه لهم ، كان بغض أعدائهم له على حسب حب قومه له . هذا
إذا لم يتوثب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمه وإخوته من قد أطمعته الحال
باللحاق به . وحسد الأقارب أشد ، وعداوتهم على حسب حسدهم .
وقد قال الأولون : رضا الناس شيء لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : من السيد فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هيناه ،
وإذا أدبر اغتبناه !
وقد قال الأول : بغضاء السوق^(١) ، ووصوله بالملوك والسادة ، وتجري في
الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس في الأرض عمل أكدر لأهله من سياسة العوام . وقد قال الهذلي^(٢)
يصف صعوبة السياسة :

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفي ط : « السوء » ، والوجه
مافي س ، م .

(٢) هو الأعم الهذلي ، كما في حواشي البيان .

وإن سياسة الأقيوم فاعلم لها صعداء مطلبها طويل^(١)

وقال آخر في شبيه^(٢) بهذا المعنى :

ودون الندى في كل قلب ثيبة لها مصعد حزن ومُحدر سهل

وودّ الفتى في كل نيل يُذيله إذا ما انقضى ، لو أن نائله جزل

وقال عامر بن الطفيل^(٣) :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر من ورائه^(٤) أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقى أذاها وأرعى من رماها بمنكب

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله بن زياد^(٥) وزياد يُغرغر بنفسه^(٦) :

(١) وهذه الرواية أيضاً هي رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ في البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأقيوم فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، كما في البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات في العقد (٢ : ٢٥٩) وغيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالى (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر مما تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور في الرواية : « عن ورائه » كما في المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتم إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكاً من الشجعان وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا في معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت التويرى ذكر في المؤلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل النور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى في أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت في الخلق عند الموت .

ألا أوصى بك الأمير؟ قال : لا . قال : ولم؟ قال : إذا لم [يكن]^(١) للحى
إلا وصية^(٢) الميت ، فالحي هو الميت .

وقال آخر في هذا المعنى :

* والعزُّ لا يأتي بغير تطلب *

وقال بشامة بن الغدير^(٣) في خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون .
منه كان^(٤) :

وجذت أبي فيهم وجذى كليهما يطاع ويؤتى أمره وهو محتبي
فلم أتعلم للسيادة فيهم ولكن أتتى طائعا غير متعب ٣٣

(بحث في السعادة)

ومن الناس من يقول : إن العيش كله في كثرة المال ، وصحة البدن ،
وخمول الذكر .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها في س :
« أوص » ويغلب على ظني أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لا يتناسق الكلام .
واعتمدت في إثبات ما أثبت على مافي عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمال
المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبي سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ،
معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيريه وتصدر
عن رأيه . (الأغاني ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هي في ط ، م :
« القدير » ، وهو تصحيف مافي س .

(٤) كذا .

وقال مَنْ يخالفه : لا يخلو صاحب البدن الصَّحيحِ والمال الكثير ،
مِنْ أن يكون بالأمر عالماً ، أو يكون بها جاهلاً . فإن كان بها عالماً فعلمه
بها لا يتركه حتى يكون له من القول والعمل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة
لا تكون كعدمها ؛ لأنها لو كانت موجودةً غيرَ عاملة لسكانت المعرفة كعدمها ،
وفي القول والعمل ما أوجبَ النَّبَاهَةَ ، وأدنى حالاته أنْ مُخْرِجُه من حدِّ
الحمول ، ومتى أخرجته من حدِّ الحمول فقد صار معرضاً لمن يقدر على سلبه .
وكما أنَّ المعرفة لا بدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولاً
أو فعلاً ، والقول لا يكون قولاً إلاً وهناك مقول له ، والفعال لا يكون فعلاً
إلاً وهناك مفعول له ، وفي ذلك ما أخرج من الحمول وعُرف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفة هذا عملها في التنبيه على نفسها ، فالمال الكثيرُ
أحقُّ بأنَّ عمله الدَّلالةُ على مكانه ، والسَّعايةُ على أهله . والمالُ أحمقُّ
بالتَّهمة ، وأولى بالشكر ، وأخذع لصاحبه ، بل يكون له أشدُّ قهراً ، ولحيه
أشدُّ فساداً^(١) .

وإن كانت معرفته ناقصةً فبقدر نقصانها يجهل مواضع اللذة . وإن كانت
تامةً فبقدر تمامها يُنسى الحمول ويُجلبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يفهم فضيلة السلامة ، وحقائق رُشدِ العافية ، الذين ليس
لهم من المعرفة إلاَّ الشَّدو ، وإلاَّ خلاق أوساطِ الناس^(٢) . ومتى كان ذلك

(١) كذا .

(٢) الشدو : القليل من كل كثير . وهي في ط : « التشدق » وفي س : « الشد »
وصوابها من م . والخلاق : الحظ والنصيب . وفي الأصل : « والأخلال » ،
وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَفَ المَدْخَلُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ يَكْرَهُ ذُو المَالِ الشُّهْرَةَ . وَمِنْ عَرَفَ ذَلِكَ عَلَى حَقِّهِ وَصِدْقِهِ ، لَمْ يَدَعَهُ فَهْمُهُ لِدَلِكِ حَتَّى يَدُلَّ عَلَى فَهْمِهِ . وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ هَذَا المَوْضِعَ حَتَّى يَفْهَمُ كُلَّ مَا كَانَ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ العِلْمِ . وَفِي أَقْلٍ مِنْ ذَلِكَ مَا يَبِينُ بِهِ حَالُهُ مِنْ حَالِ الحَامِلِ .

وشروط الأمانى غيرُ شروطِ جوازِ الأفعالِ وإمكانِ الأمورِ . وليس شىءٌ ألدُّ ولا أَسْرُّ مِنْ عِزِّ الأَمْرِ والنَهْيِ ، وَمِنْ الظَّفَرِ بالأَعْدَاءِ ، وَمِنْ عَقْدِ المِنَنِ فِي أعْنَاقِ الرِّجَالِ ، وَالسُّرُورِ بِالرِّيَاسَةِ وبثْمرةِ السِّيَادَةِ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ هِيَ نَصِيبُ الرُّوحِ ، وَحِطُّ الذَّهْنِ ، وَقِسْمُ النَّفْسِ (١) . فَأَمَّا المَطْعَمُ والمَشْرَبُ وَالمُنْكَحُ وَالمُسْتَمَّةُ ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ نَصِيبِ الحَوَاسِّ ، فَقَدْ عَلَّمْنَا أَنَّ كُلَّ مَا كَانَ أَشَدَّ نَهْمًا وَأَرْغَبَ ؛ كَانَ أَمَّ لَوْجَدَانِهِ الطَّعْمِ . وَذَلِكَ قِيَاسٌ عَلَى مَوَاقِعِ الطَّعْمِ مِنَ الجَائِعِ ، وَالشَّرَابِ مِنَ العَطْشَانِ (٢) .

٣٤

وَلَسَكْنَا إِذَا مِئَلْنَا (٣) بَيْنَ الفَضِيلَةِ الَّتِي مَعَ السُّرُورِ ، وَبَيْنَ لَذَّةِ الطَّعَامِ ، وَمَا يُحْدِثُ الشَّرُّهُ لَهُ مِنْ أَلَمِ السُّهْرِ وَالاَلْتِهَابِ وَالقَلَقِ وَشِدَّةِ الكَلْبِ ، رَأَيْنَا أَنَّ صَاحِبَهُ مَفْضُولٌ غَيْرُ فَاضِلٍ . هَذَا مَعَ مَا يَسْبَبُ بِهِ (٤) ، وَمَعَ حَمَلِهِ لَهُ عَلَى القَبِيحِ ، وَعَلَى أَنَّ نَعْمَتَهُ مَتَى زَالَتْ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشَقَى مِنْهُ . هَذَا مَعَ سُرُورِ العَالِمِ بِمَا وَهَبَ اللهُ لَهُ (٥) مِنَ السَّلَامَةِ مِنَ آفَةِ الشَّرِّهِ ، وَمِنْ فَسَادِ الأَخْلَاطِ . وَبَعْدُ فَلَا يَخْلُو صَاحِبُ الثَّرْوَةِ وَالصَّامِتِ الكَثِيرِ (٦) ، الحَامِلُ الذِّكْرِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي المَرْكَبِ الفَارِهِ ، وَالثَّوبِ اللَّيِّنِ ، وَالجَارِيَةِ

(١) القسَمُ ، بِالكَسْرِ ؛ النَصِيبُ وَالحِصَّةُ .

(٢) فِي الأَصْلِ : « وَبَيْنَ لَذَّةِ الطَّعَامِ وَبَيْنَ مَا يَحْدِثُ لَهُ الشَّرُّهُ » .

(٣) مِيلٌ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ : رَجَحَ وَوَازَنَ . وَفِي الأَصْلِ : « مِثْلُنَا » .

(٤) تَحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ « يَسْبَبُهُ » أَى يَحْدِثُهُ .

(٥) ط ، م : « لَهْمٌ » ، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ مِنْ س .

(٦) لِلصَّامِتِ مِنَ المَالِ : الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ . وَالنَّاطِقُ مِنْهُ : الإِبِلُ .

الحسنة ، والدار الجيدة ، والمطعم الطيب ؛ أو يكون ممن لا يرغب في شيء من ذلك . فإن كان لا يرغب في هذا النوع كله ، ولا يعمل في ماله للدار الآخرة ، ولا يعجب بالأجدوث الحسنة ، ويكون ممن لا تعدو لذته أن يكون كثير الصامت ؛ فإن هذا حماراً أو أفسد طبعاً من الحمار ، وأجهل من الحمار ؛ وقد رضى أن يكون في ماله أسوأ حالاً من الوكيل .

وبعد فلا بُدَّ للمال الكثير من الحراسة الشديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمل الحراسة له ، وتعب في حفظه [و]^(١) حسب الخوف ، خرج عليه فضل . فإن هو لم يخف عليه — ولا يكون [ذلك]^(٢) في سبيل التوكل^(٣) — فهو في طباع الحمار وفي جهله . والذي أوجب له الحمل ليؤديه إلى سلامة المال له ، قد أعطاه من الجهل^(٤) مالا يكون معه إلا مثل مقدار لذة [البهيمه]^(٥) في أكل الحبط^(٦) .

وإن هو ابتاع فره الدواب ، وفره الخدم والجواري ، واتخذ الدار الجيدة ، والطعام الطيب والثوب اللين وأشباه ذلك ، فقد دلَّ على ماله . ومن كان كذلك ثم ظهرت له ضيعة فاشية ، أو تجارة مريحة ، يحتمل مثل ذلك الذي يظهر من نفقته . وإلا فإنه سيوجد في اللصوص عند أول من يقطع عليه ، أو مكابرة تكون ، أو تعب يؤخذ لأهله^(٧) المال العظيم .

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .

(٢) كلمة يحتاج إليها .

(٣) فإن التوكل المطلوب في الدين ما كان معه الحيطة والأخذ بأسباب السلامة ، على

نحو ما جاء في الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .

(٤) في الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .

(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .

(٦) الحبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالمصافئ كله الدواب والإبل .

(٧) العبارة من مبدأ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحة البدن والمال ، فذهب إلى مقدارٍ من المال مقبولاً^(١) ولكن ما لمن كان ماله لا يجاوز هذا المقدارَ تَبْهِيًا^(٢) الخمول^(٣) .

(طبقات الخمول)

ولعمري إنَّ الخمولَ لَيَكُونُ في طبقاتٍ كثيرةٍ ، قال أبو نخيلة^(٤) :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقَى

وما كُلُّ من أقرَضتَه نعمةً يَقْضِي

فأحييتَ من ذكرى وما كان خاملاً ٣٥

ولكنَّ بعضَ الذكرِ أنبَه من بعضٍ

قالوا : ولسقوط الحامل من عُيون الناس ، قالت الأعرابيةُ لابنها : إذا

جلستَ مع الناسِ فإنَّ أحسَدتَ أن تقولَ كما يقولون فقلُّ ، وإلاً فخالِفْ
تُذَكِّر !

(١) لعل العبارة « مقدار من المال يسير كان ذلك مقبولاً » .

(٢) في ط : « مَبْهِيٌّ » وهو تحريف صوابه في س ، م .

(٣) لعل العبارة « ما لمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . الخ .

(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدي . قال أبو الفرج (الأغاني ١٨ : ١٣٩) :

« أبو نخيلة اسمه لاكنيته » وقال ابن قتيبة في الشعراء : « اسمه يعمر » .

كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشميين فهجوا الأمويين . وقد صنع في المنصور أرجوزة يغريه فيها بجلع

عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي ، فوصله المنصور بألئى درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له في

طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهية في الأغاني . والشعر الآتي في مديح

مسلمة بن عبد الملك كما في الأغاني (١٨ : ١٤٠) وحجاسة ابن الشجري ١١٧

وأول الشعر :

أمسلم إنى يا ابن خيبر خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض

وأما الأصمعيُّ فزعمَ أنها قالت : فخالفَ ولو بأنْ تعلقَ في عنقك
أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القولَ إلا مَنْ ليسَ يعرفَ شَكَرَ^(١) الغنى ، وتقلبَ
الأموالَ إلى ماخُلِقَتْ لَهُ ، وقَطَعَهَا عَقْلُهَا ، وخالَعَهَا عُدْرُهَا ، وتِيَهَ أصحابُهَا ،
وكثرةَ خُطَاهِمَ في حفظِهَا وسِتْرُهَا ، وعجزَهم عن إِمَاتَةِ حركتها ومنعها من
جميعِ مَاتِنَازِعِ [إليه وتحمل عليه^(٢)] .

(ملححة من الملح)

وقد روينا في المُلْحِ أَنَّ رجلاً قال لصاحبٍ لَهُ : أبوكَ الذي جهل
قَدْرَهُ ، وتعدَّى طَوْرَهُ ، فشقَّ العَصَا ، وفارقَ^(٣) الجماعة ؛ لاجْرَمَ لقد هُزِمَ ثم
أُسْرُثِمَ قَتَلَ ثمَّ صُلِبَ ! قال لَهُ صاحبهُ : دَعْنِي مِن ذِكرِ هزيمةِ أَبِي ،
ومن أُسْرِهِ وقَتْلِهِ وصلْبِهِ . أبوكَ هلْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بشيءٍ من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب في هم الناس)

وليس إلى الناسِ بُعْدُ الهمِّ وقِصْرُهَا ، وإنما تجرى الهمُّ بأهلها
إلى الغايات ، على قدر ما يعرض لهم من الأسباب . ألا ترى أَنَّ أبعَدَ
النَّاسِ هِمَّةً في نفسه ، وأشدَّهم تَلَفْتاً إلى المراتب ، لانتنازعه نفسه إلى طلب
الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ]^(٤) وَ إلى أمرٍ قد وُطِّيَ لَهُ

(١) أراد بالشكر النور . وهو من شكرت الشجرة - من باب فرح - : خرج منها
الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) في الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليوجه الكلام .

بسبب ، كسبب طلب أوائل الخوارج الخلافة بالدين وحده دون النسب .
فإن صار من الخوارج فقد حدث له سبب إمكان الطلب ، أكدى
أم نجح .

وقد زعم ناس من العلماء أن رجلاً خطبت للسيادة والنباهة
والطاعة في العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربما سعدت بالخط ، وربما حظيت بالجد ؛ وإنما
ذلك على قدر الاتفاق ، وإنما هو كالمعاني والمبتلى ، وإنما ذلك كما
قال زهير :

وَجَدْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُ
مُمْتَهُ وَمَنْ تُحْطَى يُعَمَّرُ فِيهِمْ .

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تحظى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعض الألفاظ دون غيرها ،
ودون مايجرى مجراها أو يكون أرفع منها .

قالوا : وذلك موجود في المرزوق [و^(١) المحروم ، وفي المحارف^(٢)]

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .

(٢) المحارف : الحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصدقة . [وكم] ^(١) من حاذق بصناعته ، وكثير الجولان
في تجارته ، وقد بلغ فرغانة ^(٢) مرة ، والأندلس مرة ، ونقّب في البلاد ،
وربّع في الآفاق ^(٣) ؛ ومن حاذق يُشاور ولا يُستعمل ، ثمّ لا تجدهما ^{٣٦}
يَسْتَبِينَان ، من سوء الحال وكثرة الدين . ومن صاحب حربٍ منكوب ،
وهو اللئثُ على برائته ، مع تمام العزيمة وشدة الشكيمة ، ونفّاذ البصيرة ،
ومع المعرفة بالمكيدة والصبر الدائم على الشدة .

[وبعد] ^(٤) فكّم من بيت شعر قد سار ، وأجود منه مقيمٌ في بطون
الدّفّاتر ، لا تزيده الأيامُ إلّا خمولا ، كما لا تزيده الذى دونه إلّا شهرةً ورفعةً .
وكم من مثلٍ قد طار به الحظُّ حتى عرفته الإمام ، ورواه الصبّيان والنساء .

(أثر الحظ في نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفرسان . وقد عرفتُ شهرةً عنتره في العامة ، ونباهةً
عمرو بن معدٍ يكرب ، وضربَ الناسُ المثلَ بعبيد الله بن الحرّ ^(٥) ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد في حدود التركستان .

(٣) نقّب في البلاد : ذهب فيها . وربّع في الآفاق : أقام في مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفي : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب

ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبيد الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه

تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه في الفرات ، فأت غريقاً . وكان

عبيد الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمعوا قط بعُتَيْبَةَ بنِ الحارثِ بنِ شهاب (١) ، ولا بِسِطَامِ بنِ قيس (٢) ، وكان عامرُ بنِ الطفيلِ أذكَرَ منهما نسباً .

ويذكرون عُبيدَ الله بنَ الحرِّ ، ولا يعرفون شُعبَةَ بنِ ظهير (٣) ولا زُهَيْرَ ابنَ ذُوَيْبِ ، ولا عَبَّادَ بنَ الحِصينِ (٤) . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القُرَيْبَةَ (٥) ولا يعرفون سَحْبَانَ وائل .

والعامَّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم (٦) إلا من قبيل الخاصة ، والخاصَّة لم تذكُر هؤلاء دون أولئك ، فتركتُ تحصيلَ الأمورِ والموازنةَ بين الرجال وحكمتُ بالسَّابقِ إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيئته ؛ ثمَّ استوت عِللُ العامَّة في ذلك وتشابهت .

والعامَّة والباعة والأغنياء (٧) والسَّفلةُ كأنَّهم أعداؤُ عامٍ واحد . وهم

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما بأبى أى ظعينة لقيت على ساء من أمواه معد ، ما لم يلقني دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدین : عترة والسليك بن السلسكة . (الأغانى : ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة .

(٣) كذا في س ، م وفي ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عبداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة في المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيباً يضرب به المثل . وكان أعرابياً أمياً . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء في الأغانى ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بن عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغنياء » .

في باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأسين في ظاهرهما ، وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّور والنَّعم (١) ، والأسنان والبلدان .

(تشابه طبائع العامة في كلِّ بلدة وفي كلِّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلَّ ردَّ قريشٍ ومُشركي العربِ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قوله ، فذكر ألفاظهم ، وجهد معانيهم ، ومقاديرهممهم التي كانت في وزن ما يكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ اتَّوَاصَوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَخُضِّمُ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ . ومثلُ هذا كثير ، ألا ترى أنَّكَ لا تجدُ بُدًّا في كلِّ بلدةٍ وفي كلِّ عصرٍ للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحدٍ (٢) وجهة واحدة ، من السَّخَط والحِمْق ، والغباوة والظلم ؛ وكذلك النخَّاسون (٣) على طبقاتهم ، من أصناف ما يبيعون . وكذلك السماكون والقلاسون (٤) وكذلك أصحابُ الخلقان (٥) كلُّهم ، في كلِّ دهرٍ وفي كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهة واحدة .

وكلُّ حجَّامٍ في الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا

في البلدان والأجناس والأسنان .

(١) يريد اللغات واللهجات .

(٢) في الأصل : « للحاكة فيهم على مقدار واحدة » .

(٣) النخاس : يباع الدواب والرقيق ، وفي ط ، م « النحاسون » وهي على الصواب في س .

(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفي ط « السماكون القلاسون » وفيه تصحيف

وتحريف أصلح من س ، م .

(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالي ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ

(١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْرُوباً عندَ السُّلْطَانِ إِلَّا وَهُوَ يَقُولُ : إِنِّي مَظْلُومٌ !
ولذلك قال الشاعر :

لَمْ يَخْلُقِ اللهُ مَسْجُونًا تَسْأَلُهُ مَا بَالُ سِجْنِكَ إِلَّا قَالَ مَظْلُومٌ^(١)
وليس في الأرض خصمان يتنازعان إلى حاكم ، إلا كل واحدٍ منهما
يَدْعِي عَدَمَ الْإِنصَافِ وَالظُّلْمَ عَلَى صَاحِبِهِ .

(مبالغة الإنسان في تقدير ما ينسب إليه)

وليس في الأرض إنسانٌ إِلَّا وَهُوَ يَطْرَبُ مِنْ صَوْتِ نَفْسِهِ ، وَيَعْتَرِيهِ
الغَلَطُ فِي شَعْرِهِ وَفِي وَلَدِهِ . إِلَّا أَنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ عَلَى طَبَقَاتٍ مِنَ الْغَلَطِ :
فَمِنْهُمْ الْغَرَقُ الْمَغْمُورُ^(٢) ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَد نَالَ مِنَ الصَّوَابِ وَنَالَ مِنَ الْخَطِئِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ خَطْؤُهُ مَسْتَوْرًا لِكثْرَةِ صَوَابِهِ ، فَمَا أَحْسَنَ حَالَهُ مَا لَمْ
يُمْتَحَنُ بِالْكَشْفِ . وَانْذَكَ احتِجَاجُ الْعَاقِلِ [فِي الْعُجْبِ بِوَلَدِهِ ، وَ^(٣)]
فِي اسْتِحْسَانِ كِتَابِهِ وَشَعْرِهِ ، مِنْ التَّحْفِظِ وَالتَّوَقُّي ، وَمِنْ إِعَادَةِ النَّظَرِ وَالتُّهْمَةِ
إِلَى أضعَافٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي سَأْرِ ذَلِكَ .

(١) وكذا في البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت في عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ :

(١١٦) :

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الغرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامة تحكم أن حاتماً أجودُ العرب ، ولو قدَّمته على هَرَمِ الجوادِ لما اعترَضته عليهم . ولكنَّ الذي يُحدِّثُ [به] ^(١) عن حاتم ، لا يبلغ مقدارَ مارووهُ عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بذلَّ نفسه في أعطية الكرم وبذلَّ المجهود فساوى حاتماً من هذا الوجه ، وبأينته ببذلَّ المهجة ^(٢) .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها] ^(٣) المقدارُ الذي يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ في هذا إلى الجلود والحُطوظِ والاتِّفاقاتِ ^(٤) ، وإلى عللِ باطنةٍ تجري الأمورُ عليها ، وفي الغوصِ عليها وفي معرِّفتِها بأعيانها عُسر ، كما جرت الأمورُ على هذه

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ماروى من أن كعباً هذا خرج في ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، في شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم - وهو أن يطرح في القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك - فقعدهوا للشرب ، فلما دار القعب فأنتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحد النظر إليه ؛ فأثره بمائه وقال للساق : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث في غدهم ما حدث في أمهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة النهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقليل له « رد كعب إنك وراذ » فمجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميداني ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام في حاجة إليها .

(٤) في الأصل : « فلو كان الأمر » النخ ؛ والوجه ما أثبت .

المجارى . ولو كان الأمر فيها مفوضاً إلى تقدير الرأى ، لسكان ينبغى لغالب ابن صعصعة^(١) أن يكون من المشهورين بالجوود ، دون هريم وحاتم .

(كلف العامة بماثر الجاهلية)

فإن زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلامياً وكان حاتمٌ في الجاهلية ، والناسُ بماثر العرب في الجاهلية أشدُّ كلفاً ، فقد صدقت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمورَ في هذا على خلافِ تقدير الرأى ، وإنما تجرى في الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدّم في تعبيتهما^(٢) وتسويتهما من لا تخفى عليه خافية ، ولا يفوته شيءٌ ولا يُعجزه . وإلا فما بالُ أيّامِ الإسلامِ ورجالها لم تكنْ أكبرَ في النفوس ، وأحلَّ^(٣) في الصدور من رجال الجاهلية ؛ مع قُرب العهدِ وعِظَمِ خطَرِ ماملِكوا ، وكثرة ما جادت به أنفسهم ؛ ومع الإسلام الذي شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم . ٣٨
ولو أنَّ جميعَ ماثر الجاهلية وُزنت به ، وبما كان في الجماعات اليسيرة^(٤) من رجالات^(٥) قريش في الإسلام لأُربت [هذه ^(٦)] عليها ، أو لسكانت مثلها .

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على علي . وأبوه صعصعة له صحبة . وأخته هندية بنت صعصعة زوج الزبير بن بدر ؛ أدركت النبي صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب في نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبئة الجيش بمعنى تهيئته في مواضعه ، وفي ط : « تبيينها » وهو تحريف ما أثبت من س ، م .

(٣) كذا بالخاء ؛ ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفي س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هي صفة « الجماعات » .

(٥) في الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقدّر الكلب والديك في أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلهما من
صُدور العامّة أسلفنا^(١) هذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقف
على أثمانهما من الفضة والذهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإعما
نتنظر^(٢) فيما وضع الله عزّ وجلّ فيهما من الدلالة عليه ، وعلى إتقان صنعه ،
وعلى عجب تدبيره ، وعلى لطيف حكيمته ؛ وفيما استخرنهما^(٣) من عجائب
المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس^(٤) ، وسخر لهما من عظام المنافع
والمرافق ، ودلّ بهما على أنّ الذي ألبسهما ذلك التدبير ، وأودعهما تلك
الحكم ، يجب^(٥) أن يفكر فيهما ؛ ويعتبر بهما ، ويسبح الله عزّ وجلّ
عندهما . فغشى ظاهرهما بالبرهان ، وعمّ باطنهما بالحكم ، وهيج على النظر
فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلّ ذى عقل أنّه لم يخلق الخلق سُدىً ؛ ولم يترك
الصُّور هملاً ؛ وليعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لم يدع شيئاً عُفلاً غير موسوم^(٦) ،
ونثراً غير منظوم ، وسُدّى غير محفوظ ؛ وأنّه لا يخطئه من عجيب تقديره ، ولا
يعطله من حلّ تدبيره^(٧) ، ولا من زينة الحكم وجلال قدرة البرهان .

-
- (١) ط ، م : « أسبقنا » و س : « سبقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .
(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفي الأصل : « نتنظر » من الانتظار ،
وهو تحريف .
(٣) استخرنهما : استودعهما . وفي الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشيء .
(٤) الأحساس : جمع حس .
(٥) في الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .
(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى في الأصل
« مرسوم » .
(٧) ط : « حلّ تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّوَابَةِ (١) والفراشة ، إلى الأفلاك السبعة وما دونها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلام في وجوه : أحدها أن تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لا يعلم بمكانهم [كثيرٌ] (٢) من الناس ، ولابدَّ أن يعرف ذلك الخلقُ معنى نفسه ، أو يعلمه صفوة [جنود] (٣) الله وملائكته ، أو تعرفه الأنبياء ، أو يعرفه [بعضٌ] (٤) الناس ، لا يجوز إلا ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عنى أنه خلق أسباباً ، ووهب عللاً ، وجعل ذلك رفداً لما يظهر لنا ونظاماً .

وكان بعض المفسرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله :

﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فليوقد ناراً في وسط غبضة ، أو في صحراء برية (٥) ثمَّ ينظر إلى ما يغشى النار من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنه سيرى صوراً ، ويتعرف خلقاً لم يكن يظنُّ أن الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم (٦) . وعلى أن الخلق الذي يغشى ناره [يختلف] (٧) على قدر اختلاف مواضع الغياض والبحار والجبال . ويعلم أن ما لم يبلغه أكثر

(١) الصُّوَابَةُ : بيضة القملة أو البرغوث . وهي في ط : « الصُّوَابَةُ » وفي س ، م :

« الصُّوَابَةُ » ، وكلاهما تحريف .

(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام . وجنود الله : في معنى ملائكته .

(٤) زيادة ضرورية .

(٥) لعلها « أو برية » .

(٦) لعلها « خلق شيئاً منه في ذلك العالم » .

(٧) الزيادة من س .

وأعجب . وما أَرَدُ هذا التَّأويل ، وإنَّه ليدخل عندى فى جملة مَاتَدَلُّ عليه الآية . وَمَنْ لَمْ يَقِلْ ذلك لم يفهم عن ربِّه ولم يفقه فى دينه .

٣٩

(ديدان الخلل والملح)

كَأَنَّكَ لا ترى أَنَّ فى دِيدَانِ الخللِّ والملحِّ ، والدِيدَانِ التى تتولد فى السُّمومِ إِذَا [عَتَقَتْ (١)] وعرض لها العفن - وهى بَعْدُ (٢) قواثل - عبرةٌ وأعجوبة ، وَأَنَّ (٣) التَّفَكُّرُ فيها مَشْحَذَةٌ للأذْهان ، وَمَنْبَهُةٌ لذوى الغفلة ، وتحليلٌ لعقدة البُلْدَةِ (٤) ، وسببٌ لاعتیاد الرویة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوة تقتاتها الرُّوح ، وثمرَةٌ تغذِّى العقل ، وتَرَقُّ فى الغايات الشريفة ، وتَشْرَفُ إلى معرفة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وَكأَنَّكَ لا ترى أَنَّ فى فأرة البيش (٥) وفى السمندل (٦) آيةٌ غريبة ، وصفةٌ عجيبية ، وداعيةٌ إلى التَّفَكُّر ، وسبباً إلى التَّعَجُّب [والتَّعْجِيب (٧)] .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لها فراغ فى كل من س ، م والتمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سددت هذا الفراغ بما نقل الثعالبي عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلاهه فى (دودة الخلل) . وعتق الشيء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعدد » وما هنا أشبهه بلغة الجاحظ .

(٣) فى الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثار : « البلادة » . وقد عرفت أنها بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يستقط فى النار فلا يحترق ريشه - زعموا . (الحيوان ٥ :

٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكللة من مب .

(الجمل والورد)

وكأنك لا ترى أن في الجمل ، الذي متى دفتته في الورد سكنت حركته
وبطلت^(١) في رأى العين رُوْحُه ، ومتى أعدته إلى الروث انحلت عُقدته^(٢) ،
وعادت حركته ، ورجع حسه - أعجب العجب ، وأحكم الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شئ أعجبُ من الخلد^(٣) ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهَيُّ
[الله^(٤)] له مايقوته^(٥) ، وهو أعمى لا يبصر ، وأصمُّ لا يسمع ، وبلدٌ
لا يتصرف ، وأبله لا يعرف ! ومع ذلك أنه لا يجوز باب جحره ، ولا^(٦)
يتكلف سوى ما يجلبُ إليه رازقه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شئ أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلا أن يخلل أسنان
التمساح ، ويكون ذلك له^(٧)] .

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دوية عمياء صماء لا تعرف
ما يندون منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لا سمع لها ولا بصر لها ،
فتفتح فاهها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شديقها ويمر بين
خبيها ، فتسد فها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها
وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكي في
التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان في حجم ابن عرس : . وليس له بصر . . .
وهو أقوى الحيوانات سمماً » .

(٤) التكلفة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكلفة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأى شئ أعجب من طائرين ، يراهما الناس من أدنى جُدود البحر (١)
من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقِّ السُّنْد ، أحدهما كبيرُ الجُثَّة
يرتفع في الهواء صُعداً (٢) ، والآخَرُ صغيرُ الجُثَّةِ يتقلَّب عليه ويعبث به ، فلا
يزال مرَّةً يرفرفُ حوله ويرتقى على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند ذُناباهُ ،
ويدخلُ تحتَ جناحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزالُ يغمه ويكرِّبه (٣)
حتى يتَّقيه بذرقه ، فإذا ذرَّق شحاله فاه (٤) فلا يخطئُ أقصى حلِقِه حتى كأنه
دحا (٥) به في بئر ، وحتى كأنَّ ذرقه مدحاةٌ بيد أسوار (٦) ، فلا الطائرُ
الصغيرُ يخطئُ في التلقُّى ، وفي معرفته أنه لارزق له إلا الذي في ذلك المكان ؛
ولا الكبيرُ يخطئُ التَّسديد (٧) ، ويعلمُ أنه لاينجيه منه إلا أن يتَّقيه
بذرقه ، فإذا أوعى ذلك الذَّرَق (٨) ، واستوفى (٩) ذلك الرِّزق ، رجع

(١) الجُدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدة بالكسر
أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « يغمه ويكرِّبه » ، وصوابه في س ، م . وفي مب : « يغمه ويكرِّبه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحافاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت ما في س . و « رما - وصوابهما رمى - » و « دحا »
بمعنى . وفي مب : « كأنه راد في بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أى الرمي . الأسوار بالضم والكسر : الجيـ
الرمي بالسهام . مب : « مدحاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التَّسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التَّسديد » .

(٨) الذَّرَق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : « استوى في » ، وصوابه في س ، مب .

شبعان رِيَانًا بَقُوتِ يَوْمِهِ ، ومضى الطائرُ الكبيرَ لِطَيْبَتِهِ . وأمرهما مشهورٌ
وشأنهما ظاهر ، لا يمكن دفعه ولا تَهْمَةُ الحَيرين عنه .

(التخالف بين الحيوان في الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوش كَسُوبًا محتالا ، وبعضَ الوحوش
متوكِّلا غيرَ محتال ، وبعضَ الحشرات يدخِر لنفسه رِزْقَ سنَّتِهِ ؛ وبعضاً ٤٠
يتكل على الثُّقَّةِ بَأَنَّ له كلَّ يومٍ قَدَرَ كِفَايَتِهِ ، رزقاً معدداً وأمرًا مقطوعاً .
وجعل [بعض (١)] الهمج يدخِر ، وبعضه يتكسَّب ، وبعضَ الذكورة يعولُ
ولده ، وبعضَ الذكورة لا يعرف ولده ، وبعضَ الإناث مُخَرِّجٌ ولدها (٢) ،
وبعضَ الإناث تضيِّع ولدها وتكفلُ ولدَ غيرها ، وبعضَ الأجناس معطوفةٌ
على كلِّ ولدٍ من جنسها ، وبعضَ الإناث لا تعرف ولدها بعد استغنائها عنها ،
وبعضَ الإناث لا تزال تعرفُه وتعطفُ عليه ، وبعضَ الإناث تأكلُ ولدها ،
وكذلك بعضَ الذكورة . وبعضَ الأجناس يُعادي كُلَّ ما يكسر بيضها (٣)
أو يأكل أولادها . وجعل يُتمُّ بعضَ الحيوان من قبيل أمهاتها ، وجعل يُتمُّ
بعضها من قبيل آبائها ، وجعل بعضها لا ياتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها
مستفرغٌ الهَمِّ في حُبِّ الذرِّءِ (٤) والتماس الولد ؛ وجعل بعضها يُزَوجُ وبعضها لا يزَوجُ

(١) التكلية من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « نخرج » من الإخراج .

كما نقل الجاحظ عن أرسطو في الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لا بد أن

تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اه لكن المقابلة ترجح

الضبط الأول . وفي مب : « تبغض ولدها » .

(٣) ما عدا مب : « كل شيء ويكسر بيضها » .

(٤) الذرء : النسل .

ليكون للمتوكل من الناس جهةً في [توكله ، وللمتكسب جهةً في (١)] تكسبه
وليُحْضِرَ (٢) على باهم أسباب البرِّ والعقوق ، وأسباب الحظر والتربية ،
وأسباب الوحشة من الأرحام الماسة .

(افتراق المعاني واختلاف العلل)

ولم كان افتراق المعاني (٣) واختلاف العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبعضهم : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » (٤) . وقال لبلال : « أَنْفِقْ بِلَالُ ، وَلَا تَحْشَ
مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ! » .

[فافهموا هذا التدبير ، وتعلموا هذه الحكيم ، واعرفوا مداخلها ومخارجها
ومفرقاتها ومجموعاتها ؛ فإن الله عز وجل لم يُرَدِّدْ في كتابه ذكر الاعتبار ، والحث
على التفكير ، والترغيب في النظر وفي الثبوت والتعرف والتوقف (١)] ، إلا
وهو يريد أن تكونوا علماء من تلك الجهة ، حكماً من هذه التعبئة (٥) .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنه لولا الاستدلال
بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييز المضار من المنافع (٦) ، والردى
من الجيد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعل الله عز وجل العيون المدركة .
والإنسان الحساس (٧) إذا كانت الأمور المميّزة عنده ، أخذ ما يحتاج إليه وترك
ما يستغنى عنه وما يضرُّ لأخذه (٨) ، فيأخذ ما يحبُّ ويدعُ ما يكره ، ويشكر

(١) التكملة من مب . (٢) ماعدا مب : « ولتحظر » .

(٣) ماعدا مب : « اقتران المعاني » .

(٤) رواه الترمذي عن أنس . وقال السيوطي : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .

(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « هذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : « الضار من النافع » .

(٧) في الأصل : « ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « وما يضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفية العقاب ،
ويذكر بالمحسوب كيفية الثواب ، ويعرف بذلك كيفية التضاعيف ، ويكون
مايغمه رادعاً له ، وممتحناً بالصبر عليه ، وما يسره باسطاً له وممتحناً بالشكر
٤١ عليه . وللعقل في خلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتذئق^(١) للخواطر
أسباب ، ويتهيأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسية^(٢)
والوجدانات الغريزية ، وتميز الأمور بها ؛ إلى ما يتميز عند العقول^(٣) وتحصره
المقاييس . وليكون عمل الدنيا سلماً إلى عمل الآخرة ، وليترقى من معرفة
الحواس إلى معرفة العقول ، ومن معرفة الروية من غاية إلى غاية ؛ حتى
لا يرضى من العلم والعمل إلا بما أذاه إلى الثواب الدائم ، ونجاة من
العقاب الأليم^(٤) .

(ما يحسن الكلب مما لا يحسنه الإنسان)

سندك طرفاً مما أودع الله - عز وجل - الكلب مما لا تحسنه أنت
أيها الإنسان ، مع احتقارك له وظلمك إياه .

وكيف لا تكون تلك الحكم لطيفة ، وتلك المعاني غريبة ، وتلك
الاحساس دقيقة ، ونحن نعلم أن أدق الناس حساً وأرقهم ذهناً وأحضرهم
فهماً ، وأصحهم خاطراً وأكملهم تجربة وعلماً ، لو رام الشيء الذي يحسنه
الكلب في كثير من حالات الكلب لظهر [له^(٥)] من عجزه وخرقه ، وكلال

(١) في س : م ، « وتشر » . وفي ط : « تنشؤ » . وأثبت ما في م .

(٢) ط : « الحبيبة » ، وتصحيحه من س .

(٣) ماعدا م : « عنه العقول » تحريف .

(٤) ماعدا م : « الدائم » . (٥) التكلمة من م .

حدّه وفساد حسّه ، ما [لا (١)] يعرف بدونه أنّ الأمور لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا على مبلغ عقله وتقديره ، ولا على محبّته وشهوته ؛ وأنّ الذي قسم ذلك لا يحتاج إلى المشاورة والمعاونة ، وإلى مكانفة ومُرافدة (٢) ، ولا إلى تجربة وروية . ونحن ذاكرون من ذلك جملاً إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب في الصيد)

أعلم أنّ الكلب إذا عاين الطّباء ، قريبةً كانت أو بعيدةً ، عرف المعتلّ وغير المعتل (٣) وعرف العنز من التّيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلاّ قصد التّيس - وإنّ علم أنّه أشدُّ حُضراً ، وأطولُ وثبةً ، وأبعدُ شوطاً - ويدعُ العنز وهو يرى مافيهما من نقصان حُضرها وقصر قابِ خطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقَبَ ببوله (٤) !!

(ما يعترى الحيوان عند الفزع)

وكلُّ حيوان (٥) إذا اشتدَّ فزعه ، فإنّه يعرض (٦) له إمّا سَلَسَ البول والتقطير ، وإمّا الأُسْر (٧) والحَقَب . وكذلك المَضروب بالسيّاط على الأكتاف ، وبالعصى على الأستاه . وما (٨) أكثر ما يعترى بهم البول والغائط .

-
- (١) هذه الزيادة يستقيم الكلام .
(٢) ماعدا مب : « مكانفة ومرادفة » .
(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفي الديمري - وأحسب أنه نقل عن الجاحظ - « عرف المقبل من المدبر » .
(٤) حقب ببوله : تعسر عليه البول . (٥) ماعدا مب : « وكل الحيوان » .
(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .
(٧) الأُسْر ، بالضم : احتباس البول .
(٨) ط : « وأما » ، وصوابه في س . وفي مب : « فإ » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأبطال إذا عاينَ العدوَّ قَطَرَ إلى أن يذهب عنه ، لهولِ الجنان (١) .

وإذا حَقِبَ التَّيس (٢) لم يستطع البُولُ مع شدَّةِ الحُضْر ، ومع النَّفْرِ والزَّمَع (٣) ، ووضع القوائمَ معاً ورفَعِها معاً ، في أسرعَ من الطَّرْف (٤) فيثقلُ عدُوُّه ، ويقصُرُ مَدَى خُطاه (٥) ، ويعتريه البُهرُ حتَّى يلحقه الكلبُ فيأخذه .
والعز من الطُّباء إذا اعتراها البُولُ من شدَّةِ الفزع لم تجمعهُ ، وحذفت به كإيزاغ المَخاض الضَّوَّارِب (٦) ، لسعةِ السَّيِّيل وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدمومَ شدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

فهذا شيءٌ في طبعِ الكلبِ معرفته ، دونَ سائرِ الحيوان .
والكلبُ الجربُّ لا يحتاجُ في ذلك إلى مُعانةٍ ، ولا إلى تعلُّمٍ ، ولا إلى رويَّةٍ ولا إلى تكلفٍ ، قد كفاه ذلك الذي خَلَقَ العَقْلَ والعَاقِلَ والمعقولَ ، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداوي ، وقسَمَ الأمورَ على الحكمةِ ، وعلى تمامِ مصلحةِ الخليقةِ .

(ذكاء الكلب ومهارته في الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّهُ المُكَلَّبُ يُخرجه إلى الصيد في يومٍ ، الأرضُ فيه ملبَّسة من الجليد ، ومغشَّاةٌ بالثلج ، قد تراكم عليها طبقاتاً على طبق ،

-
- (١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : «تعب» .
(٣) النفز : وثب الظبي خاصة ، ويقال ظبي ينفوز . وفي ط ، س : «النفز» بالراء . وفي مب : «البعر» . وفيما عدا مب : «والجزع» . والزَّمَع : القلق والخرق .
(٤) كذا في س ، مب ، وهو الضوَّاب . وفي ط : «فا أسرع في الطرف» .
(٥) ماعدا مب : «فيقتصر خطوه» .
(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . والمخاض : النوق الحوامل ، وهي في ط «المخاض» محرفة ، وصوابها في س ، مب . والضوارب : التي تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :
يضرب يزيل الهام عن سكناته وطمع كإيزاغ المخاض الضوارب

حَتَّى طَبَّقَهَا وَاسْتَفَاضَ فِيهَا^(١) ، حَتَّى رَجَمَا ضَرْبَتَهُ الرِّيحَ بِرَدِّهَا ، فَيَعُودُ كُلُّ طَبَقٍ مِنْهَا وَكَأَنَّهُ صِفَاةٌ مَلْسَاءٌ ، أَوْ صَخْرَةٌ خُلِقَتْ^(٢) ، حَتَّى لَا يَثْبُتَ عَلَيْهَا قَدَمٌ وَلَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ ، [إِلَّا]^(٣) بِالثَّبِيثِ الشَّدِيدِ ، أَوْ بِالْجُهْدِ وَالتَّفْرِيقِ — فَيَمْضِي^(٤) السِّكْلَابُ بِالسِّكْلِ ، وَهُوَ إِنْسَانٌ عَاقِلٌ ، وَصِيَّادٌ مَجْرَبٌ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَدْرِي أَيْنَ جُحِرَ الْأَرَنْبِ مِنْ جَمِيعِ بَسَائِطِ الْأَرْضِ^(٥) ، وَلَا مَوْضِعَ كُنَّاسِ ظَبْيٍ ، وَلَا مَكْوِ ثَعْلَبٍ^(٦) ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِجِ^(٧) وَحُوشِ الْأَرْضِ ؛ فَيَتَخَرَّقُ السِّكْلَابُ^(٨) بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَيَتَشَمَّمُ وَيَتَبَصَّرُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقِفَ عَلَى أَفْوَاهِ تِلْكَ الْجِحْرَةِ ، وَحَتَّى يُثِيرَ الَّذِي فِيهَا بِتَنْفِيسِ الَّذِي فِيهَا^(٩) ، وَذَلِكَ أَنَّ أَنْفَاسَهَا وَبُخَارَ أَجْوَافِهَا وَأَبْدَانِهَا ، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَارَةِ الْمَسْتَكْنَةِ^(١٠) فِي عَمَقِ الْأَرْضِ — مِمَّا يُذِيبُ مَا لَاقَاهَا^(١١) مِنْ فَمِ الْجِحْرِ ، مِنَ الثَّلْجِ الْجَامِدِ ، حَتَّى يَرِقَّ وَيَكَادُ أَنْ يَثْبُتَهُ^(١٢) وَذَلِكَ خَفِيُّ غَامِضٍ ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ قَانِصٌ^(١٣) وَلَا رَاعٍ ، وَلَا قَائِفٌ وَلَا فَلَاحٌ ، وَلَا يَسُقِعُ عَلَيْهِ إِلَّا السِّكْلَابُ الصَّائِدُ الْمَاهِرُ .

(١) ط : « استفاض فيها » ؛ وصوابه في سائر النسخ .

(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة المساء التي لا يؤثر فيها شيء .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ماعدا مب : « فضى » ، تحريف .

(٥) مب : « بسيط الأرض » .

(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكن ثعلب » .

(٧) موالج : مداخل .

(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .

(٩) بتنفيس الذي فيها ؛ ليس في مب .

(١٠) ط : « المستكنة » ، وأثبت ما في س ، م ، مب .

(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .

(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .

(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه في س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أن للكلب^(١) في تَتَّبِعُ الدَّرَاجَ^(٢) والإصعادِ خَلْفَ الأرانبِ
في الجبَلِ الشاهقِ ، من الرِّفْقِ وحسن الاهتداء والتأثي^(٣) ما ينجي مكانه
على البيازرة^(٤) والكلابين .

(الانتباه الغريزي في الكلب)

وقد خبرني صديقٌ لي أنه حبس كلباً له في بيتٍ وأغلقَ دونه الباب
في الوقت الذي كان طبَّأخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثمَّ أحدَّ
سِكِّيناً بسكين ، فنبَّحَ الكلب [وقلق^(٥)] ، ورامَ فتحَ الباب ؛ لتوهِّمه أنَّ
الطبَّأخ قد رجَّع من السوق بالوظيفة^(٦) ، وهو يحد السِّكِّين ليقطع اللحم !!
قال : فلما كان العشيُّ صنعنا به مثلَ ذلك ، لتتعرَّفَ حاله في معرفة
الوقت ، فلم يتحرَّك !!

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لي آخرَ فلم يَقْلُقْ إلَّا قليلاً يسيراً ، فلم يلبث
أن رجَّع الطبَّأخُ فصنَّع بالسِّكِّين مثلَ صنيعي ، فقلقَ حتَّى رامَ فتحَ الباب !!
قال فقلقت : والله لئنْ كان عرفَ الوقتَ بالرَّصد^(٧) فتحركَ له ، فلما لم
يشمَّ ريحَ اللحم عرفَ أنه ليس بشيء ، ثمَّ لما سمع صوتَ السِّكِّين

٤٣

-
- (١) في الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .
(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين: وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا
أنه اللطف . و « تتبع » هي في الأصل : « تنبَّح » وفي مب : « تبنيج » ، والوجه ما أثبت .
(٣) مب : « التأثي » ؛ وفيما عداها : « التأثي » ؛ والوجه ما أثبت . والتأثي : حسن الاحتيال .
(٤) ماعدا مب : « لا ينجي » و « لا » مقحمة ؛ والبيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو
الصائد بالبازي . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ما أثبت من مب .
(٥) التكلمة من مب .
(٦) الوظيفة : ما يقدر من طعام أو رزق في اليوم ، وكذا في السنة والزمان المعين .
(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهَبْ ، وَقَدْ جِئْتُ بِاللَّحْمِ [فَشَمَّ رِيحَ اللَّحْمِ] من المطبخ (١) وهو في البيت ، أو عرف فَصْل (٢) ما بين إحدادي السَّكِينِ وإحدادي الطباخ ، إنَّ هذا أيضاً لَعَجَبٌ .

وإنَّ اللحمَ ليكونُ بيني وبينه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجدُ رِيحَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُذْنِيهِ من أنفي . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أجدُ أهلَ سَكَّةِ أَصْطَفَانُوس (٣) ، ودار جارية ، وباعةَ مُرَبَّعةِ بنى مُنْقَرٍ (٤) يشكُّونَ أنَّ كلباً كان يكونُ في أعلى السكة ، وكان لا يجوزُ مَحْرَسَ الحارس أيامَ الأسبوعِ كُلِّهِ ، حتَّى إذا كان يومُ الجمعةِ أَقْبَلَ قَبْلَ صلاةِ الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جارية ، فلا يزالُ هناكَ مادامَ على مِغلاقِ الجُرَّارِ شَيْئٌ من لحم . وبابُ جاريةٍ تُنحَرُ عنده الجُرُّرُ في جميعِ أَيَّامِ الجمعِ خاصَّةً ، فكان ذلك لهذا الكلبِ عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] في ذلك الموضع في سائرِ الأيَّامِ (٥) ، حتَّى إذا كان غداةَ الجمعةِ أَقْبَلَ !

فليس يكونُ مثلاً هذا إلا عن مقداريةٍ (٦) بمقدار ما بين الوقتين .

ولعلَّ كثيراً من الناس ينتابون بعض [هذه (٧)] المواضع في يومِ الجمعةِ ،

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابها في س ، م ب . والتكلمة قبله من م ب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) وضع في البصرة ، مسماة باسم كاتب نصراني كان في أيام زياد أو ماقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الحظوظ مقسومة ، لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضاف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصراني من أهل البحرين - يريد أصطفانوس - وتركوا الصحابة » . معجم البلدان (أصطفانوس ، وسكة أصطفانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفي ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ما أثبت من س ، م ، م ب والتيمورية . وهى وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكلمة من م ب . و « في سائر الأيام » ساقط من م ب . وفي سائر النسخ : « في سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعى من كلمة « مقدار » . م ب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إِذَا لَصَلَاةٍ ، وَإِمَا لَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَا يَعْدِمُهُمْ (١) النَّسِيَانُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ،
وَالِاسْتَذْكَارَ بِغَيْرِهِمْ (٢) . [وَهَذَا (٣)] الْكَلْبُ لَمْ يَنْسَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا
يَسْتَذْكَرُ بِغَيْرِهِ (٤) .

وَزَعِمَ هَؤُلَاءُ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّهِمْ تَفَقَّدُوا شَأْنَ هَذَا الْكَلْبِ مِنْذَ انْتَبَهَوْا
لِصَّنَاعِهِ هَذَا (٥) ، فَلَمْ يَجِدُوهُ غَادِرًا ذَلِكَ يَوْمًا وَاحِدًا . فَهَذَا هَذَا .

(قِصَّةٌ فِي وِفَاءِ الْكَلْبِ)

وَأَنشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ خَالَوَيْهِ (٦) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :
يَعْرِدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ وَيَنْبِشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ (٧)
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ (٨) : قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَجُلًا خَرَجَ إِلَى الْجَبَّانِ يَنْتَظِرُ رِكَابَهُ
فَاتَّبَعَهُ كَلْبٌ كَانَ لَهُ ، فَضَرَبَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَرَمَاهُ
بِحِجْرٍ ، فَأَبَى الْكَلْبُ إِلَّا أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِيدُ فِيهِ
الِانْتِظَارَ ، رَبَضَ الْكَلْبُ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ (٩) إِذْ آتَاهُ أَعْدَاءُهُ لَهُ يُطْلِبُونَهُ

(١) يُقَالُ مَا يَعْدَمُنِي هَذَا الْأَمْرُ : أَي مَا يَسُدُونِي . وَيُقَالُ أَيْضًا : أَعْدَمَنِي الشَّيْءُ :

إِذَا لَمْ أَجِدْهُ . وَفِي ط : « لَا يَعْدُ فِيهِمْ » ، وَهُوَ تَحْرِيفُ مَا فِي س ، مَب .

(٢) مَا عَادَا مَب : « لَغَيْرِ » .

(٣) التَّكْمِلَةُ مِنْ مَب . (٤) مَا عَادَا مَب : « وَلَمْ يَتَذَكَّرْ » .

(٥) كَلِمَةٌ « هَذَا » مِنْ مَب فَقَط . وَفِي مَا عَادَا مَب : « لَصْنَعَهُ » . (٦) مَب : « بِنْ حَلْوِهِ » .

(٧) التَّعْرِيدُ : الإِحْجَامُ وَالْفِرَارُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَعُودُ » ، وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ يَصِحُّ .

وَالصَّوَابُ مَا كَتَبْتُ مِنْ تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ص ١٦٦ .

(٨) قِصَّةُ الْبَيْتِ رَوَاهَا ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهَا تَبَايَنَ

مَا هُنَا ، قَالَ : « وَقَدْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَذْكَرُ أَنَّ رَجُلَيْنِ سَافَرَا مَعَ أَحَدِهِمَا كَلْبٌ لَهُ ،

فَوَقَعَ عَلَيْهِمَا لِلصُّوَرِ قِتْلًا أَحَدُهُمَا حَتَّى غَلِبَ وَأَخَذَ قَدْفَنَ وَتَرَكَ رَأْسَهُ بَارِزًا ، وَجَاءَتِ الْغُرَبَانُ

وَسَبَّاحُ الطَّيْرِ فَحَامَتِ حَوْلَهُ ، تَرِيدُ أَنْ تَنْهَشَهُ وَتَقْلَعَ عَيْنَيْهِ ، وَرَأَى ذَلِكَ كَلْبٌ كَانَ مَعَهُ ،

فَلَمْ يَزَلْ يَنْبِشُ التُّرَابَ عَنْهُ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ فَرَّ صَاحِبُهُ ، وَأَسْلَمَهُ » .

(٩) مَا عَادَا مَب : « قَرِيبًا فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جار له وأخوه دنياً^(١) ، فأسلماه وهربا عنه ، فجرح جراحاتٍ ورُمي به في بئرٍ غير بعيدة القعر ، ثم حثوا عليه من التراب حتى غطى رأسه^(٢) ثم كُمم فوق رأسه منه^(٣) ، والكلبُ في ذلك يزجم^(٤) ويهرُّ ، فلما انصرفوا أتى رأس البئر ؛ فما زال يعوى وينبث^(٥) عنه ويحشو التراب بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسه ، فتنفَسَ ورَدَّتْ إليه الروح^(٦) ٤٤ وقد كاد يموت ولم يبق منه إلا حُشاشة ، فبينما هو كذلك إذ مرَّ ناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرجل في تلك الحال ، فاستشالوه^(٧) فأخرجوه حياً ، وحملوه حتى أدَّوه إلى أهله ، فزعم أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب . وهو مُتَيَّمين عن النجف^(٨) .

وهذا العمل يدل على وقاٍ طبعي^(٩) وإلفٍ غريزيٍّ ومحاماةٍ شديدة ، وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرمٍ وشكرٍ ، وعلى غناءٍ عجيبٍ ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛ لأن ذلك كلُّه كان من غير تكلف ولا تصنع .

(١) قال الوزير أبو بكر البجليوسي : « إذا كسر أوله جاز فيه التتوين ، وإذا ضم لم يجوز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعله لا يكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث . » ودنيا بمعنى الأذى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا في ابن العم أو العمة أو ابن الحال ، أو الحالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) اعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزجم » . وفي سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ما أثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش تراها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيت » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابي)

وقال مؤمل^(١) بن خاقان، لأعرابيٍّ من بني أسد، وقد أكلَ جرَّو كلب:

أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر^(٢) :

إذا أسدىُّ جاعَ يوماً ببلدٍ وكان سميناً كلبه فهو آكله

أكلٌ هذا قرماً إلى اللحم ؟ ! قال : فأنشأ^(٣) الأسدىُّ يقول :

وصبياً بحظِّ الليثِ طعماً وشهوةً

فسائل أخا الخلفاء إن كنت لاتدرى^(٤)

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسدَ^(٥) لا يحرص على شيءٍ من اللُّحمانِ حرصه على

لحم الكلب . وأمَّا العامَّة فتزعمُ أنَّ لحوم الشاء أحبُّ اللُّحمانِ إليه ، قالوا :

ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لأنَّ وثبة

الأسد تُعجِّل الكلب عن القيام وهو رابض . حتَّى رُبَّما دعاهم ذلك إلى

إخراج الكلب من قَراهم ؛ إلاَّ أنْ يَكون بقرب ضياعهم خنازيرُ ، فليس

حينئذٍ شيءٌ أحبُّ إليهم من أنْ تسكُر الأسدُ عندهم . وإِنَّمَا يُخرجون

عنهم في تلك الحالات الكلاب^(٦) ، لأنَّهم يخافونها على ما هو عندهم أنفسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥ .

(٢) هو الفرزدق كما في البخلاء ١٩٨ والمعاني الكبير ٢٥٤ .

(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .

(٤) ماعدا مب : « الخلاء » وفي ط : « أخى » ، صوابه في مب والمعاني الكبير . قال

ابن قتيبة : « وأخو الخلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الخلفاء في الغياض » .

(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ما أثبت من س ، م . وفي مب : « وذلك أن الأسد » .

(٦) مب : « وإِنَّمَا يُخرجون في تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ في الكلب^(١) ، ولا يكون ذلك إلا في القرى
التي يقرب الغيضة أو المأسدة^(٢) .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعملى^(٣) بعض الدهاقين قولاً لا أدرى كيف هو ، ذكر^(٤) أنهم لا يشكون
أنه إنما يطلب الكلب لحنقه عليه ، لا من طريق أن لحمه أحب اللحان
إليه . وإن الأسد ليأتى مناقع المياه ، وشطوط الأنهار ، فيأكل السراطين
والضفادع ، والرق^(٥) والسلاحف ، وإنه أشره من أن يختار لحما على لحم .
قال : وإنما يكون ذلك منه إذا أراد المتطرف من حير القرية وشائها
وسائر دوابها . فإذا لج الكلب في النباح انتبهوا ونذروا بالأسد^(٦) . فكانوا
بين أن يحصنوا أموالهم وبين أن يهجهجوا به^(٧) . فيرجع خائبا . فإذا أراد
ذلك بدأ بالكلب ؛ لأن يأمن [بذلك] الإنذار^(٨) ، ثم يستولى على القرية^(٩)
بما فيها . وإنما يطالب الأسد الكلاب لهذه العلة .

٤٥

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التي تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفي الأصل : « الزق » بالزاي ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال . مب : « فألح الكلب

في النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجج بالكلب : صاح به ليبعده فقال له : هج ! هج !

(٨) أى لكي يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون في أعلى القرية . س ، م : « ثم يستولى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد في الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِي الموصل - وأنا هائب له - ورأيتُ
الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبَّله جميعُهُم . وزعموا أنَّ الأسدَ ربَّما جاء إلى قَلَسِ
السفينة^(١) ، فيتشبَّث به ليلاً ، والمَلَّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ
القَلَسَ قد التفتَّ على صخرة ، أو تعلقَ بجذمِ شجرة^(٢) . ومن عاداتهم أن يبعثوا
الأولَّ من المداين ليحمله^(٣) . فإذا رجع إليه الملاحُ ليمده تمددَ الأسدُ بالأرض ،
ولزقَ بها^(٤) ، وعمَّض عينيه كي لا يُبصرَ ويبصُّهما بالليل^(٥) ، فإذا قُرب
منه وثب عليه فحظفه^(٦) ، فلا يكون للملاحين همٌّ إلاَّ الإلقاءَ أنفُسهم في الماء
وعبورهم إليه : وربما أكاه إلا ما بقيَ منه ، وربما جرَّ فريسته إلى عريسه
وعريته^(٧) ، وإلى أجرائه وأشباليه ، وإن كانَ ذلك على أميال^(٨) .

(سلاح الكلب وسلاح الديك)

قالوا : فليس الديك من بابَةِ الكلب ؛ لأنَّهُ إن ساوره قهره
قهرًا ذريعًا . وسلاحُ الكلب الذي هو [في^(٩)] فيه ، أقوى من صبيصة^(١٠)

- (١) القلس ، بالفتح : حيل غليظ من حبال السفن . ماعدا مب : « جلال قلس السفينة » .
- (٢) جذم الشجرة : أصلها .
- (٣) ط : « أول المداين » ، محرفة . وفي م : « أول المداين » ، وأثبت ما في س ،
مب . وفيما عدا مب : « ليحله » .
- (٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
- (٥) الوبيص : البريق . (٦) مب : « فحظمه » .
- (٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفي م : « عريشته » وفي مب : « إلى
عريسته وعرسه » .
- (٨) ما عدا مب : « وإن كان ذلك على أميال » .
- (٩) زيادة ضرورية .
- (١٠) الصبيصة : شوكة في رجل الديك ، كما في اللسان والقاموس . وقيل : صوابه
« الصبيصة » وقيل : تلك مخففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صبيصته » .

الديك التي (١) في رجله (٢) ، وصوته أُنْدَى وأبَعَد مَدَى (٣) ،
وعينه أَيْقِظ .

(دفاع عن الكلاب)

والكلب يَكْفِي نفسه (٤) ويحمي غيره ، ويعُول أهله ، فيكون لصاحبه
عُنْمه وليس عليه عُرْمه . وَلَمَّا يَرْمَحُ (٥) الدوابُّ من الناس ، وَلَمَّا يَحْرَنُ
ويجْمَحُ ، وتَنْطَحُ وتقتل أهلها في يومٍ واحدٍ ، أَكْثَرُ ممَّا يكونُ من جميع
الكلاب في عام .

والكَبْشُ يَنْطَحُ فيعقر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبث به .

والبرذون يعضُّ ويرمح من غير أن يُهاج به ويُعبث .

وأنت لاتكادُ ترى كلباً يعضُّ أحداً إلا من تهيج شديد ، وأكثر ذلك
أيضاً إنما هو النَّبَاحُ والوعيد .

(١) في الأصل : « الذي » ، والوجه ما أثبت .

(٢) قرأت في نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفي الديك الصيصة ، وهي طرف عرفة
الحاد ، وهي سلاحه الذي يقاتل به ، وبها سمى قرن الثور صيصة » ، فقد جعل
الصيصة في العرف كما ترى .

(٣) أُنْدَى في معنى أبعد . وفي ط : « الذي أبعد » ، تحريف صوابه في س . وكلمة « مدى »
من مب .

(٤) ما عدا مب : « يحمي نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ما عدا مب : « ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرف وجهَ ربِّه ^(١) [من وجه عبده] وأمتِه ، ووجهَ الزائر .
حتىَّ ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرماً ^(٢) ، فإذا أبصره قادماً اعتراه من
الفرح والبصبة ، والعواء ^(٣) الذي يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ،
مالا يكون فيه شيءٌ فوقه ^(٤) .

(قصّة في وفاء كلب)

وخبرني صديقٌ لي قال : كان عندنا جروٌ كلب ، وكان لي خادماً
لهججٌ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرٌ المعايضة له ، فغاب عن
البصرة أشهراً ^(٥) ، فقلت لبعض من عندي: أتظنون أن فلانا (يعني الكلب)
يُثبت اليوم صورة فلان (يعني خادمه الغائب) وقد فارقه وهو جرو ، وقد
صار كلباً يشغّر ببوله؟ قالوا: مانشك أنه قد نسي صورته وجميع برّه كان به ^(٦) .
قال : فيينا أنا جالسٌ في الدار إذ سمعت من قبَلِ بابِ الدار نباحه ، فلم أرَ
شكلاً نباحه من التأنب ^(٧) والتعثيث ^(٨) والتوعّد ، ورأيت فيه بصببةً

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكلمة بعده من مب .

(٢) مجرماً : كاملاً . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولاً كاملاً » وفي س : « نعم ربما

غاب عنه صاحبه حولاً كاملاً » ، صوابه في مب .

(٣) ط : « والالتواء » .

(٤) ماعدا مب : « بما لاشيء فوقه » .

(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهراً » .

(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .

(٧) كذا . وفي س : « التونب » وفي مب « من شكل التوثب » .

(٨) التعثيث : الترجيع في الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

الشُرور ، وحين الإلف . ثم لم ألبث أن رأيت الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ ٤٦
الكلبَ ليلتفُّ على ساقيه ، ويرتفع إلى فخذيه ، وينظر في وجهه ، ويصبح
صباحاً يستبين فيه الفرحُ . واقدم بلغ من إفراط سُورهِ أني ظننتُ أنه
عُرض^(١) . ثم كان بعد ذلك يغيب الشهرين والثلاثة ، أو يمضي إلى بغداد
ثم يرجع إلى العسكر^(٢) بعد أيام ، فأعرف بذلك الضرب من البصبصة ، وبذلك
النوع من التُّباح ، أنَّ الخادمَ قديم . حتى قلتُ لبعض من عندي^(٣) : ينبغي أن
يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الكلب .

وزعم لي أنه ربما ألقى لهذا الجرو إلى أن صار كلباً تاماً ، بعضُ الطعام
فيأكل منه ما أكل ، ثم يمضي بالباقي فيخبؤه^(٤) . وربما ألقى إليه الشيء
وهو شبعان فيحتمله ، حتى يأتي به بعض الخابئ فيضعه هناك ، حتى إذا
جاع رجع إليه فأكله .

(أدب الكلب)

وزعم لي غلماني وغيرهم من أهل الدرب ، أنه كان ينبح على كلِّ
راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب بردونه ، سائساً كان أو صاحب دابةٍ
إلا أنه كان إذا رأى محمد بن عبد الملك داخلاً إلى باب الدرب أو خارجاً
منه ، لم ينبح ألبتة ، لا عليه ولا على دابته ، بل كان لا يقف له على الباب
ولا على الطريق ، ولسكنه يدخل الدهليز سريعاً ، فسألت عن ذلك فبلغني

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدي ، المعروف بالرصافة ، سمي بذلك لأن المهدي عسكر به حين شخص إلى
الرى . معجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندي » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاحَ به الخادم، وأهوى له بالضرب^(١)، فيدخل الدهليز، وأنه ما فعل ذلك به إلا ثلاث مرارٍ^(٢)، حتى صار إذا رأى محمد بن عبد الملك، دخل الدهليز من تلقاء نفسه، فإذا جاوز وثب على عراقيب دواب الشاكرية^(٣). ورأيت هذا الخبر عندهم مشهوراً.

قال: وكُنَّا إذا تَعَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين، فكان لا يقربُنا، لمكان الزجر^(٤)، ولا يبعُدُ عن الخِوان، لعلَّة الطمع، فإن ألقينا إليه شيئاً أكله ثمَّ، ودنا من أجل ذلك بعض الدُّنُو. فكُنَّا نستظهرُ عليه^(٥)، فنرمي باللُّقمة فوق مَرَبِضِهِ بأذرع. فإذا أكلها ازداد في الطَّمع، فقربهُ ذلك من الخِوان، ثمَّ يجوز موضعه الذي كان فيه. ولولا ما كنا نقصد إليه من امتحان ما عنده، ليصيرَ ما يظهرُ لنا حديثاً، لكان إطعام الكلب والسُّنور من الخِوان خطأً من وجوه: أوَّها أن يكون يصير له به دُرْبَةٌ^(٦)، حتى إنَّ منها ما يمدُّ يده إلى ما على المائدة^(٧) حتى

(١) ماعدا مب: «وهوله بالضرب».

(٢) ماعدا مب: «مرات».

(٣) في القاموس «الشاكري: الأجير المستخدم، معرب جاكرك»، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند، قال في رسالته إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١: ٣٠ بتحقيقنا): «وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت في الصورة والخط والهجاه أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك. وليس الأمر على حسب ما توهمه، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف في الصورة والهجاه اسم الجند، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد». فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون.

(٤) ماعدا مب: «فرجناه»، و«لمكان الزجر».

(٥) يريد نحاول التغلب عليه، من ظهر عليه بمعنى غلبه.

(٦) ماعدا مب: «أن يكون تضرية مضرية له تدرية»، والوجه ما في مب.

(٧) ماعدا مب: «الخوان».

ربما تناول بفيه ما عليها^(١) ، وربما قاء الذي يأكل^(٢) [وهم يرَوْنَه] ، وربما لم يرضَ بذلك حتى يعودَ في قيئه . وهذا كله مما لا ينبغي أن يحضره الرئيس ، ويشهده ربُّ الدار . وهو على الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدي السباع)

٤٧ فأما علماء الفرس والهند ، وأطبَّاء اليونانيِّين ودُّهاة العرب ، وأهلُ للتَّجربة من نازلة الأمصار وحُذَّاق المتكلِّمين^(٣) ، فإنهم يكرهون الأكل بين أيدي السباع ، يخافون نفوسها وأعينها ، لِذَلي فيها من الشرِّ والحِرص ، والطلِّب والكَلْب ، [ولِمَا^(٤)] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء ، وينفصل من عيونها من الأمور المفسدة ، التي إذا خالطت طباع الإنسان نقضته^(٥) .

وقد روى مثل ذلك عن الثوري عن سماك بن حرب عن ابن عباس أنه قال على منبر البصرة : إن الكلاب من الجن ، وإن الجن من صَعْفَرِ الجن ، فإذا غشيكم منها شيء [فآلقوا إليه شيئاً^(٦)] واطردوها ، فإن لها أنفَسَ سوء .

ولذلك كانوا يكرهون قيامَ الخدم بالمذابِّ والأشربة على رؤوسهم وهم يأكلون ؛ مخافة النفس والعين . وكانوا يأمرُون بإشباعهم قبل أن

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .

(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكلة بعده من مب .

(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست في مب .

(٤) التكلة من مب ، وبعدها في مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .

(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الطبيعة .

(٦) الزيادة من س ، م ، مب . وفي تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيكم

عند طعامكم فآلقوا لها ، فإن لها أنفسا » ، قال ابن قتيبة : « يعني أن لها عيوناً نصيب بها . والنفس العين » .

يأكلوا ، وكانوا يقولون في السنور والكلب : إِمَّا أَنْ تَطْرُدَهُ قَبْلَ أَنْ تَأْكَلَ
وإِمَّا أَنْ تَشْغَلَهُ بِشَيْءٍ يَأْكُلُهُ ، ولو بعظم .

ورأيت بعضَ الحكماء وقد سقطت من يده لقمة فرفع رأسه ، فإذا
عينُ غلامٍ له ^(١) تحدق نحو لقمته ، وإذا الغلامُ يزدردُ ريقه لتحلب فيه من
الشهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيّد اللقم ^(٢) ، طيبَ الطعام ، ويضيق
على غلمانه .

فيزعمون أن نفوسَ السباع وأعينها في هذا الباب أردأ ^(٣) وأخبث .
وبينَ هذا المعنى وبين قولهم في إصابة العينِ الشيء العجيبَ المستحسنَ
شِرْكَةً وَقَرَابَةً ؛ وذلك أنهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب ^(٤) ذلك
إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العين مقداراً من العدد ، لانستطيع أن
نجعل ذلك السبق من باب الاتفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره
وترادُفه ، ولأنَّ العيانَ قد حققه ، والتجربة قد ضمّت إليه .

(المين التي أصابت سهيل بن حنيف)

وفي الحديث المأثور في العين التي أصابت سهيل بن حنيف ^(٥) فأمر

(١) ما عدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) في ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداء لا الإرداء ، ولا تكون من الثاني
لأنه فوق الثلاثة ، والصواب في س .

(٤) ط : « رجال لا ينسب » ، بزيادة « لا » وصححه من س ، مب .

(٥) سهيل بن حنيف من أهل بدر ، ومن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفخ
عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه على البصرة
بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ما آخى الرسول بين
المهاجرين والأنصار جعل سهيلاً أخاً لعل بن أبي طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين .
الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلاً » بالتصغير .
والمعروف « سهيل » كما في الإصابة وسيرة ابن هشام في غير ماموض .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بالذي أمر ، وذلك مشهور (١) .

(كلام في العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسن إلى بدن المستحسن ، حتى يكون ذلك الداخل عليه هو الناقص (٢) لقواه لما جاز أن يلقي [مكروها البتة . وكيف يلقي (٣)] المكروه من انساق في (٤) حيزه وموضعه (٥) ، [والذي أصابته العين في حيزه أيضا وموضعه (٣)] ، من غير تماس ولا تصادم ، ولا فاصل (٦) ولا عامل لآتي معمولا فيه . ولا يجوز أن يكون المعتل بعد صحته يعتل

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتي : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكنني جمع طرقة الآن ولكنه في الموطأ (٣ : ١١٨ - ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية في كتاب الطب . وهو في الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أي ، سهل بن حنيف ، بالحرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كالיום ولا جلد عذراء ! — في الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يا رسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضع له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرک من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ - ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكلمة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان في » .

(٥) حيزه : أي حله ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناضل » ، صوابه في س ، مب .

من غير معنى بدنه^(١) . ولا تنتقض الأخلاط ولا تزايل إلا لأمرٍ يعرض ، لأنه حينئذٍ يكون ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أن يعتل من غير حادثٍ ، جاز للمعتل أن يبرأ من غير حادث . وكذلك القول في الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائب قياساً على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيء من مستحسنٍ له . فإذا كان لا بد من معنى قد عمل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلا أن يكون انفصل إليه شيء عمل فيه . وإلا فكيف يجوز أن يعتل من ذات نفسه ، وهو على سلامته وتمام قوته ، ولم يتغير ولم يحدث عليه ما يغيره . فهو وجسم غائب^(٢) في السلامة من الأعراض سواء . وهذا جواب المتكلمين [الذين يصدّقون بالعين ، ويثبتون الرؤيا^(٣)] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكون المتكلم^(٣)] جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتى يكون الذي يُحسّن من كلام الدّين في وزن الذي يُحسّن من كلام الفلسفة . والعالم عندنا هو الذي يجمعهما ، والمصيب [هو^(٣)] الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أن التوحيد لا يصلح^(٤) إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا ما في س ، مب ، وهو الحق . وفي ط : « فهو جسم ثابت » ، وفي م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) التكلّة من مب ، وفي أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لا يصلح » .

عجزه على الكلام في التوحيد . وكذلك إذا زعم أن الطباع لاتصح إذا
قرنتها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزه على الكلام في الطباع .

وإنما يئأس^(١) منك الملحد إذا لم يدعك^(٢) التوفير على التوحيد
إلى بنس^(٣) حقوق الطباع ؛ لأن في رفع أعمالها رفع أعيانها . وإذا كانت
الأعيان هي الدالة على الله فرفعت الدليل^(٤) ، فقد أبطلت المدلول عليه .
ولعمري إن في الجمع بينهما لبعض الشدة .

وأنا أعوذ بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتي باب من الكلام
صعب المدخل ، نقضت ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم
يُنتفع به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصل الذى لا يشعر به التوم
«لحضور ولا الذى انفصل منه ، ولا المار بينهما ، ولا التلقى له بيدنه وليس
دونه شيء ، وكيف لم يعمل في الأقرب دون الأبعد ، والأقرب إنسان
مثله ، ولعله أن يكون طبعه أشد اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيء يصرع الصحيح ويضعج القائم ،
وينقض القوى ، ويمرض الأصحاء ، ويصدع الصخر ويهشم العظم ،

(١) في الأصل : « يئأس » ، ولا وجه له .

(٢) ط ، م : « يركك التوفير » ، وفي م : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .

(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، م .

(٤) ماعدا م : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .

(٥) ماعدا م : « ولا المار بينهما الملتقى » ، تحريف

ويقتل^(١) الثور ، ويهد^(٢) الحمار ، ويجرى في الجهاد مجراه في النبات ، ويجرى في النبات^(٣) مجراه في الحيوان ، ويجرى في الصلابة والملاسة جريه في الأشياء السخيفة الرخوة؛ وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر ، أو غرب كغرب السيف ، أو حد كحد السنان ؛ وليس من جنس السم [فيحمل على نفوذ السم^(٤)] ؛ وليس من جنس الغذاء فيحمل على نفوذ الغذاء ، وليس من جنس السحر فيقال إن العمار^(٥) عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعرائم . فلعل ذلك إنما كان شيئاً وافق شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدار سم الجرارة^(٦) أو سم الأفعى ، وكيف لو وزتم الجرارة^(٦) قبل لسعها وبعده لوجدتموها على حال واحدة . وأنت ترى كيف تفسخ عقد بدن الفيل ، وكيف تنقض^(٧) قوى البعير ، من غير صدم [كصدم^(٨)] الحجر ، [وغرب كغرب السيف^(٤)] ، وحد كحد السنان .

فإن قلت : فهل ناب الأفعى وإبرة العقرب إلا في سبيل حد السنان ؟ قلنا : إن البعير لو كان إنما يتفسخ لطنن العقرب بإبرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار النخس^(٩) فقط ، ولكنه لا بد أن يكون ذلك

(١) ط : « يقتل » ، والصواب من س .

(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف ماقى س . وفي مب : « ويقتل » .

(٣) ما عدا مب : « الموات » .

(٤) التكلة من مب .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفي مب : « فعلوا » .

(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ في الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفي ط : « الجرادة » ، وهو تحريف ماقى س ، م ، مب .

(٧) في الأصل : « تنقض » بالصاد .

(٨) التكلة من س ، م ، مب .

(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرين : إمّا أن تكون العقرب تمجّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلّ يفسخ الفيل والزندبيل^(١) ، وإمّا أن يكون طبع ذلك الدم إذا لاقاه طبع ذلك الناب وتلك الإبرة أن يُجمد^(٢) فيقتل بالإجماد ، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيهما كان فإن الأمر فيه على خلاف ما صدرتم به المسألة^(٣) .

ولا تنازع بين الأعراب - والأعرابُ ناسٌ إتما وضعوا بيوتهم وأبديتهم وسط السباع والأحناش والمهملج ، فهم ليس يعبرون إلّا بها ، وليس يعرفون سواها - وقد أجمعوا على أن الأفعى إذا هرمت فلم تطعم ، ولم يبقَ في فمها دم أنّها تنكز بأنفها ، وتطعن به ، ولا تعضُّ فيها ، فيبلغ النكز لها ما كان يبلغ لها قبل ذلك اللدغ . وهل عندنا في ذلك إلّا تكذيبهم أو الرجوع إلى الفاصل الذي أنسكرتموه ؛ لأنّ أحداً لا يموت من تلك النخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمزة .

وقال العجاج ، أو ابنه روبة :

كتم كمن أدخل في جحرٍ يداً فأخطأ الأفعى ولا في الأسودا
ثم قال :

* بالشّم لا بالسّم منه أفصدا^(٥) *

وقال الآخر^(٦) :

-
- (١) للزندبيل: الفيل الكبير . معادبا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندبيل » .
(٢) ط ، م : « يحمل » ، وتصويبه من س ، مب .
(٣) معادبا مب : « فإن الأمر على ما صدرتم به المسألة » .
(٤) نكزت الحية : لسعت بأنفها . معادبا مب : « لم تطعم ولا يبق » إلخ .
(٥) ط : « بالشّم إلّا بالسّم » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت في الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبي حفصة ، وانظر . كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أَصَمَّ مَاشِمٌ مِنْ خَضْرَاءَ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاةٌ فَانصَدَعَا
وَقَدْ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ بِفَرَقٍ مَا بَيْنَ النَّكْزِ وَغَيْرِهِ عِنْدَ الْأَعْرَابِ (١) .
وَهُنَا أَمْثَالٌ نَضْرِبُهَا ، وَأُمُورٌ قَدْ عَايَنْتُمُوهَا ، يَدُلُّ بِهَا هَذَا الْمَعْنَى
عِنْدَكُمْ وَيَسْهُلُ بِهَا الْمَدْخَلُ . قُولُوا لَنَا : مَا بِالْ عَجِينِ يَكُونُ فِي أَقْصَى الدَّارِ
وَيَفْلِقُ إِنْسَانَ بِطَيْخَةٍ (٢) فِي أَدْنَى الدَّارِ ، فَلَا يَفْلِحُ ذَلِكَ الْعَجِينُ أَبَدًا وَلَا يَنْخَمِرُ ؟
فَمَا ذَلِكَ الْفَاصِلُ (٣) ؟

وَكَيْفَ تَقُولُونَ بِصَدْمٍ كَانَ (٤) ذَلِكَ كَصَدْمِ الْحَجَرِ ، أَوْ بَغْرَبٍ كَبَغْرَبِ
السَّيْفِ !! وَكَيْفَ لَمْ يَعْزِضْ ذَلِكَ الْفَسَادُ فِي كُلِّ مَعْجُونٍ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
ذَلِكَ الْعَجِينِ .

وَعَلَى أَنْ نَكْزُرَ الْحَيَّةَ الَّتِي يَصْفُهُ (٥) الشُّعْرَاءُ بِأَنَّ الْمَنْكُوزَ مَيِّتٌ لِأَحْمَالَةٍ ،
فِي سَبِيلِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ [حَازِقٌ مِنْ (٦)] حَذَّاقِ الْأَطْبَاءِ ، أَنَّ رَجُلًا يَضْرِبُ الْحَيَّةَ (٧)
مِنْ دَوَاهِي الْحَيَّاتِ بَعْضَاهُ فَيَمُوتُ الضَّارِبُ (٨) ؛ لِأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ شَيْئًا فَصَلَ
مِنْ الْحَيَّةِ فَجَرَى فِيهَا حَتَّى دَاخَلَ الضَّارِبَ فَقَتَلَهُ . وَالْأَطْبَاءُ أَيْضًا وَالنَّصَارَى

(١) كَذَا وَالْكَلَامُ نَاقِصٌ . وَانظُرِ الْحَيَّوَانَ ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « وَيَفْلِقُ إِنْسَانَ بِطَيْخِهِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، وَ مَب . وَقَدْ ذَكَرَ مِثْلَ هَذَا
فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ٤٣٩ قَالَ : « وَقَدْ يَفْسُدُ الْعَجِينُ إِذَا قَطَعَ فِي الْبَيْتِ
الَّذِي هُوَ فِيهِ الْبُطِيخُ » .

(٣) مَاعِدَا ب : « فَمَا ذَلِكَ الْفَاصِلُ » .

(٤) ط : « يَصْدُمُ ذَلِكَ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي س . وَفِي مَب : « انصدم كان » .

(٥) مَاعِدَا ب : « تَصِفُ » .

(٦) التَّكْلَةُ مِنْ مَب .

(٧) مَاعِدَا مَب : « أَنَّ الرَّجُلَ يَصِيبُ الْحَيَّةَ » .

(٨) قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ : « وَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ رَجُلًا
ضَرَبَ حَيَّةً بِمِصْبَاحَاتِ الضَّارِبِ » . فَيُظْهِرُ أَنَّ مُحَدِّثَ الْجَاهِلِيَّةِ رَوَى لَهُ مَا أُثِرَ
عَنْ أَرِسْطُو .

أَجْرًا عَلَى دَفْعِ الرَّؤْيَا^(١) وَالْعَيْنِ ، وَهَذِهِ الْغَرَائِبُ الَّتِي تَحْكِي عَنِ الْحَيَّاتِ
وَوَصْرَعِ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانَ ، مِنْ غَيْرِهِمْ .

فَأَمَّا الدَّهْرِيَّةُ فَمَنْكِرَةٌ لِلشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّؤْيَا وَالرُّتْقَى ، وَهُمْ
يُرُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ لَا يَتِمُّ لَهُمْ إِلَّا بِمُشَارَكَةِ أَصْحَابِ الْجَهَالَاتِ^(٢) .

وَقَدْ نَجِدُ الرَّجُلَ يَنْقِفُ شَحْمَ الْخَنْظَلِ^(٣) ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ مَسَافَةٌ
صَالِحَةٌ ، فَيَجِدُ فِي حَلْقِهِ مَرَارَةَ الْخَنْظَلِ ، وَكَذَلِكَ السُّوسُ إِذَا عَوَّلَجَ بِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْإِنْسَانِ^(٤) مَسَافَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ الْبَعْدِ ، يَجِدُ فِي حَلْقِهِ حَلَاوَةَ السُّوسِ . وَنَاقِفُ الْخَنْظَلِ
لَا تَزَالُ عَيْنُهُ تَهْمَلُ مَا دَامَ يَنْقِفُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ حُمَامٍ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهُوَ
الَّذِي يَقُولُ^(٥) :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ خَنْظَلِ

يَخْبِرُ عَنْ بَكَائِهِ ، وَيَصِفُ دُرُورَ دَمْعَتِهِ فِي إِثْرِ الْحَمُولِ ، فَشَبَّهَ [نَفْسَهُ]^(٦)
بِنَاقِفِ الْخَنْظَلِ ، [وَقَدْ^(٦)] ذَكَرَهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ^(٧) :

(١) أى الاعتقاد بصحة تأويلها وإنبائها عن المستقبل . وأجرا ، أى أجرا ورسمت
فى مب : « أجرى » وفى سائر النسخ : « أجراء » .

(٢) ما عدا مب : « الجهات » . وانظر ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شحم الخنظل : مافى جوفه سوى حبه ، كما أن شحم الرمان مابين حبوبه .
ونقف الخنظل : شق الخنظل عن الهبيد . والهبيد : حب الخنظل .

(٤) فى الأصل : « الأستان » .

(٥) ط : « ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذى يقول » وفى س ، م : « ولذلك قال
ابن حزام قال أبو عبيدة هو الذى يقول » . وأثبت مافى مب .

(٦) التثكلة من مب .

(٧) ما عدا مب : « فى شعره » .

عوجًا على الطَّلَلِ القديم لعلنا

نَبْكِ الدِّيَارَ كما بكى ابنُ مُحَامٍ (١)

ويزعمون أنه أوَّل من بكى في الدِّيَارِ (٢) .

وقد نجدُ الرَّجُلَ يقطعُ البصلَ ، أو يُؤخِفُ الخردلَ (٣) فتدمع عيناه .

وينظر الإنسانُ فَيَدِيمُ النَّظَرَ في العينِ المحمرة (٤) فتعترى عينه حُمرة .

والعربُ تقول : « لهُو أعدى من الثَّوْبَاءِ ! » ، كما تقول : « لهُو أعدى

من الجَرْبِ ! » ، وذلك أنَّ من تشاءب مراراً ، وهو مُتَجَاهِ عَيْنِ إنسان ، اعترى

ذلك الإنسانُ الثَّوَابُ .

ورأيتُ ناساً من الأطباءِ وهم فلاسفةُ المتكلمين ، منهم مَعْمَرُ ، ومحمد

ابن الجَهْمِ ، وإبراهيمُ بنُ السَّنْدِيِّ ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ (٥) من إناءِ

اللبنِ لتَسُوْطِهِ (٦) أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنهم يرون أنَّ لبدنِها مادام ذلك

العَرَضُ يعرضُ لها ، رائحةٌ لها حِدَّةٌ وبخارٌ غليظٌ ، يكونُ لذلك

المَسُوْطُ مُفْسِداً .

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبي بكر ص ١٦٠

- ١٦٥ . وروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لفتان في معنى واحد . ماعدا

دب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بكى ابن خدام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الخروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفي ط ، س : « ويكمر » صوابها في مب

وفي تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك موخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه :

صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه في مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الخائض . وانظر الاستدراكات في آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإنَّ أبيتَ إلاَّ إنكارَ ذلك ، فما تقول في فرسٍ تحصَّن تحت صاحبه^(١) ، وهو في وسط موكبه ، وغبارُ الموكبِ قد حالَ بين استبانة بعضهم لبعض ، وليس في الموكبِ حجرٌ^(٢) ولا رمكة ، فإلتفتُ صاحبُ ٥١ الحصانِ فيرى حجراً أو رمكةً ، على قابِ غرضٍ أو غرضين^(٣) ، أو غلوة أو غلوتين^(٤) . حدثني ، كيف شمَّ هذا الفرسُ ريحَ تلكِ الفرسِ الأثني ، وما باله يدخل داراً من الدُّور ، وفي الدَّارِ الأخرى^(٥) حجرٌ ، فيتحصَّن^(٦) مع دخوله من غير معاينة وسماعٍ صهيل !!

وهذا الباب سيقع في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قُريب^(٧) : كان عندنا رجلان يَعيَنان الناس ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تاللهِ ما رأيتَ كالِيومِ قطُّ ! فتطاير الحوضُ فلقين^(٨) ، فأخذهُ أهله فضبَّبوهُ^(٩) بالحديد ، فمرَّ عليه ثانية فقال : وأبيكَ لقلِّما أضرَّرتُ أهلكَ فيكَ ! فتطاير أربعَ فلقٍ .

-
- (١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .
(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .
(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .
(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفي الدار ذكر » .
(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفي ط : « يتخصى » وهو تحريف مأثبات من س .
(٧) هو الأصمى .
(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفي س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت ما في مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشيء .
(٩) في اللسان : « صببت الخشب ونحوه : ألبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأماً الآخر ، فإنه سمع صوتَ بولٍ من وراء حائط فقال :
 إِنَّكَ لَشَرُّ الشَّخْبِ^(١) ! فقالوا له : إنه فلانُ ابنك ، قال : وانقطع ظهراه !
 قالوا : إنه لا بأسَ عليه^(٢) . قال : لا يبولُ واللهُ بَعْدَهَا أبداً ! قال : فما بال
 حتى مات .

قال الأصمعيُّ : ورأيتُ أنا رجلاً عَمِيُونًا فدُعِيَ عليه فَعَوَرَ^(٣) ، قال :
 إذا رأيتُ الشيءَ يُعجبني ، وجدتُ حرارةً تخرجُ من عيني .
 قال : وسمع [رجلٌ^(٤)] بقرةً تُحَلِّبُ فأعجبه صوتُ شخبها ، فقال :
 أيتهن هذه ؟ فحافوا عينه فقالوا : الفلانية — لأخرى ورواها عنها — فهل كنا
 جميعاً : المورى بها والمورى عنها .

وقد حمل^(٥) النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ في شيءٍ
 من المجازات . وقولُ الذي اعور^(٦) : إذا رأيتُ الشيءَ يعجبني وجدتُ حرارةً
 تخرجُ من عيني ، مِنْ أعظم الحجاج في الناصل من صاحب العين إلى المعين .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال إن فلانا لَعَمِيون : إذا كان يتشوّف للناس ليصيبهم
 بعين . ويقال عِنْتُ فلانا أَعَيْنَه عَيْناً : إذا أصبته بعينٍ ، ورجل مَعِينٍ
 ومعيون : إذا أصيب بالعين . وقال عباس بن مرداس :
 قد كان قومك يحسبونك سيِّداً وإخال أنك سيِّدٌ مَعِيون^(٧)

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .
 (٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : « يدعى عليه بقود » .
 (٤) التكلة من مب .
 (٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذي عان » .
 (٧) ماعدا مب « وأخاك » . وانظر الأغاني (٤ : ٨٩) ومعاهد التنصيص (١ : ١٣)
 ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعيون : إِنَّهُ لَنَفُوسٌ ، وما أَنفَسَهُ ، أَي ماأَشَدَّ عينه ؛ وقد أصابته

نَفْسٌ أَوْ عَيْنٌ

(دفاع عن الكلب)

وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ : إِنَّ مِنْ لُؤْمِ الْكَلْبِ وَغَدْرِهِ أَنَّ اللَّصَّ إِذَا أَرَادَ دَارَ أَهْلِهِ أَطْعَمَ الْكَلْبَ الَّذِي يَحْرَسُهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ مِرَارًا لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَدَنَا مِنْهُ وَمَسَحَ ظَهْرَهُ ، حَتَّى يُثَبِّتَ صَوْرَتَهُ ، فَإِذَا أَتَاهُ لَيْلًا أُسْلِمَ إِلَيْهِ الدَّارَ بِمَا فِيهَا - فَإِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نَتِيجَةِ سُوءِ الرَّأْيِ ؛ فَإِنَّ سُوءَ الرَّأْيِ يَصَوِّرُ لِأَهْلِهِ الْبَاطِلَ فِي صَوْرَةِ الْحَقِّ . وَفِيهِ بَعْضُ الظُّلْمِ لِلْكَلْبِ وَبَعْضُ الْمَعَانِدَةِ لِلْمَحْتَجِّ عَنِ الْكَلْبِ وَقَدْ ثَبَّتَ لِلْكَلْبِ اسْتِحْقَاقُ الْمَدْحِ مِنْ ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرنا سبب الشعر في حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مريالقرية ، وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس ووالد العباس : أما ترى هذا الموضوع ! قال : بلى قاله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك في أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرمنا النار في الغيضة ، فلما استطارت وعلا لها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاهما بعد ذلك كليب بن أبي عهمة الظفري ، فقال في ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالمنا والظلم أنكد وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك قادهن إن المسالم رأسه مدهون
وأفعل بقومك ما أراد بوائل يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها في صفحتيك سناتها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالمنا وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . . وللخفاجي كلام في (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجري في أماليه ١ : ١١٣ : « معيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أَرَادَ أن يهجوَهُ منه ، فإن كان الكلبُ بفرطٍ (١) إلفه وشكره كفَّ عن اللصِّ عندَ ذِكرِ إحسانه ، وإثباتِ صورتهِ ، فما أَكثَرَ من يُفْرِطُ عليه الحياءُ حتَّى ينسبَ إلى الضَّعفِ والكرمِ وحتَّى ينسبَ إلى الغفلةِ . وربَّما شابَ الرَّجُلُ بعضَ الفطنة (٢) ببعضِ التَّغافلِ ، ليكونَ أتمَّ لكرمه ؛ فإنَّ الفطنة إذا تَمَّتْ منعتُ من أمورٍ كثيرةٍ ، ما لم يكنِ الحليمُ كريماً والعَرِقُ سليماً .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّلُ ، حينَ تكلِّفُ الكلبَ - مع ما قد عَجَّلَ إليه اللصُّ من اللَّطفِ والإحسانِ - أن يتذكَّرَ نعمةً سالفةً ، وأن يحترسَ من خديعةِ المحسنِ إليه ، مخافةً أن يكونَ يُرْبِعُ (٣) بإِكرامه سوءاً (٤) - لحسنِ الرأى فيه ، بعيدُ الغايةِ في تفضيله

ولو كان للكلبِ آلةٌ يعرفُ بها عواقبَ الأمورِ وحوادثَ الدهورِ ، وكان يوازنُ بينَ عواجلها وأوآجلها ، وكان يعرفُ مصادرها ومواردها ، ويختارُ أنقصَ الشرِّينِ وأتمَّ الخيرينِ ، ويتثبتُ في الأمورِ ، ويخافُ العيبِ (٥) ويأخذُ بحجَّةٍ [ويعطى بحجَّةٍ (٦)] ، ويعرفُ الحجَّةَ من الشُّبهةِ ، والثُّقَّةَ من الرِّيبةِ ، ويتثبتُ في العُلَّةِ ، ويخافُ زيغِ (٧) الهوى وسرفِ الطبيعةِ - لكانَ من كبارِ المسكِّفينِ ، ومن رُءُوسِ الممتحنينِ

(١) ما عدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفنة » تحريف .

(٣) يربيع بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية في ط . وفي س : « بربيع » ، وفي م : « بديع » والصواب فيهما ما أثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة

(٥) ما عدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزيف : الميل . وفي ط : « زيغ » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادة القائمة ، والنسق الذي لا يتخطى (١) ولا يغادر ، [(٢) النظام الذي لا ينقطع ولا يختلط ، في ذوى التمكن والاستطاعة ، وفي ذوى العقول والمعرفة ، أن أبدانهم متى أحست بأصناف المكروه والمحجوب ، وازنوا وقابلوا ، وعأيروا (٣) وميزوا بين أتم الخيرين وأنقص الشرين ، ووصلوا كل مضرّة ومنفعة في العاجل] بكل مضرّة ومنفعة في [(٤) الآجل (٥) وتتبعوا مواقعها ، وتدّبروا ، ساقطها ، كما يتعرفون مقاديرها وأوزانها (٦) ، واختاروا بعد ذلك أتم الخيرين وأنقص الشرين . فأما الشر صرفاً والخير محضاً فإنهم لا يتوقفون عندهما ، ولا يتكلفون الموازنة بينهما ، وإنما ينظرون في المزوج (٧) وفي بعض ما يخشى في معارضته ، ولا يوثق بمعرّاه ومكشّفه (٨) ، فيحملونه (٩) على خلاص الذهن ، كما يحمل الذهب على الكير .

(١) ماعداً مب : « والسن » . و « يتخطى » هي في الأصل « يخطى » محرقة . ويتخطى - ومثله يخطى - : يتجاوز .

(٢) التكلة من مب .

(٣) عأيروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفي ط : « غيروا » .

(٤) التكلة من مب .

(٥) ماعداً مب : « والآجل » .

(٦) ماعداً مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعداً مب : « وإنما ينتظرون في المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكشّفه » س : « بمغزاه وبمكشّفه » ، والوجه ما أثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ما وجد من نصوص الحيوان في نسخة الأبهروزيانا .

وأما ذوات الطَّبَائِعِ المسخَّرة والغريزة المحبولة^(١) فإنما^(٢) تعمل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسم الذي يقتل بالكمية ولا يغذو ، وكالغذاء الذي يغذو ويقتل بالمجازاة لمقدار^(٣) الاحتمال .

وإن هياً الله عز وجل أصناف الحيوان المسخَّرة لدرك ما لا تبلغه العقول اللطيفة ، بلغتة بغير معاناة ولا روية ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

ومتى تقدَّمتُ [إلى الأمور التي يعالجها]^(٤) أهلُ العقول المبسوطه ، المتمكنة بطبائعها ، المقصورة غير المبسوطه ، لم يمكنها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ما كان موازياً لتلك الأمور ببديهة ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلما أحسنتُ أمراً أمكنها أن تُحسنَ ما كان في وزنه في الغموض والإلطاف ، وفي الصنعة التي لا يمكنُ ، إلاَّ بحسن التأتُّي ويبعد الروية ، وبمقابلة الأمور بعضها ببعض . وهذا الفنُّ لا يُصابُ إلاَّ عند من جهته العقل ، ويمكنه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامه^(٥) إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عقبيه من الأفعال ؛ ومن جهته تعرفُ العال ، ويمكنه إكراه نفسه على المقاييس والتكلف والتأتُّي^(٦) .

٥٣

(١) ط : « المحبولة ، وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « إنما »

(٣) في الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول في حاجة إلى مثلها . والكلام في ذوات الطَّبَائِعِ المسخَّرة .

(٥) في الأصل : « وباتمامه » .

(٦) في الأصل : « التأتُّي » بالنون ، في هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنَّها تُنبيك^(١) على مكانها ، وإلاَّ كان وجودها كعدمها . وبالحس^(٢) الغريزيّ تُشعرُ صاحبها بمكانها ، لا يحتاج في ذلك إلى تلقينٍ وإشارة ، وإلى تعلّم وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أحمقَ من الحباري ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام في الحيوان)

والعاقل الممكن لايفضّل في هذا المسكان على الأشياء المسخّرة ، ولا ينفصل منها في هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاَّ ما صنعت له ، ونصبت عليه ، وألهمت معرفته وكيفيّة تكلفِ أسبابها والتعلّم لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسنَ العنكبوتُ نسجَ ثوبيّه^(٣) وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النحلُ خلاياه مع عجب القسمة التي فيها ، لم يحسن أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والمُسرّفة - التي يقال : « أصنعُ من سُرفة » لا يُحسِن أن تبنى^(٤) مثلَ بيتِ الأَرْضة ، على جفاءِ هذا العملِ وغِلظه ، ودقّةِ ذلك العملِ ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التمييز ، ومَن ملكَ التصرّف ، وخوّل^(٥) الاستطاعة ؛ لأنّه يكون ليسَ ينجّارٍ فيتعلّم النُّجارة ، [ثمّ

(١) لعلها « تنبيك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثويّ : البيت . وفي الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « لا يحسن أن يبني » .

(٥) خوله الشيء : ملكه إياه وأعطاه . في ط : « حول » بالخاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له ^(١) [بعدَ الحذقِ الانتقالُ إلى الفِلاحَةِ ، ثمَّ ربَّما ملَّها بعد أن حذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ » أنَّ اللافظة الدِّيك ، لأنَّه يَعْضُّ على الحَبَّةِ بطرْفِ منقاره ، ثمَّ يحذفُ بها قُدَّامَ الدَّجاجة . وما رأينا أحداً من العلماءِ ومن الذين رووا هذا المثلَ يقول ذلك . والناسُ في هذا المثل رجلان : زعم أحدهما أنَّ اللافظة العز ؛ لأن العز ترعى في رَوْضَةٍ وتَأْكُل من مَعْلَفِها وهي جائعة ، فيدعوها الراعى وصاحبُها باسمِها إلى الحلب ، فتترك ما هي فيه حتى تُنَهَكَ حلبا . وقال الآخر : اللافظة الرَّحَى ، لأنَّها لا تمسك في جَوْفِها شيئاً ممَّا صار في بطنها .

وكيف تكون اللافظة الديك ! وليس لنا أن نُلحِق في هذه الكلمة تاء التأنيث في الأسماء المذكرة ^(٢) . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعز والرَّحَى ^(٣) ، وإِنَّمَا سَمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويةً ، وعلامةً ، حين احتجَّ أهلُ اللغَةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه ^(٤) ، وكيفَ ولا اختلافَ

(١) الزيادة من س ، وبدلها في ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهي لاتلحق في الأسماء المذكرة » .

(٣) أى هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب في س .

بينهم أن الديك خارجٌ من هذا التأويل ، وإنَّ اختلافهم بين العنزِ والرَّحَى (١)

وبعد فقد زعم ثمامة بن أشرس (٢) رحمه الله تعالى : أنَّ دَيْكَةَ مَرَوْ تَطْرُدُ الدَّجَاجَ عَنِ الحَبِّ (٣) ، وتَنْزِعُ الحَبَّ مِنْ أفْوَاهِ الدَّجَاجِ .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ » ، لا يَلِيقُ بِالرَّحَى ، لِأَنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صَمَاءٌ ، وَالَّذِي يُنْجِزُ مَا فِي بَطْنِهَا المُدِيرُ (٤) لَهَا ، وَالعَرَبُ إِتْمَا تَمْدَحُ بِهِذِهِ الأَسْمَاءَ الإِنْسَانَ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ فِي الوُجُوهِ الكَثِيرَةِ ، لِيَكُونَ ذَلِكَ مَشْحَذَةً لِلأَذْهَانِ ، وَدَاعِيَةً إِلَى السَّبَاقِ وَبَلُوغِ الغَايَاتِ .

وَأَمَّا تَرْكُ الشَّاةِ لِلعَلْفِ فَلَيْسَ بِلَفْظٍ لِلعَلْفِ ، إِلاَّ أَنْ يَحْمِلُوا ذَلِكَ عَلَى المَجَازَاتِ البَعِيدَةِ ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ بَعْضِ الضَّرُورَةِ . وَالشَّاةُ تَرْضَعُ مِنْ خِلْفِهَا حَتَّى تَأْتِيَ عَلَى أَقْصَى لَبَنِ فِي ضَرْعِهَا ، وَتَنْثُرُ العَلْفَ ، وَتَقْلِبُ

(١) أى فى تسمية إحداهما لافظة . فى المزهرة للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالى القائل « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله فى أمثال الميدانى ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج ما فى بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحظ فى شأنه : « وما علمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلى قلبك » البيان ١ : ١١١ . « قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حاجة . قال : وماهى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لكنى لا أرد ما أخذت !! » . عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المُحَلَّبُ^(١) ، وتَنْطَحُ من قام عليها وأتاها بغدائها . وهي من أمَوَقِ
الْبَهَائِمِ^(٢) ، وزوجها شَتِيمُ الحَيَا ، مَنَتِنُ الرِّيحِ ، يَبُولُ في جوفِ فيهِ
وفي حاقٍ^(٣) خياشيمه

وتقول العرب : « ما هُوَ إِلَّا تَيْسٌ في سَفِينَةٍ^(٤) » ، إذا أرادوا به الغبَاوةَ
و « ما هُوَ إِلَّا تَيْسٌ » ، إذا أرادوا به نَتْنُ الرِّيحِ .
والعِزْرُ خَرَقَاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أُخْرَقٌ منها .

وأمرُ الدَّيْكِ وشأنه ، وكَيْفَ^(٥) يَلْفِظُ ما قَدَّ صَارَ في منقاره ، وكيف
يُؤَثِّرُ به طَرَوْقَتَهُ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ - شَيْءٌ يَرَاهُ النَّاسُ ، وَيَرَاهُ جَمِيعُ العِبَادِ .
وهذه المسكُرمَةُ ، وهذا العَزَلُ^(٦) ، وهذا الإيثارُ ، شَيْءٌ يَرَاهُ النَّاسُ
لم يكنْ في ذَكَرٍ قَطُّ مِّنْ يَزَاجٍ إِلَّا الدَّيْكِ ، والدَّيْكِ أَحَقُّ بِهذا المثلِ . فإنْ
كُنْتُمْ قَدِ صَدَقْتُمْ على العربِ في تأويلِ هذا المثلِ^(٧) فهذا غلطٌ من العربِ
وعصبيَّةٌ لِلْبَنِ ، وعشقٌ للدَّقِيقِ^(٨) .

والمثلُ إِنَّمَا يَلْفِظُ به رَجُلٌ مِنَ الأعرابِ ، وليس الأعرابيُّ بِقُدْوَةٍ

(١) الحلب والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .

(٢) من أموقها : من أحقتها .

(٣) حاق الشيء : وسطه . وفي الأصل : « حلق » ، ولا وجه له .

(٤) قال أبو الشمقمق في هجاء بشار (انظر الخبر في الأغاني ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت
الهميان ١٢٦) :

هلينه هلينه هلينه طعن قناة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى في سفينه

(٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .

(٦) ط : « التزل » ، وتصحيحه من س .

(٧) أي إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .

(٨) ط : « عشق للدقيق » ، وأثبت ما في س فهو أشبه بالكلام .

إِلَّا فِي الْجُرِّ وَالنَّصَبِ وَالرَّفْعِ وَفِي الْأَسْمَاءِ^(١) ، وَأَمَّا غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ يَخْطِئُ فِيهِ وَيَصِيبُ . فَالَّذِي أَحَقُّ بِهَذَا الْمِثْلِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، وَسَائِرِ خِصَالِهِ الشَّرِيفَةِ .

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ فِي الدَّيْكَ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الْغَزْلِ لِالْغَيْرِ ، أَنَّهُ^(٢) لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا هَرِمَ وَعَجَزَ عَنِ السَّفَادِ ، وَانصَرَفَتْ رَغْبَتُهُ عَنِ الْحَبِّ ، وَهُوَ فِي أَيَّامِ شَبَابِهِ أَنَّهُمْ وَأَحْرَصُ عَلَى الْمَأْكُولِ ، وَأَضْنُ عَلَى الْحَبِّ ؛ فَهَلْ لَمْ يُؤْثِرْهُنَّ بِهِ عِنْدَ زَهْدِهِ ، وَيُؤْثِرُهُنَّ عِنْدَ رَغْبَتِهِ ؟ ! وَمَا بِالْهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَهُوَ فَرُوجٌ صَغِيرٌ ، وَصَنَعَ ذَلِكَ حِينَ أَطَاقَ السَّفَادَ ؟ ! فَتَرَكَهُ لِذَلِكَ فِي الْعَجْزِ عَنْهُنَّ ، وَبِذَلِكَ فِي أَوْقَاتِ الْقُوَّةِ عَلَيْهِنَّ^(٣) دَلِيلٌ عَلَى الَّذِي قُلْنَا^(٤) . وَهَذَا بَيْنَ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ .

(دفاع عن الكلب)

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَلْبِ : لَسْنَا نُنْكِرُ خِصَالَ الدَّيْكَ وَمُنَاقِبَهُ مِنْ الْأَخْبَارِ الْحَمُودَةِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا مِئَلْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلْبِ^(٥) . وَمَنْ يَمِيلُ بَيْنَ الْعَسَلِ وَالْحَلِّ فِي وَجْهِ الْحَلَاوَةِ وَالْحَمُوضَةِ ؟ ! وَكَيْفَ يَفْضَلُ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ فِي الْمَفْضُولِ شَيْءٌ مِنَ الْفَضْلِ ؟ ! وَالَّذِي قُلْتُمْ مِنْ قُدْفِهِ «الْحَبُّ قُدَامَ الدَّجَاجِ صَحِيحٌ ، وَلَيْسَ هَذَا الَّذِي أَنْكَرْنَا ، وَإِنَّمَا أَنْكَرْنَا

(١) المراد بالأسماء هنا الكلمات .

(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما في س .

(٣) ط : « في الأوقات القوت عليهن » ، والصواب ما أثبت من س .

(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما في س .

(٥) يقال ميل بين الشيتين تمبيلا : رجح ووازن . وفي الأصل : « ما مثلنا » وبعبده : « ومن

يمثل » ، والوجه ما أثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضع المثل الذي صرفتموه إلى حجّتكم^(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [في] الشاهد والمثل^(٢) . وإن جاز لكم أن تردّوا عليهم هذا المثل جاز لسكلّ من كره مثلاً أو شاهداً أن يردّ عليهم كما ردّتم ؛ وفي ذلك إفسادُ أمرِ العربِ كله .

فإن زعمت أن الديك ، كان أحقّ به ، فخصومك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أيّ مقادير كانوا يضعونها ، ومن أيّ شيء اشتقوها ، وكيف كان السبب . وربّ شيء أنكرناه فإذا عرفنا سببه أقررنا به

وقال أبو الحسن : مرّ إياس بن معاوية بديك ينقرحياً ولا يفرقه ، فقال :

يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ [هَذَا] هَرِمًا^(٣) هَرِمًا ؛ فَإِنَّ الْهَرِمَ^(٤) إِذَا أُلْتِيَ لَهُ الْحَبُّ لَمْ يَفْرُقُهُ لِيَجْتَمَعَ الدَّجَاجُ حَوْلَهُ . وَالْهَرِمُ قَدْ فَنَيْتُ رَغْبَتَهُ فَيَنْ ، فَلَيْسَ هُمُ إِلَّا نَفْسُهُ

وروا عنه أنّه قال : اللافظة الديك الشاب ، وإنّه يأخذ الحبة يؤثر

بها الدجاج ، والهرم لا يفعل ذلك ، وإلّا ما هو لافظة مادام شاباً .

وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سيرين عن أبي هريرة : « أن

كلباً مرّ بإمرأة وهو يلهمت عند بئر ، فنزعت خفّها فسقته ، فغضّر الله

تعالى لها . »

وعنه قال : « غضّر الله لبغى أو للمؤمنة مرّ بها كلبٌ فنزعت خفّها

فسقته . »

(١) في الأصل : « محبتكم » .

(٢) في الأصل : « وتركتم ما زال الناس يقلّدونهم الشاهد والمثل » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) ط : « وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن داحة^(١) : ضرب ناسٌ من السُّلْطَاءِ^(٢) جارا لهم ، ولببوه وسحبوه وجروه ، وله كلبٌ قد ربّاه ، فلم يزل ينبح عليهم ويشقق ثيابهم ، ولولا أنّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفّه ويزجره ، لقد كان عقر بعضهم أو منعه منهم .

قال إبراهيم النّظام : قدّمتم السّنور على الكلب ، ورويتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانيرِ وتقريبها وتربيتها ، كقوله عند مسألته عنها : « إيهنّ من الطّوّافاتِ عليكم ». وكلُّ^{٥٦} منفعةٍ عند السّنورِ إنّما هي أكلُ الفأرِ فقط ، وعلى أنّكم قلّما تجدون سنورا يطلبُ الفأرَ ، فإن كان ممّا يطلبُ ويأكلُ الفأرَ ، لم يعدمكم^(٣) أن يأكلَ حمامكم وفراخكم والعصافيرَ التي يتلهّى بها أولادكم ، والطائرُ يتخذُ لحسنه وحسنِ صوته . والذي لا بدّ منه الوثوبُ على صيغارِ الفراريج . فإنّ هو عَفٌّ عَن أموالكم لم يعفّ عَن أموال جيرانكم . ومنافع الكلب لا يحصيها الطّوامير^(٤) . والسّنور مع ذلك يأكل الأوزاعَ والعقارب ، والخنافيس^(٥) ، وبناتِ وِردان^(٦) ، والحيات ، ودخالاتِ الآذان^(٧) والفأرَ والجُرذان ، وكلّ خبيثةٍ وكلّ ذاتِ سمٍّ ، وكلّ شيءٍ

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما في س . وانظر ما سبق في ص ٨٢ .

(٢) السُّلْطَاءُ : جمع سُلْط ، وهو الصخاب البئىء اللسان . وفي الأصل : « السلطان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطّوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .

(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرهما ، أو جمع خنفسة بضم الخاء وفتح الفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الباء في هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر مع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .

(٦) ضرب من الحشرات التي تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .

(٧) دخال الآذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة في مصر « أم أربعة وأربعين » .

انظر معجم المملوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثم قلت في سؤر السُّور وسؤر الكلب ماقلت . ثم لم ترضوا به
حتى أضفتموه إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشكُّ الناس أن ليس في السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ،
وكذلك كلُّ إنسانٍ سائلِ الريقِ سائلِ اللعاب . والخلوف (٢) لا يعرض للمجانين
الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لا يعتره الخلوف فهو من البحر أبعدُ .
وكما أن طولَ انطباقِ الفم يُورث الخلوف ، فكثرةُ تحلُّبِ الأفواه بالريقِ
تنتج الخلوف . وحتى إن من سال فوه من اللعاب فإتما قصّوا له بالسلامة
من فيه ، وإن استنكهوه مع أشباهه وجدّوه طيباً ، وإن كان لا يقربُ
سواكاً (٣) على الريق . وكذلك يقال ، إن أطيبَ الناسِ أفواهاً الزنج ،
وإن كانت لا تعرفُ سنوناً ولا سواكاً (٤) .

على أن الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربعِ موصوفةٌ بالبحر ،
والذي يضربُ به في ذلك المثلّ الأسدُ ، وقد ذكره الحكم (٥) بن عبدل
في هجائه محمدَ بنَ حسان فقال :

(١) بعد هذا في الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهي : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا
من قال بقوله » ، وهي من زيادة الناسخين . ولعل الذي ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه
ظاهر العبارة السابقة وهي : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستماك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفي ط : « لا تعرف سنوها

سواكاً » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) في الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . وللحكم ترجمة مسهبة في الأغاني :

(٢ : ١٤٤ - ١٥٣) .

فَنَكَّهَتْهُ كَنَكَّهَةَ أَخْدَرِيٍّ شَتِيمٍ شَابِكِ الْأَنْيَابِ وَرَدٍ^(١)

وقال بشار :

وَأَفْسَى مِنَ الظُّرْبَانِ فِي لَيْلَةِ الْكِرَى

وَأَخْلَفُ مِنْ صَقْرِ وَإِنْ كَانَ قَدْ طَعِمَ

يهجو بها حمادَ عجرد .

ويقال : ليس في البهائم أطيبُ أفواهاً من الطباء .

(رضيعٌ مُلهمٌ)

وزعم علماء البصريين ، وذكر أبو عبيدة النحوي ، وأبو اليقظان

سُحيم بن حفص^(٢) ، وأبو الحسن المدائني ، وذكر ذلك عن محمد بن حفص ٥٧

عن مسلمة بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ في مشيخة أصحابنا من

البصريين ، أن طاعوناً جارفاً جاء على أهل دار ، فلم يشك أهل تلك

المحلّة أنه لم يبق فيها صغيرٌ ولا كبير ، وقد كان فيها صبيٌّ يرتضع ، ويجبو

ولا يقوم على رجله ، فعمد من بقي من المطعنين من أهل تلك المحلّة إلى

باب تلك الدار فسده ، فلما كان بعد ذلك بأشهرٍ تحوّل فيها بعضٌ ورثة

القوم ، ففتح الباب ، فلما أفضى إلى عرصة الدار إذا هو بصبيٌّ يلعبُ مع

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأمد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجريء

وانظر قصيدة ابن عبدل في الحيوان (١ : ٢٥٠ - ٢٥٣) . وخبرها في الأغاني

(٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراء كلية ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعته ذلك ، فلم يلبث أن أقبلت
كلبة كانت لأهل الدار ، فلما رآها الصبي حبا إليها ، فأمكنته من أطباؤها
فصها ، فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار وصار منسياً واشتد جوعه ، ورأى
أجراءها تستقي من أطباؤها ، حبا إليها فعطفت عليه ، فلما سقته مرةً أدامت
ذلك له ، وأدام هو الطلب .

والذي ألهم هذا المولود مص إبهامه ساعةً يُولد من بطن أمه ، ولم
يعرف كيفية الارتضاع ، هو الذي هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلية .
[وَلَوْ]^(١) لم تكن الهداية شيئاً مجموعاً في طبيعته ، لما مص الإبهام وحلمة
الثدي ، فلما أفرط عليه الجوع واشتدت حاله ، وطلبت نفسه وتلك الطبيعة
فيه ، دعت تلك الطبيعة وتلك المعرفة إلى الطلب والدنو . فسبحان من دبر
هذا وألهمه وسواه ودل عليه !!

(إلهام الحمام)

ومثل هذا الحديث ماخبر به عن بابويه صاحب الحمام . ولو سمعت
بقصصه في كتاب اللصوص ، علمت أنه بعيد من الكذب والتزويد .
وقد رأيت وجالسته ولم أسمع هذا الحديث منه ، ولكن حدثني به شيخ
من مشايخ البصرة ، ومن النزول بحضرة مسجد محمد بن رغبان^(٢) .
وقال بابويه : كان عندي زوج حمام مقصوص ، وزوج حمام طيار ،

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « رغبان » ، بالزاي . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق
هناك . وكلمة « محمد » ليست في س .

وفرخان من فراخ الزوج الطيار . قال : وكان في العُرفة ثقبٌ في أعلاها وقد كنتُ جعلتُ قُدَّام الكوَّة^(١) رفًّا ليكون مسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ في ذلك مخافة أن يعرضَ لي عارضٌ فلا يكون للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبينما أنا كذلك إذ جاءني رسولُ السلطان ، فوضعتُ في الحبس ، فنسيتُ قدرَ الزوج الطَّيار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتُّ من رحمةِ الزوجِ المقصوص ، وشغلني الاهتمامُ بهما^(٢) عن كثيرٍ ممَّا أنا فيه ، فقلتُ : أمَّا الزوجُ الطَّيارُ فإِنَّهُمَا يخرُجان ويرجعان ويزُقَّان ، ولعلَّهما أن يسَلِّما ولعلَّهما أن يذهبا - ٥٨ وقد كنتُ ربَّيتهما حتى تحصَّنا وورَدَا^(٣) - فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمَّا أن يثبَّتا وإمَّا أن يذهبا . ولكن كيفَ يكونُ حالُ المقصوصين ، ومن أسوأَ حالاً منهما؟! فحطَّ سبيلُي بعدَ شهر ، فلم يكن لي همٌّ إلاَّ النَّظَرُ إلى ماخلفتُ خلقني من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثبَّتا وإذا الزوجان قد ثبَّتا، وإذا الزوجان الطَّياران ثبَّتا على حالهما، إلاَّ أنِّي رأيتهما زاقين، إذ علامةُ ذلك في موضع الغببِ ، وفي القِرطِمتين^(٤) ، وفي أصولِ المذاكير ، وفي عيونهما ، فقلتُ : فكيف يكونان زاقين مع استغناء فرخيها عنهما؟! ولا أشكُّ في موتِ المقصوصين . ثمَّ دخلتُ الغرفةَ فإذاهما على

(١) الكوَّة : الحرق في الحائط ، والنقب في البيت .

(٢) في الأصل : « بها » .

(٣) هي من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمعنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفتتان على أصل منقاره ، أى أعلى منقاره .

أفضَلِ حال ، فاشتدَّ تعجُّبِي من ذلك ، فلم ألبثُ أن دنوا إلى أفواه
الزَّوجِ الكِبَارِ يصنعان كما يصنع الفرخ في طلب الزَّقِّ ، ورأيتهما حين
زقَّاهما ، فإذا هما لما اشتدَّ جوعُهُما ، وكانا يريانها يزقان الفرخين ويريان
الفرخين كيف يستطعمان ويستزقان ، حملهُما الجوعُ وحبُّ العيش ، وتلهَّبُ
العطش ، وما في طبعهما من الهداية ، على أن طلبا ما يطلب الفرخ ، فزقَّاهما
ثم صار الزَّقُّ عادةً في الطيَّار ، والاستطعامُ عادةً في المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومن الحمام حمامٌ يزقُّ فراخه ولا يزقُّ شيئاً من فراخ غيره ، وإن دنا
منه مع [فراخه فرخٌ من^(١)] فراخ غيره ، وشا كلَّ فرخيه في السنِّ
واللون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام ما يزقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أن
من الحمام حماماً^(٢) لا يزقُّ فراخه ألبتة حتى يموت . وإنما تعظم البلية على
الفرخ إذا كان الأب هو الذي لا يزقُّ ، لأن الولادة وعمامة الحضن والكفُّل
على الأم ، فإذا ظهر الولد فعامة الزَّقِّ على الأب ، كأنه صاحب العيال
والكاسب عليهم ، وكالأم التي تلد وترضع .

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام في حاجة إليها .

(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذي يقال له كاسر العظام ^(١) ، فإنه يبلغُ من
بِرِّ الفِراخِ كُلِّها ^(٢) بعدَ القيامِ بِشأنِ فراخِ نفسه ، أنه يتعاهدُ فرخَ العُقَابِ
الثالثِ ، الذي تخرجه من عَشِّها ؛ لِأَنَّها ^(٣) أشرُهُ وأرغَبُ بَطْنًا ، وأقسى قلباً
وأسوأُ خُلُقاً من أن تَحْتَمِلَ ^(٤) إطعامَ ثلاثة .

وهي مع ذلك سريعة الجَزَعِ ، فتخرج ما فَضَّلَ عن فرخين ، فإذا أخرجته
قبله كاسرُ العِظَامِ وأطعمَهُ ؛ لِأَنَّ العُقَابَ من اللائئِ تبيضُ ثلاثَ بيضاتٍ في
أكثرَ حالاتها ^(٥) .

(دفاع أسدي عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعيِّرَ رجلٌ من بني أسدٍ بأكلِ لحومِ الكلابِ ، وذَهَبَ إلى
قوله ^(٦) :

* يَا فِقْعَسِيُّ لِمَ أَكَلْتَهُ لِمَهُ *

٥٩

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى
إذا كان في كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل كل مخه ، ويسمى البلح
والبلت - كلاهما كزفر - وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم
المعلوف ١٤٣ - ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) في الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنها الجاحظ
هنا بقوله : « عشا » .

(٤) في الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول في عقود العقاب أو برها في الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما في اللسان (روح) وكما سبق في ١ : ٢٦٧ .

* لو خافك الله عليه حرمة *
* فإأأ كلت لحمه ولا دمه *

قال : فقال الأعرابي : أما علمت أن الشدة والشجاعة ، والبأس والقوة من الحيوان ، في ثلاثة أصناف : العقاب في الهواء ، والتمساح في ساكن الماء ، والأسد في ساكن الغياض .
وليس في الأرض لحم أشهى إلى التمساح ولا إلى الأسد من لحم الكلب .
فإن شتم فعُدوه عدواً لهما ، فإنهما يأكلانه من طريق الغيظ وطلب الثأر ،
وإن شتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية في بني أسد)

وبنو أسد أسد الغياض^(٢) ، وأشبه شئ بالأسد ، فلذلك تشبهى من اللحمان أشهاها إلى الأسد . والدليل على أنهم أسد ، وفي طباع الأسد ، أنك لو أحصيت جميع القتلى من سادات العرب ومن فرسانهم ، لو جدت شطرها أو قريبا من شطرها لبني أسد .

(١) قال ابن الأنباري : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذي لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ في البخلاء ١٩٧ : « وتهبى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلا من القبيلة قد أتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا في س . وفي ط : « الغياض » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء في مساءلة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرني عن ماثر العرب في الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلكَ كلُّهُ أَنَّ الكلبَ لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بياض الطريق ، وعلى عَفْرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح (١) .
فمن نُبِله في نفسه أن يتخَيَّرَ أبداً أنبلَ موضعٍ في المجلس ، وحيثُ يدَعُهُ ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاءً عليه - إلاَّ أن يتصدَّرَ (٢) فيه مَنْ لا يجوزُ إلاَّ أن يكون صدرًا ، فلا يقصِّر الكلب دون أن يرقى عليه .

وقد كان في حُجج معاوية في اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البرك (٣)]
إيَّاه بالسيف ، أنه أبصر كلباً على منبره .

هذا على ما طُبِعَ عليه من إكرام الرُّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لا ينبحُ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسود ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيهٍ تشبهُ حاله حالَ أهل الرِّيبة .

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المقرش .

(٢) في الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس في الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجلاج بن عبد الله الصريمي ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو في ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذي تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذي نصب نفسه لهـمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصلياً فأصاب ما كتبه (السكامل ٢ : ١٣٥ - ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبرى (٦ : ٨٦) .

وَمِنْ كِبْرِهِ وَشِدَّةِ تَجَبُّرِهِ ، وَفَرَطِ حَمِيَّتِهِ (١) وَأَنْفَتِهِ وَاحْتِقَارِهِ ، أَنَّهُ
مَتَى نَبِحَ عَلَى رَجُلٍ فِي اللَّيْلِ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ حَارِسٌ وَلَمْ يَمَكِّنْهُ الْقَوْتُ ، فَدَوَاؤُهُ
عِنْدَ الرَّجْلِ أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مَسْتَخْزِيًا مَسْتَسْلِمًا ، وَأَنَّهُ
إِذَا رَأَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ دَنَا مِنْهُ فَشَغَرَ عَلَيْهِ (٢) وَلَمْ يَهْجُهُ . كَأَنَّهُ حِينَ ظَفَرَ بِهِ ،
وَرَأَاهُ تَحْتَ قَدْرَتِهِ ، رَأَى أَنْ (٣) يَسْمَهُ بِمِسْمٍ ذَلٌّ ، كَمَا كَانَتِ الْعَرَبُ تُجَزِّ
نَوَاصِيَ الْأَسْرَى مِنَ الْفُرْسَانِ ، إِذَا رَامَتْ أَنْ تَخْلِيَ سَبِيلَهَا وَتَمُنَّ عَلَيْهَا ،
وَلَوْ كَفَّ الْعَرَبِيُّ عَنِ جَزِّ نَاصِيَتِهِ ، لَوْ سَمَهُ الْأَسِيرُ مِنَ الشُّعْرِ وَالْقَوَافِي الْخَالِدَاتِ
الْبَوَاقِ ، الَّتِي هِيَ أَبْقَى مِنَ الْمِسْمِ ، بِمَا هُوَ أَضْرُّ عَلَيْهِ مِنْ جَزِّ نَاصِيَتِهِ ،
وَلَعَلَّهُ لَا يَبْلُغُ أَهْلَهُ حَتَّى تَسْتَوِيَ (٤) مَعَ سَائِرِ شَعْرِ رَأْسِهِ ، وَلَكِنَّ ذَلَّ الْجَزِّ
لَا يَزَالُ يَلُوحُ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَزَالُ لَهُ أَثْرٌ فِي قَلْبِهِ .

(تقدير مطرف للكلب)

وَذَكَرَ أَنَّ مَطْرَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ (٥) كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لِلْكَلْبِ
اِخْسَاءٌ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَفِي دَعَائِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْكَلْبِ الَّذِي كَانَ

(١) الخمية : الأنفة . وفي الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغره عليه : رفع رجله قبالة . وفي ط : « فثغر » ، وصوابه في س .

(٣) في ط : « تحت قدرته أنه » ، وفي س : « رء أن » و صححتهما بما ترى .

(٤) في الأصل : « يستوى » ، والكلام في « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان
لأبيه صحبة . قال الجاحظ في شأنه : وكان خطيباً بيننا صاحب أخبار وأثار -
وذكره في جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير
في مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لا يمتنعونه من دُخول مُصَلَّاهُ ، قال : اللهمَّ امنعهم بركة صيدِه !!
دليلٌ على حسنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومَرَّ المسيحُ بنَ مريمَ في الحَواريِّينَ بِجيفةِ كلبٍ ، فقال بعضهم :
ما أشدَّ نَتَنَ ريحِه ! قال : فهَلَّا قلتَ : ما أشدَّ بياضَ أسنانه ! !
قالوا : وقال رجلٌ لـ كلبٍ : اخسأ ، ويُنك ! فقال هَمَّامُ بنُ الحارثِ (١) :
الويلُ لأهلِ النَّارِ .

(هراش الكلاب)

والهراش الذي يجرى بينها وهو شرٌّ ، يكونُ بينَ جميعِ الأجناسِ
المتنفقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك
جميعِ الأجناسِ . فأما الذي يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنع ناس من الناس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ
قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من
لا يشتهيهِ . يقول : لا تقبل بجديثك على من لا يقبل عليك بوجهه » البيان
١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله في البيان . قال ابن قتيبة : « ومات
عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه
وسلم . . . ومات في خلافة عبد الملك بن مروان بعد سنة سبع وثمانين » .
المعارف ١٩٣ .

(١) في البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ،
والربيع بن خثيم ، وأويس القرني »

ويقع فيه القِمَار ، ويتَّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغَالَى به ، فالسكلبُ
والسكلب ، والكبشُ والكبش ، والدَّيْكُ والدَّيْك ، والسُّمَانَى والسُّمَانَى (١) .

(التحريش بين الجرذان)

فَأَمَّا الْجُرْدُ (٢) فَإِنَّهُ لَا يِقَاتِلُ الْجُرْدَ (٣) حَتَّى يَشُدَّ رَجُلٌ أَحَدَهُمَا فِي طَرَفِ
خَيْطٍ ، وَيَشُدُّ الْجُرْدُ (٤) الْآخَرَ بِالطَّرَفِ الْآخَرَ ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَسَاوَةِ (٥)
وَالِالْتِقَاءِ (٦) ، وَالْعَضُّ وَالْحَمْسُ ، وَإِرَاقَةُ الدَّمِّ وَفَرَى الْجُلُودِ ، مَا لَا يَكُونُ
بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي يُهَارَشُ بِهَا .

والذي يحدث للجرذان (٥) طبيعة القتال ، الرباطُ نفسه ، فإن انقطع
الخيْطُ وانحلَّ العَقْدُ ، أَخَذَ هَذَا شَرْقًا وَهَذَا غَرْبًا ، وَلَمْ يَلْتَقِيَا (٦) أَبَدًا .
وَإِذَا تَقَابَلَتِ جِجْرَةَ الْفَأْرِ ؛ وَخَلَاهَا الْمَوْضِعُ ، فَيَبْنِيهَا شَرًّا (٧) طَوِيلٌ ،
وَلَكِنَّهُ لَا يَعْدُو الْوَعِيدُ وَالصَّخْبُ ، وَلَا يَلْتَقِي مَنِهْمَا اثْنَانِ أَبَدًا .

(١) في الأصل : « والسمان والسمان » ، صوابه ما أثبت . وانظر ه : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الجراد » ، س ، م : « الجرذ » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) لعلها « المساورة » بمعنى المواثبة ، أو « المشاركة » بمعنى تبادل الشر .

(٤) في الأصل : « الالتفات » . وانظر ماسيأتى من الكلام .

(٥) ط : « للجراد » . س ، م : « الجرذان » والوجه ما ذكرت .

(٦) في الأصل : « يلتفتا » وانظر سياق الكلام .

(٧) الجحرة : جمع جحر . و « لها » و « بينها » هي في الأصل « لهما »

و « بينهما » وهو تحريف ، إذ الضميران راجعان إلى الفأر ، والفأر جمع فأرة .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدّثني ثمامة بن أشرس قال : كان بقيّ في الحبس جُحْرُ فأر^(١) ، وتلقّاه جُحْرُ آخر ، فبرى لكلّ واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً ، حتّى يُظنّ أنّهما سيلتقيان ثم لا يلتجزان حتّى يقتل كلّ واحدٍ منهما صاحبه . فبينما كلٌّ واحدٍ منهما في غاية الوعيد ، إذ مرّ هارباً حتّى دخل جُحره ، فما زالا كذلك ، حتّى أتى الله تعالى بالفرج وخلى سبيلى .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنّ السلوقيّة الطويلة المناخر أجودُ شماً ، والشمّ العجيب والحس^(٢) اللطيف من ذلك^(٣) ، إلّا أنّ ذلك في طلب الذكور للإناث والإناث للذكور خاصة . وأمّا شمّ المأكول ، واسترواح الطعم ، فللسباع في ذلك ما ليس لغيرها . وإنّ الفأر ليشمّ ، وإنّ الدّر والنمل ليشمّ ، وإنّ السنابير لتشمّ ، وكذلك الكلب ، وله في ذلك فضيلة ، ولا يبلغ ما يبلغ الذئب . ٦١
وقال أعرابي :

كان أبو الصّحيم من أربابها صبّ عليه الله من ذئبها
أطلس لا ينحاش من كلابها يلتهم الطائر في ذهابها

(١) كذا ، ولعل الكلام « قال إنه كان في الحبس جحر فأر » .

(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) أى من طول المناخر .

* فِي الْجَرِيَةِ الْأُولَى فَلَا مَشَى بِهَا *

أَلَا تَرَاهُ يَجْتَهِدُ فِي [الدُّعَاءِ عَلَيْهَا] بِذَنْبٍ^(١) لَا يَنْحَاشُ مِنَ الْكَلَابِ .

بَاب

مَا يُشَبَّهُ بِالْكَلْبِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ

وإِذَا جَرَى الْفَرَسَ الْمَحْجَلَّ ، شَبَّهُوا قَوَائِمَهُ بِقَوَائِمِ الْكَلْبِ إِذَا ارْتَفَعَتْ

فِي بَطْنِهِ ، فَيَصِيرُ تَحْجِيلُهَا كَأَنَّهُ أَكْلُبُ صِغَارًا تَعْدُو ، كَمَا قَالَ الْعُمَانِيُّ^(٢) :

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلُبًا بِيضًا صِغَارًا يَنْتَهَشْنَ الْمَنْقَبَا^(٣)

وَقَالَ الْبَدْرِيُّ :

كَأَنَّ أَجْرَاءَ كَلَابٍ بِيضٍ دُونَ صِفَاقِيهِ إِلَى التَّغْرِ بِيضٍ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلَا تَرَاهُ يَجْتَهِدُ فِي ذَنْبٍ » ، وَأَصْلَحَتْ الْقَوْلُ بِمَا تَرَى .

(٢) الْعُمَانِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ ذُوَيْبِ الْحَنْظَلِيِّ ، وَقِيلَ لَهُ الْعُمَانِيُّ وَهُوَ بَصْرِيُّ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ ، وَلَكِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ دَكِينُ الرَّاجِزِ فَقَالَ : مِنْ هَذَا الْعُمَانِيُّ ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَصْفَرَ مَطْحُولًا ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ عُمَانَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالَهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ

وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِزًا مَتَوَسِّطًا ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لَيْسَ مِنْ نَظَرَاءِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ شَاهَدَهُمْ فِي عَصْرِهِ مِثْلَ أَشْجَعِ ، وَسَلْمِ ، وَمَرْوَانَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَطِيفًا دَاهِيًا مَقْبُولًا ، فَأَفَادَ بِفَعْلِهِ أَمْوَالًا جَائِلَةً ، وَكَانَ الْعُمَانِيُّ مَقْرَبًا لِذِي الرَّشِيدِ . الْأَغَانِي

(١٧ : ٧٨ - ٨٣) وَالشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتَيْبَةَ ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٣) انظُرْ دِيْوَانَ الْعُمَانِيِّ (٢ : ١١٤) وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٧٢ .

(٤) الصَّفَاقُ ، جِلْدُ الْبَطْنِ .

وقال الآخر :

كَأَنَّ قِطًّا أَوْ كِلَابًا أَرْبَعًا دُونَ صِفَاقِيهِ إِذَا مَا ضَبَعًا^(١)
ويصفون الطَّلَعَ أَوَّلَ مَا يَبْدُو صَغَارًا بِأَذَانِ الْكِلَابِ الْبَيْضِ . وقال
في ذلك الرَّاجِزُ :

أَنْعَتُ جُمَارًا عَلَى سَحِيضٍ^(٢) يَخْرِجُ بَعْدَ النَّجْمِ وَالتَّبَعِيضِ^(٣)

* طَلَعًا كَأَذَانِ الْكِلَابِ الْبَيْضِ *

وَيُوصَفُ صَوْتُ الشَّخْبِ فِي الْإِنَاءِ بِهَرِيرِ هِرَاشِ الْكِلَابِ .
وقال أعرابي :

كَأَنَّ خَلْفِيهَا إِذَا مَا هَرًّا جَرَوًا كِلَابٍ هُورِشًا فَهَرًّا^(٤)

وقال الآخر :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا الْمَسْحَنْفِرِ^(٥) بَيْنَ الْأَبَاهِيمِ وَبَيْنَ الْخَنْصَرِ^(٦)

* هِرَاشٌ أَجْرَاءٌ وَلَمَّا تُثَغِّرُ^(٧) *

(١) ضبع : أسرع . وضع وضع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضع : العضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور التبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لينها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أي صوت هراش أجراء . وتثغر : تبدو أسنانها . ولعلها « ثغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمانة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان

وقال أبو دُوَادٍ (١) :

طَوِيلٌ طَامِحِ الطَّرْفِ إِلَى وَهْوَهَةِ السِّكْلِيبِ (٢)

٦٢

(جواب صبيّ)

وزعم الهيثم بن عدى (٣) قال : كان رجل يسمّى كلباً ، وكان له بُنْيٌ

يلعبُ في الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن من ؟ فقال : ابن وَوَّوَوَّ ووَّو !

(ما يستحبُّ في ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنب الكلبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم

قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

(١) في الأصل : « أبو داود » ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتي في أدب الكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبي داود . لكن قال أبو عبيد البكري في التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبي داود ولا وقع في ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزاني . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق في الأسمعيات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية في المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الكلب » : أي نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الكلب إيساد صاحبه أي إغراهه . والبيت في صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الكلب عند جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور في البيت الذي قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيب كل ذي ميمة سكب

أشم سلجم المقسب ل لا شخت ولا جاب

ومن رفع فعل خبر مبتدأ مضمرة . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا في س ، وهو الصواب . وفي ط : « عرابي » ، وفي م : « عربي » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالماً بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارج . توفي سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر في ٥ : ٢٨٨ .

* تَلَوِي بِأَذْنَابٍ قَلِيلَاتٍ اللَّحَا (١) *

وقال الشاعر (٢) :

إِنِّي وَطَلَبَ ابْنَ غَلَّاقٍ (٣) لِيَقْرِيَنِي (٤)

كالغابط (٥) الكلبَ يبغي الطَّرْقَ فِي الذَّنْبِ (٦)

الطَّرْقُ : الشحم اليسير ، يقال : ليس به طَرْقٌ .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس في الأرض فَرخٌ ولا جرو ولا شيءٌ من الحيوان أَسْمَنَ ولا أرطبَ ولا أطيَبَ من أجراء الكلب . وهي أشبهُ شيءٌ بالحمام ؛ فإنَّ فِرَاحَ الحمام أَسْمَنُ شيءٌ مادامت صغاراً من غير أن تَسْمَنَ ، فإذا بَلَغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الكلاب .

(١) ط : « اللحم » س : « اللحمي » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد بالحا - وهو مقصور اللحاء - مايكسو الذنب من اللحم . وفي المقصور والمدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للتمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من بني سليم ، كما في اللسان (غبط) .

(٣) في أمثال الميداني ٢ : ٢٠ : « إني وإن ابن علاق » ، وفي اللسان : « إني وأني ابن غلاق » . والطلب : هو الطلب سكنت لامة للشعر .

(٤) ط : « ليقريني » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميداني واللسان .

(٥) الغابط : الذي يحس الحيوان ليعرف سننه من هزاله . وفي م : « كالغابط » وفي ط : « كالتالِب » . وفي الأمثال : « كغابط » ، وذلك تحريف ما أثبت من س . وفي اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت في اللسان :

إذا تحليت غلاقاً لتعرفها لاحت من الأوم في أعناقها الكتب
قال الميداني : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وَأَغْضَفِ الْأُذُنَ طَاوَى الْبَطْنِ مُضْطَمِرٍ

لَوْهُوهِ رَذِمِ الْخَيْشُومِ هَرَارٍ^(١)

الأصمعيّ قال : قال أعرابيٌّ : أصابتنا سنةٌ شديدة ، ثم أعقبتها سنةٌ

تتابع فيها الأمطارُ فسمّنت الماشية ، وكثرت الألبان والأسمان ، فسمن بولدان الحى ، حتى كأنّ استأحدهم جرو يتمطى !

(طلب أبي دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العباس أمير المؤمنين^(٢) لأبي دلامة : سلّ !

قال : كلباً . قال : ويلك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به .

قال : فلك كلب . قال : ودابّةٌ . قال : ودابّةٌ . قال : وغلاماً يركب الدابة

ويصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريةٌ . قال : وجاريةٌ . قال : يا أمير

المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريةٌ ودابّةٌ ، هؤلاء عيال ، ولا بدّ من دار . قال :

ودار . قال : ولا بدّ لهؤلاء من غلّةٍ ضيعةٍ . قال : أقطعناك مائةً جريبٍ

عامرةً ومائةً جريبٍ غامرة . قال : وأىُّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

(١) لوهوه : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجسرى . والرذم :

الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أى كيدخل ، ويضرب -

رذما ورذمانا : قطر . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار :

الكثير الهرير ، وهو النباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية

(١٠٤ - ١٣٦) . والحديث فى الأغاني ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ

حيث توجد ترجمة أبي دلامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

تبات . قال : أَنَا أَقْطَعُكَ خَمْسَ مِائَةِ جَرِيبٍ مِنْ فَيَافِي بَنِي أُسْدٍ غَامِرَةً .
قال : قد جعلنا لك المائتين عامرتين كُلِّهًا^(١) ، ثمَّ قال : أبقَى لك شيء ؟
قال : نعم ، أقبِلْ يدك . قال : أَمَا هَذِهِ فِدْعُهَا . قال : مامنعت عيالي شيئاً
أهونَ عليهم فقدأ منه ؟ !

(علمه حيلة فوقع في أسرها)

أبو الحسن عن أبي مریم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثر
عليه الدَّين حتَّى توارى من غرمائه ، ولزِمَ منزله ، فأناه غريم له عليه
شيءٌ يسيرٌ ، فتلطفَ حتَّى وصل إليه ، فقال له : ما تجلُّمُ لي إن أنا دللتُك
على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلَامَةِ من غرمائك ؟ قال : أفضيكَ
حقِّك ، وأزيدُك ممَّا عندى ممَّا تقرُّ به عينك . فتوثقَ منه بالأيمان ،
فقال له : إذا كان غداً قبلَ الصَّلَاةِ مرُّ خادمتك يكنُسُ بابك وفناءك
ويرشُ ، ويبسُطُ على دكانك حُصراً ، ويضعُ لك متسكاً ، ثمَّ أمهل حتى
تصبحَ^(٢) ويمرُّ الناسُ ، ثمَّ تجلسُ ، وكلُّ من يمرُّ عليك ويسلمُ انبج له
في وجهه ، ولا تزيدَنَّ على النُّباحِ أحداً كائنا من كان ، ومن كَلِّمك من
أهلك أو خدَمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتَّى تصيرَ إلى الوالى
فإذا كَلِّمك فانبج له ، وإيَّاك أن تزيدَه أو غيره على النُّباحِ ؛ فإنَّ الوالى

(١) ط : « كلهما » .

(٢) في الأغاني عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ،
ابتداً بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال
مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .

(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقنَ أن ذلك منك جدُّ لم يشكَّ أنه قد عرَض لك عارض من مسِّ فيخلِّي عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعل ، فرَّ به بعضُ جيرانه فسلمَّ عليه ، فنبَح في وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتَّى تسامعَ غرماؤه فأثاه بعضهم فسلمَّ عليه فلم يزدْه على النَّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزدْه على النَّباح ، فرفعه معهم إلى القاضى ، فلم يزدْه على ذلك ، فأمرَ بحبسِه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، ومَلَك نفسه وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ سوى النَّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ إلاَّ النَّباح ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمرَ غرماءه بالكفِّ عنه ، وقال : هذا رجلٌ به لَمَمٌ . فسكث^(١) ما شاء الله تعالى . ثمَّ إنَّ غريمه الذى كان علَّمه الحيلة ، أثاره متقاضياً لِعِدَّتِه^(٢) فلمَّا كلمه جعل لايزيدْه على النَّباح ، فقال له : ويلك يا فلان !! وعلىَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعل لايزيدْه على النَّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه به .

(اتحاد المتعاديين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطَّاب الأزديّ ، قال : لما تشاغل عبدُ الملك بن مروان بمحاربةِ مُصعبِ بنِ الزُّبير ، اجتمعَ وجوهُ الرُّومِ إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنتك الفرصةُ من العرب ، بتشاغُلِ بعضهم

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها

من س .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأى لك أن تغزوهم إلى بلادهم ،
فإنك إن فعلت ذلك بهم نلت حاجتك ، فلا تدعهم حتى تنقضى الحرب
التي بينهم فيجتمعوا عليك ! فهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، فأبوا عليه إلا
أن يغزوا العرب في بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمر بكلبين فحرش
بينهما ، فافتتلا قتالا شديداً ، ثم دعا بثعاب فخلاه ، فلما رأى الكلبان
الثعلب ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف
ترون؟! هكذا العرب ، تقتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤
فعرفوا صدقه ، ورجعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرة لرجلٍ خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديقُ توعده
بصدقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إن هذا يتوعدني بمعرفتك إياها ،
وزعم أنها تنفعه عندك . قال : أجل ! إنها والله لتنفع ، وإنها لتنفع عند
الكلب العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنك بغيره ؟ وأنت لا تصيب
من الناس من تنفع عنده المعرفة من ألفٍ واحداً^(١) .

وهذا الكرمُ في الكلاب عامٌ . والكلبُ يحرسُ ربّه ، ويحمي حريمه
شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونائماً ويقظان ، ولا يقصر عن ذلك وإن
جفوه ، ولا يخذلهم وإن خذلوه .

(١) في الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والكلبُ أيقظُ الحيوانَ عيناً في وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثم لا ينام إلاً غراراً وإلا غشاشاً^(١) . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون^(٢)] إسكاراً له ، أن يكونَ كما قال رؤبة :

* لا قيت مطلاً كنعاسِ الكلبِ^(٣) *

يعنى بذلك القرمطة في المواعيد .

وكذلك فإنه أنومُ ما يكونُ أن يفتحَ عينه بقدر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعة ، وهو في هذا كله أسمعُ من فرس ، وأحذرُ من عقعق^(٤) ، مع بُعد صوته

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الكلام في هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق - كعقوب - طائر على قدر الحمامة ، في شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثل بالعقق في الحذر ، يضرب به أيضاً في السرقة والحيانة ، قال :

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العقعق
قصير الذناب طويل الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينيه في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب في الجمال)

وقيل لرجل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُور العينين ، وإشراف
الحاجبين ، ورُحْب الأَشْدَاق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السامة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ،
وجوائف اللطعان^(١) ونوافذ السهام . وإذا ناله ذلك لم يزل ينظفه بريقه ؛
لمعرفته بأن ذلك هو دواؤه حتى يبرأ ، لا يحتاج إلى طيب ، ولا إلى مرهم
ولا إلى علاج .

(طول ذمء الضب والكلب والأفعى)

وتقول للعرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذمءٌ »^(٢) ، والكلبُ أعجبُ
في ذلك منه . وإنما عجبوا من الضبِّ ، لأنه يَغْبُرُ^(٣) ليلته مذبوحة مفريَّ
الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتى إذا قَرَّب من النار تحرك . كأنهم يظنون أنه
قد كان حيًّا ، وإن كان في العين ميتًا .
والأفعى تبقى أيامًا تتحرك .

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذمء : بقية الروح . وفي ط : « أطول شيئا » ، وهو على الصواب في س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفي ط ، م : « يغير » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأما الذى يعتريه الاختلاج بعد جموده^(١) ليلة ، فلعنم البقر
والجُرُز^(٢) ، تخرج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .
والحيّة يُقَطَّعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش
عليها شئ إلا الكلب ، والخنزير ، والخنفساء .

(قوة فك الكلب وأنيابه)

والكلب أشدُّ الأشياء فكاً ، وأرهمها ناباً ، وأطيبها^(٣) فماً ،
وأكثرها ريقاً ، يُرمى بالعظم المدمج^(٤) ، فيعلم بالغريزة أنه إن
عضه رضه ، وإن بلعه استمرأه^(٥) .

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخيبها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلاً فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو أُلوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانيرَ ، بل يزيد على ذلك في باب الخاصِّ وفي باب العامِّ . فأما باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام (١) ما هو طُورانيٌّ (٢) وحشِيٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلي . والخطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيته إلاَّ في أبعَدِ المواضع ، من حيثُ لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادٍ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون في القرب حيثُ تمتنع منهم في أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملايسةٌ ، ليس منها وحشِيٌّ ، وكلُّها أهلي . وليس من القواطع [ولا] (٣) من الأوابد ما يكون آنس بالناس — من كثيرٍ ممَّا يوصف بالأنس والإلف — من الكلاب دون سواها (٤) . وفي السنانير الوحشيَّة والأهليَّة .

وعلى أنَّ إلفَ الكلب فوقَ إلفِ الإنسان الأُلوف (٥) ، وهو في الكلب أغرَبُ منه في الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركها ولم يناسبها ، ورغب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوحوشَ ويمنع جميعَ السباع [من (٦)] الإفساد؟ ! فذلك أحمدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب في ذلك ما أثبت .

(٢) في معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآني . . . قال : والعامَّة تقول طوراني ، وهو خطأ . وفي اللسان : « وحمام طوراني وطوري منسوب إليه » . أي إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : « من الناس دون سواهم » .

(٥) ط : « الأُلوق » ، وصوابه من س ؛ م .

(٦) الزيادة من س .

وأوجبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ في كثيرٍ من حالاته ، آنسَ بالنَّاسِ منه
بالكلابِ دِنِيَّةً وَقُصْرَةً^(١) ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنساناً يلاعبه .
ثمَّ لم يَرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع
الْحَطَّافِ والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضلها اللهُ تعالى بِهِ من الأُنسِ ،
حتَّى صار إلى غايةِ المنافعِ سَلَمًا ، وإلى أكثرِ المرافقِ^(٢) .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس^(٣)] لحارس الناس ولحارس أموالهم بُدُّ من كلب ، وكلَّما
كان أكبرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدُّ لأقارب المواشي من الكلاب ، وإلَّا
فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلاب الصيِّد ، حتَّى كان أكثرُ
أهل البيت عيالاً على كلِّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقبول الثلقين ، وحُسن
التصريف في أصناف اللَّعب ، وفي فِطْنِ الحكايات [ما ليس^(٤)]

(١) يريد الكلاب القريبة إليه في النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك .
ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلماً » .

(٣) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها . وفي س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله في الأصل : « وفي » ، والوجه ما أثبت .

في الجوارح المذلة لذلك ، المصرفة فيه ، [و^(١)] ما ليس عند الدبّ والقرد
والفيل ، والغنم المكّيّة ، والببغاء .

(الكلب الزيني)

والكلب الزيني الصّيني^(٢) يُسرج على رأسه ساعات كثيرة من الليل
فلا يتحرّك . وقد كان في بني ضبة كلب زيني صيني^(٣) ، يُسرج على رأسه ،
فلا ينبض فيه نابض ، ويدعونه باسمه ويرمى إليه ببضعة لحم والمسرجة على
رأسه ، فلا يميل ولا يتحرّك ، حتّى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح
من رأسه ، فإذا زایل^(٤) رأسه وثب على اللحم فأكله ! . دُرّب فدرب ، ٦٦
وثقف فتقف ، وأدب فقبل . وتعلّق في رقبة الزنبلة^(٥) والدوخلة^(٥)
وتوضع فيها رُفعة ، ثم يمضى إلى البقال ويبيء بالحوائج .

(تعليم الكلب والقرد)

ثم صار القراد وصاحب الربّاح^(٦) [من^(٧)] ثمّ يستخرج فيما بين
الكلب والقرد ضرباً من العمل ، وأشكالاً من الفطن ، حتّى صاروا يطحنون

(١) ليست بالأصل .

(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .

(٣) ط : « أزيل » وصوابه في س .

(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .

(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفيف ، أصل معناها : سفينة من
خوص يوضع فيها التمر والرطب .

(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفي الأصل : « الرياح » ! .

(٧) تكلّة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضوا به إلى التمتع^(١) ، فيمتعك كما يمتعك
حمار المكاري وبغل الطحان .

وقرابة أخرى بينه وبين الإنسان : أنه ليس شيء من الحيوان لذكوره
حجم باد إلا الكلب والإنسان .

(ما يسبح من الحيوان وما لا يسبح)

والكلب بعد هذا أسبح من حية ، ولا يتعلق به في ذلك الثور ،
وذلك فضيلة له على القرد ، مع كثرة فطن القرد وتشبهه بالإنسان ؛ لأن
كل حيوان في الأرض فإنه إذا ألقى في الماء الغمر سبح ، إلا القرد
والفرس الأعسر ، والكلب أسبحها كلها ، حتى إنه ليقدّم في ذلك على
البقرة والحية .

(ما في إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفي طباع أرحام الكلاب أعجوبة ؛ لأنها تلحق من أجناس غير
الكلاب ، ويلقحها كما يلحق منها ، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان ،
فتؤدى شبه كل كلب ، وتمتلئ أرحامها أجراً من سفاد كلب ، ومن مرة
واحدة ، كما تمتلئ من عدة كلاب ومن كلب واحد . وليست هذه الفضيلة
إلا لأرحام الكلاب .

(١) التمتع : مكان تمك الدابة في التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزنج صنفان ، قبيلة زنجية فوق قبيلة ، وهما صنفان : النمل والكلاب ، فقبيلة هم الكلاب ، وقبيلة هم النمل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدة^(١) . وهذان الاسمان هما ما اختاراهما لأنفسهما ولم يُكرها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبَةَ^(٢) بن أبي هَب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدة : قد ثبت بذلك أنَّ الأسد كلبُ الله^(٣) . والثانية : أنَّ الله تبارك وتعالى لا يُضَافُ إليه إلاَّ العَظِيمُ ،

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الكلاب ، وللقبيلتين حديث في البيان ٣ : ٥١ .

(٢) في الأصل : « قال يالهب » . وفي ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبي فيهما نص الجاحظ — « عتبية » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما في الأغاني (١٥ : ٢ — ٣) وكما في المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفي الأغاني عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام في ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي القاصرة ، وهي مبيعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أريدون أن تجعلوني حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فإني أنهي إلا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح : أي قوم ! قتلني دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد في حواشي الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك في آخر الكتاب هنا .

(٣) في فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشر^(١) . فأما الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُور الله ، وكتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليق الله ، وكليم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك^(٢) . وأما الشرُّ فكقولهم : دَعَهُ في لعنةِ الله وسَخَطَ الله ، ودَعَهُ في نارِ الله وسَعِيره^(٣) ، وما أشبه ذلك . وقد يسمَّى المسلمون والنَّاسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنَّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضَّبَاعَ ، والكلابَ ، كلُّها كلاب ، ولذلك تَسَافَدُ وتَلَاقِحُ^(٤) .

وقال آخرون : لَعَمْرِي إِنَّهَا الكلابُ إذا أردتم أن تشبَّهوها ، فأما أن تكونَ كلاباً لَعَلَّةٍ أو عَلَّتِينَ - والوجوهُ التي تخالف فيها الكلابُ أكثر - فإنَّ هذا ممَّا لا يجوز .

وقول مَنْ زعم أنَّ الجواميسَ بقراً وأنَّ الخيلَ حُمُرَ ، أقربُ إلى الحقِّ من قولكم ، وقولٍ من زعم أنَّ الجواميسَ ضأنَ البقر . والبقرُ ضأفٌ أيضاً ، ولذلك سَمَّوا بقرَ الوَحْشِ نِعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتِّفَاقَ الأسماء .

وما بالُ من زعم أنَّ الأسدَ والذئبَ والضبعَ والثعلبَ وابنَ آوى كلابٌ أحقُّ بالصوابِ ممَّن زعم أنَّ الجواميسَ ضأنَ والبقرَ ضأنُ

(١) فقه اللغة : « من الأشياء في الخير والشر » ، وفي الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .

(٢) انظر ما سبق في ١ : ٣٤١ .

(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفي الثمار : « وسقره » .

(٤) أراد : « تتسافد وتلاقح » فحذف إحدى التامين .

[و] (١) الماعز كلها شيء واحد . وهذا أقرب إلى الإمكان ؛ لتشابهها في الظلف والقرون والكروش (٢) وأنها تجترُّ . والسَّنور والفهد والنمر والببر والأسد والذئب والضبع والتعلبُّ إلى أن تكون شيئاً واحداً أقرب . وعلى أننا لم نتبين إلى الساعة أن الضباع والكلاب وبنات آوى والذئب تتلاقح ؛ ومارأينا (٣) على هذا قط [سَمِعَا (٤)] ولا عَسْبَاراً ، ولا كلَّ ما يُعَدُّون . وما ذكَّرتهم لذلك إلا من طريق الإخبار عن السرعة ، أو عن بعض ما يُشبه ذلك . فأما التلاقح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعراب أفطنُ - والكلام عندهم أرخص (٥) - من أن يكونوا وصفوا كلَّ شيء يكون في الوحش ، وكلَّ شيء يكون في السهل والجبل ، مما إذا جمع (٦) جميع أعاجيبه لم يكن أظرف ولا أكثر مما يدعون من هذا التأسف والتلاقح والتركيب في الامتزاجات . فكيف يدعون ما هو أظرف ، والذي هو أعجب وأرغب ، إلى ما يستوى في معرفته جميع الناس ؟ !

(تَمَّةُ الْقَوْلِ فِي الْحَدِيثِ السَّابِقِ)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أن ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلا على أن تمدحوا كلبكم فيقول قائلكم : ما هو إلا

(١) الزيادة من س .

(٢) ط : « الكروش » ، والوجه ما أثبت من س .

(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما في س .

(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » في الجزء الأول ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٥) س : « أدحض » .

(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسد ؛ وكذلك القول في الأسد إذا سَمِّيَ موه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتفريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإن ذلك على بعض ما وصفنا لك . ويقول أهل حمص : إنهم لا يُغلبون ؛ لأن فيها نورَ الله في الأرض ^(١) . . وما كلبُ الله إلا كنور الله . والله ، تبارك وتعالى علواً كبيراً ، لا تُضافُ إليه الكلابُ والسنانيرُ والضبَاعُ والثعالب . والنبي صلى الله عليه وسلم] ^(٢) لم يقل هذا قطُّ . وإن كان قاله فعلى صلةٍ كلامٍ أو على حكايةٍ كلام .

وقال صاحب الكلب : قد وضح الأمر ، وتلقاه الناس بالقبول ، في أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَكَلَكُ كَلْبُ اللَّهِ » وهو يعني الأسد . ومن دفع ^(٣) هذا الحديث فقد أنكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الكلب)

والنَّاسُ قد سَمَّوا النَّاسَ بِكَلْبٍ وَكَلْبٍ وَكَلْبٍ وَكَلْبٍ وَأَكْلَبُ وَمَكَالِبِ وَمَكَالِبَةُ بَنُو رَيْبَعَةَ ^(٤) ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفي العرب من

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما في معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على علي رضي الله عنه ، بصفين مع معارفة كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولاً وأخيراً » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما في الجزء الأول ص ٣١٣ - ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو السكلبية ، وبنو كلاب^(١) ، وأكلب بن ربيعة بن نزار
عمارة ضخمته^(٢) . وكلب بن وبرة جذم من الأجدام^(٣) وهم نفر بجمجمة^(٤) ،
وكل سادات^(٥) فهو يكنى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب^(٦) ٦٨
وأبو عمرو الكلب الجرمي^(٧) وأبو عامر الكلب النحوي . وكيف
لا يجوز مع ذلك أن يسمى الأسد بالكلب ، وكل هؤلاء أرفع من
الأسد؟ !

وقد قالوا : كلب المراء ، وكتب الرحى . والضبة^(٨) التي في الرحل
يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التي تمنع الحائط من السقوط

(١) في ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .

(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .

(٣) الجذم : الأصل .

(٤) كذا في ط ، م . وفي س : « وهم بعد بجمجمة » .

(٥) كذا في ط . وفي س : « شاداب » . وفي م : « شادات » .

(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بني هذيل . قال ابن الأعرابي : سمي
ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا
ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو
بني فهم غزوا متصلا . فنام ليلة في بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم
قتله ، وقالت أخته ربيعة ترثيه بقصيدة أولها :

كل امرئ لمحال الدهر مكروب وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبهما
والتارك القرن مصفرا أنامله
تمشى النصور إليه وهي لاهية
والخرج العاتق العذراء مذعنة
مثنعجر من نجيع الجوف أسكوب
كأنه من رجيع الجوف مخضوب
مشى العذارى عاين الجلابيب
في السبي ينفخ من أردائها الطيب

الأغاني ٢٠ : ٢٢ - ٢٣ .

(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .

(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدية العقفاء التي تكون في طرف الرحل ، تعلق فيها
المزاود والأدوى .

وتُشخَّص في القناطر والمسنيات (١) .

والكلب الذي في السماء ذو الصُّور (٢) .

ويقال : داء الكلب ، وقد اعتراه في الطعام كلب ، وقد كلب عليهم

في الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكلبي شفاء » (٣) .

ومته الكلبة والكلبتان (٤) والكلاب (٥) والكلوب (٦) ثمَّ المكلب

والمكلب (٧) وهذا مختلف مشتقُّ من ذلك الأصل .

ومنه علويَّة (٨) كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجن .

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . والكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهي من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعري العبور والشعري النمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعري الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ - ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، صدره كما في ص ٨ - ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة الحداد يأخذ بها الحديد المحمي ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديدية التي على خف الرائص للدابة ، وجمعها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أي آلة نشل الشيء ورفعها . وقال الليثاني : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد علمه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كبحسن ، وهو الرجل الذي كلبت إبله : أي أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوية » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهد أبو علقمة المزني عند سوار بن عبد الله^(١) أو غيره من القضاة [و^(٢)] توقّف في قبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقّفت في إجازة شهادتي ؟ قال : بلغني أنك تلعب بالكلاب والصمّور . قال : من خبرك أنّي ألعب فقد أبطل ، وإذا بلغك أنّي أصطادُ بها فقد صدّقك من أبلغك ، وإنّي أخبرك أنّي جادٌّ في الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازي ، فقد وقّف المبلّغ بك على فرقِ ما بين الجدِّ واللّعب . قال : ما وقّف ولا وقّفته عليه . فأجازَ شهادته .

(قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنيّبه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ ﴾ . فاشتقَّ لكلِّ صائِدٍ وجارحٍ كاسبٍ مِنْ بَازٍ ، وصقيرٍ ، وعقَابٍ ، وفهْدٍ ،

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبري البصري ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيهاً فصيحا ، أدبيا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إني جئتكم في حاجة رفعها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! ففضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهين ، وزرقي ويويو ، وباشق ، وعناق الأرض^(١) ، من اسم الكلب . وهذا يدل على أنه أعمها نفعاً ، وأبعدها صيداً ، وأنبها ذكراً . ثم قال : ﴿ تَعَلَّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمهم لها إذ أضاف ذلك إلى نفسه ، ثم أخبر عن أدها وأنها تمسك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعم أصحاب الصييد أن ليس في الجوارح شيء أجدر أن يتمسك على صاحبه ولا يتمسك على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبية صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ (٢) أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ . فخبّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ثم قال عزّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شيء

حتى الطير .

(٢) ليست بالأصل .

إِذَا شَطَطًا ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ قَالَ
 بَعْدَ هَذِهِ الصُّفَةِ لِحَالِهِمْ ، وَالتَّمَكِينِ لَهُمْ مِنْ قُلُوبِ السَّامِعِينَ ، وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي
 أَتَاهُمْ بِهَا : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ لَوِ اطَّلَعَتْ
 عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ﴿٤﴾ فَخَبَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَصْحَبُوا
 مِنْ جَمِيعِ مَنْ يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ ، شَيْئًا غَيْرَ الْكَلْبِ ،
 فَإِنَّ مِمَّا يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ : الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ ،
 وَالْحِمَارَ وَالْبُغْلَ ، وَالتَّوْرَ وَالشَّاةَ ، وَالْحَمَامَ وَالذَّبَّيْكَةَ ، كُلٌّ ذَلِكَ مِمَّا يَرْتَفِقُ
 [بِهِ (١)] ، وَيُسْتَصْحَبُ فِي الْأَسْفَارِ ، وَيُنْقَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

وَالنَّاسَ يَصْطَادُونَ بِغَيْرِ الْكَلْبِ ، وَيَسْتَمْتَعُونَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، فَخَبَّرَ
 عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُمْ خِيَارًا أَوْ بَرَارًا ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَارُوا اسْتَصْحَابَ شَيْءٍ سِوَى
 الْكَلْبِ ، وَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْقِفِينَ الْمُعْصُومِينَ الْمُؤَيَّدِينَ ، إِلَّا بِخَاصَّةٍ
 فِي الْكَلْبِ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِهِ .

ثُمَّ أَعَادَ ذِكْرَ الْكَلْبِ ، وَنَبَأَ (٢) عَنْ حَالِهِ ، بِأَنَّ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذِ
 يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ
 الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
 كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ
 وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُحِصِرْ فِيهِمْ

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .

(٢) في الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١﴾ وفي قولهم في الآية : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿٢﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَلْبَ رَفِيعُ الْحَالِ ، نَبِيهِ الذَّكْرُ ، إِذْ جُعِلَ رَابِعُهُمْ ، وَعُطِفَ ذِكْرُهُ عَلَى ذِكْرِهِمْ ، وَاشْتَقَّ ذِكْرُهُ مِنْ أَصْلِ ذِكْرِهِمْ ، حَتَّى كَانَتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِمْ أَوْ أَشْبَاهِهِمْ ، أَوْ مِمَّا يَقَارِبُهُمْ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ : سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ . وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ - فَرَقٌ بَيْنَ ، وَطَرِيقٌ وَاضِحٌ .

فَإِنْ قَلِمَ : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَحْكِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا حَكَاهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَحَيْثُ يَقُولُ : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿٣﴾ وَقَدْ صَدَقْتُمْ ، وَالصِّفَةُ عَلَى مَا (١) ذَكَرْتُمْ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَوْ كَانَ مُنْكَرًا لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَوْ كَانَ مَعِيًّا لَعَابَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا (٢) حَكَاهُ وَلَمْ يَعْبَهُ ، وَجَعَلَهُ قَرَأْنَا وَعَظَّمَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى ، مِمَّا لَا يَنْكَرُ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي اللُّغَةِ ، كَانَ الْكَلَامَ إِذَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ ؛ إِذْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُنْزَلُ لَهُ .

(الاستطاعة قبل الفعل (٣))

ومثل ذلك مثل بعض المخالفين في القدر ، فإنه سأل بعض أصحابنا فقال : هل تعرف في كتاب الله تعالى أنه يُخْبِرُ عن الاستطاعة ، أمَّا قبل

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .

(٢) في الأصل : « فإذا » .

(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولا بن حزم لجت قوى في هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ - ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . قال المخالف : سألتك أن تخبرني عن الله ، فأخبرتنى عن عفرية لو كان بينَ يديَّ لَبَزَقْتُ في وجهه ! قال صاحبنا : أمّا سليمانُ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكِيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كُفْرًا وافترَاءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لكان سليمانُ ومن حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقُّ بالإنكار ، بل لم يكن للعفرية في هذا الموضع هو الذى يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرب فيه بذكر سرعة^(١) النفوذ ، ويشير فيه^(٢) بأنَّ معه من القوة المَجْعولة مايتَّهياً لمثله قضاء حاجته ، فيكذب ثمَّ لا يرضى بالكذب حتى يقول قولاً^(٣) مستنكراً ، ويدعى^(٤) قوة لا تجعل له ، ثمَّ يستقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه - نبياً^(٥) قد ملك الجنَّ والإنس ، والرياحَ والطيور ، وتسييرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شيء ، ثمَّ لا يزجره فضلاً عن أن يضربه ، ويسجنه فضلاً عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآناً ، ويترك التنبيه على ما فيه من العيب ، إلا والقول كان صدقاً مقبولاً .

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشير » !

(٣) « ولا » ، وصوابه في س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيئنا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القول قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاؤه على الناس ، وما زالوا يتلونه في مجالسهم ومحاريبهم ، أفما كان في جميع هؤلاء واحداً يعرف معرفتك ، أو يغضبُ الله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضت جميع أهل البدو في جميع الآفاق من الأرض ، أن تُصيبَ^(١) أهلَ خيمةٍ واحدة ، ليس عندهم كلبٌ واحد فما فوق الواحد لما وجدته . وكذلك كانوا في الجاهلية ، وعلى ذلك هم في الإسلام . فمن رجع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيب والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتهم رأيه ؛ فإن رأى الفرد ولا سيما الحسود ، لا يبق برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظاً^(٢) وكيف بأن يبقَ بجميع^(٣) أهل [البدو]^(٤) من العرب والعجم . والدليل على أن البدو قد يكون في اللغة لهما^(٥) جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ولو ابتلى صاحبُ هذا القول بأن ينزل البادية ، لتحوّل رأيه ، واستبدلَ به رأى

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .

(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذي لا يرى الاستشارة حظاً لا يبق برأى واحد » .

(٣) في الأصل : « لجميع » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التمكلة من س .

(٥) ط : « لها » ، والوجه ما أثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعاده . [وقد قال أبو عبيدٍ النميري :
لا يكون البُنْيَانُ ^(١) قريّةً حتى ينبج فيه كلبٌ ، ويزقو فيه ديك ^(٢)] ،
[ولمّا ^(٣) قال أحمد بنُ الحاركي ^(٤) : لا تصير القريةُ قريّةً حتى يصيرَ فيها
حائكٌ ومعلمٌ ، قال : أبو عبيد ^(٥) : يا مجنون ! إذا صارتُ إلى هذا فقد
صارت مدينة .

وللكلب ^(٦) إثباته وجهٌ صاحبه ، ونظره في عينيه وفي وجهه ، ووجهه
له ، ودنوه منه ، حتى ربّما لأعبه ولاعب صبيانه بالعضّ الذي لا يؤثّر
ولا يؤجّع ، وهي الأضراسُ التي لو نشبها ^(٧) في الصخر لندشبت ، والأنيابُ
التي لو أنحى بها ^(٨) على الحصى لرضها .

(١) في الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتي في ص ٢٤٢
من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) في الأصل : « الحاركي » . وفي البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركي »
والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة في وسط البحر
الفارسي ، كما في معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الحاركي البصري . وانظر طبقات
ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الحارجي » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشي معجم
المرزباني ٤٣١ .

(٥) هو أبو عبيد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبي خالد . وأبو عبيد هو القائل :
إذا أنكر القائل عيني المسموع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي
أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن
كان لاهيا عنه ، حرمه حسن الحديث ، ونفع الموانسة ، وعرفه بمسولة الاستماع
والتقصير في حق المحدث . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) في الأصل : « والكلب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحأها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظم المدمج ، وبالفقرّة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِرِ البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودك الذى يلين معه بالمضغ ويَطيب ، فتراه كيف يرضه ويفتته ، ثمَّ إن مانعه بعض المانعة ، ووافق منه بعضَ الجوع ، كيف يبتلعه وهو واثق باستمرائه وهضمه ، أو بإذابته وحلّه .

وله ضروبٌ من النَّغم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعاء وخوار^(١) ، وهَريرٌ وعُواء ، وبَصْبصة ، وشيءٌ يصنعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغشى الصيد ، وله إذا لآعبَ أشكاله فى عُدوات الصَّيفِ شيءٌ بينَ العُواءِ والأنينِ .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطى الحصى على أرض السطوح لا يكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا^(٢) .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرٍ الماء ، تنكَّبَ مواضعَ الخريز فى أسفله .

قال الشاعر - ورأى رجلاً اسمه وثاب واسم كلبه عمرو - فقال :

ولو هَيَّا له اللهُ مِنَ التَّوْفِيقِ أسباباً^(٣)

لسمى نفسه عَمراً وسمى الكلبَ وثاباً

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والنغم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطى الحصى (الخصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه - أى وزن الخصى - يربى على وزنه مراراً » . ووطء الخصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطباء الكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرة الأطباء ، وكذلك الخنزيرة . وللفهدة أربعة أطباء من لدن صدرها وقرب إبطيها إلى رُفغيها^(١) . وللليل حلمتان تصغران^(٢) عن جثته . وهما ممّا يلي الصدر مثل الإنسان ، والدّكرُ في ذلك يشبه بالرجل ؛ لأنّ للرجل ثديين صغيرين عن جثته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنّ [على^(٣)] الكلاب واقية من عبث السفهاء والصبيان

بها . قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة ، حين ضربَ امرأته بالسيف ولم يقتلها^(٤) : ٧٢

أقرّ العينَ أنْ عُصِبَتْ يداها وما إنْ يُعصَبان على خِصَابِ

(١) الرفع بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) في الأصل : « حلمتان يصغران » !

(٣) التكلمة من س .

(٤) في الأغاني ٩ : ٩ عن ابن الأعرابي : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقتها أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها - أي حزها ولم يقطعها - فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال : أقر العين « البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميداني في الأمثال ٧ : ٢٨٩ يقول : إن الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الكلاب » وقال : « أي وقاية كوقاية الكلاب على ولدها . وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبي في ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقَاهُنَّ أَنْ لهنَّ جَدًّا (١) وواقية كواقية الكلاب
وقال الآخر :

إِنْ يَقِنَا اللهُ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّ الكلابَ لها واقية (٢)
ويروى :

* سينجيه من شرِّها شرُّه *

وقال غيره (٣) :

ولقد قتلتك بالهجاء فلم تمت
وقال بشر بن المعتمر :

الناسُ دأباً في طلاب الثراء (٤) فكلُّهم من شأنه انلخر (٥)

كأذوبٍ تنهشها أذوبٌ لها عواءٌ ولها زفر (٦)

(١) في الأصل : « جلدا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما في الأغاني . وفي ثمار القلوب : « لوما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت في جملة أبيات رواها ابن هشام في السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يدها » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) في المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدى .

(٤) في الأصل وكذا في اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هي مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » . ويؤيد ما أثبت رواية البيت في الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفي س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل مخوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدأ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) في الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ في تفسير ذلك فإنها - يعنى الذئب - قد تتهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقه وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكوني يا ابنة الأشم ورفاء دى ذئبها المدى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوماً أخال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَحَ الكلب ببوله يقزح فرحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يقزح ببوله حين يبول ، وشغَرَ الكلب يشغَر إذا رفع رجله ، بال أو لم يبيل . ويقال شغرتُ بالمرأة^(١) أشغرتها شغراً^(٢) إذا رفعت رجلها للنكاح . قال : ويقال عاظل الكلبُ مُعاظلةً ، يعنى السَّفاد ، قال أبو الزحف^(٣) :

كَمِشِيَّةٌ^(٤) الكلبِ مَشَى للكلبَةِ يَبغى العِظَالَ مُصَحَّرًا^(٥) بالسَّوَّةِ
قال : ويقال كلبٌ عاظلٌ وکلابٌ عَظَّلٌ وَعَظَّالِي .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

ولست بخيرٍ من يزيدهُ وخالدٍ ولست بخيرٍ من معاظلة الكلب^(٦)

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغرها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطمى — ابن عم جرير بن الخطمى — وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتي وهدجانا لم يكن من مشيتي

كهديجان الرأل خلف الهيقة مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ - ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كمشية » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال

ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين — ما يقع فى القافية . فن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق سحا فلا غارب منها ولا راق

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخيرٍ من أبئك وخالكا ولست بخيرٍ من معاظلة الكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالك بن عبد الله الجعدي ، يوم فيف الرياح^(١) : حدّثني أبي ، لقد نظرتُ يومئذٍ إلى بني عبد الحارث ، بن نيمر ، فما شبّهتهم إلا بالكلاب المتعاطلة حَوْلَ اللّواء .

وقال أبو براء عامر بن مالك ملاعبُ الأسنّة^(٢) - لآعبه الحارث واليوم قال فقال^(٣) منذ يومئذ .

قال : والسّلوقيّة منسوبةٌ إلى سلوق من بلاد اليمن ، لها سلاحٌ جيّد وكلابٌ فرّه^(٤) . وقال القطامي :

معهُ ضواري من سلوق له طورا تُعانده وتنفعه^(٥)

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالوا : وليس في الأرض بهيمةٌ [ولا سبعٌ أنثى تريد فِطامَ ولدها وإخراجَه من اللبّن إلى اللحم ، أو من اللبّن إلى العُشب ، إن كانت بهيمةٌ

(١) كذا . ولعل الكلام « وقد ذكر يوم فيف الرياح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمي ملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفي العامين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنّة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغاني (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسنّة أربعين مربعا في الجاهلية - والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . (بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسنّة في نحو سنة ١٠ من الهجرة .

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفي س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راكم وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت في ديوان القطامي ، ووجدت شيئا به ، من قصيدة نونية ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرر الأرسانا

إلاً وهي تعفر ولدها . والتعفير : أن ترضعه وتمنعه حتى يجوع ويطلب اللحم إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة (١) ، فلا تزال تنوّله وتماطله ، [وكلما (٢)] مرّت عليه الأيامُ كان وقتُ منعها له أطولَ ، حتّى إذا قوى على أكل اللحمِ أو العُشْبِ فطمته . قال ليديّ في مثل ذلك :

أَفْتِكَ أَمَّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ حُدِلَتْ وَهَادِيَّةُ الصَّوَارِ قِوَامُهَا (٣) ٧٣
 خَنَسَاءٌ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرْمِ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبِغَامُهَا (٤)
 لَمُعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يَمْنُ طَعَامُهَا (٥)
 صَادَفَنَ مِنْهَا غِرَّةٌ فَاصْبَنَهَا إِنَّ الْمَنَابِي لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا (٦)
 لأنّ البقرة إذا كانت بحضرة ولدها لم تضيّعه ومنعت السباع منه ،
 وقاتلت دونهُ بقرونها أشدّ القتال ، حتّى تُنَجِّيه أو تعطب .

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كلامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقده أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفرير : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والحجى .
 وبالغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى للكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالكلاب)

[قال : و]^(١) كان ابنُ لِسَانِ الحُمَّرَةِ^(٢) يَكْنَى أبا كِلابٍ^(٣) . وكان زوجُ حُبَيِّ المَدِينَةِ يقال له ابنُ أمِّ كِلاب ، وقال الشَّاعر يذكُرُها^(٤) :

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفي الفهرست ٩٩ لبيسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصرأ . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسأله المغيرة في طبائع قبائل من العرب ، وفي خاق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها في الأغاني ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان ستول وقلب عقول ! انظر الديمري برسم (الحمرة) وفي البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبي نضرة وكلام ابن أبي بسكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة » . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) في الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمسافر ، والدميري ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدية بن خشرم العذري ، كما في أمثال الميداني (١ : ٣٥٣) . وحبى هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فثى إلى مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — وقال : إن أمى السفينة ، على كبر سنها وسنى ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتني ونفسي حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا بردعة الحار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطط ، والله ليصرعن أمك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضبيته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبى مصرع هدية بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو في ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتندش الأشعار وأنت يمشى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول ؟ ! تمنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبى فأنشد البيتين الآتين . انظر أمثال الميداني والسكامل ٧٦٦ لبيسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجَدِي بِهِ أُمَّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدْتُ حُبِّي بَابِنِ أُمَّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا كَمَا انْبَعَثَتْ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ^(١)

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر^(٢) يَصِفُ عَيُونَ الْكِلَابِ إِذَا أَبْصَرَتِ الصَّيْدَ :

مَجْزَعَةٌ غُضْفٌ كَأَنَّ عَيُونَهَا

إِذَا آذَنَ الْقُنَّاصُ بِالصَّيْدِ عَضْرَسٌ

مَجْزَعَةٌ : فِي أَعْنَاقِهَا جَزَعٌ ، وَهُوَ الْوَدَعُ يُجْعَلُ فِي الْقَلَائِدِ . يَقُولُ : تَبِيضٌ

عَيُونَهَا حِينَ تَحْتَلُّ الصَّيْدَ . وَالْعَضْرَسُ هَاهُنَا : الْبَرْدُ^(٣) .

وَقَالَ الْآخَرُ :

خُوصٌ تُرَاحُ إِلَى الصُّرَاخِ إِذَا غَدَتْ

فَعَلَّ الضَّرَاءُ تُرَاحُ لِلْكِلابِ^(٤)

وقال آخر وذكر الضراء ، وهو يصف الشيخ وضعفه :

ومنها أَنْ يُقَادَ بِهِ بَعِيرٌ ذَلُولٌ حِينَ تَهْتَرِشُ الْكِلابُ

(١) فِي الْمِيدَانِي : « عُنْطَنَا » مَوْضِعُ « شَمْرَدَلَا » .

(٢) هُوَ الْبَعِيثُ كَمَا فِي الْلسَانِ (عَضْرَسُ) . وَأَنْشَدَهُ ، فِي (حَرْجِ) بَدُونِ نَسْبَةً .

(٣) بِمِثْلِ ذَلِكَ فَسَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ ، لَكِنْ عَقِبَ عَلَيْهِ ابْنُ بَرِي بِقَوْلِهِ « وَالْمَعْضْرَسُ هَهُنَا نَبَاتٌ لَهُ لَوْنٌ أَحْمَرٌ تَشْبَهُ بِهِ عَيُونَ الْكِلَابِ لِأَنَّهَا حَمْرٌ ، وَلَيْسَ هُوَ هُنَا حَبُّ الْغَمَامِ كَمَا ذَكَرَ - يَعْنِي الْجَوْهَرِيُّ - إِنَّمَا ذَلِكَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ هَذَا وَهُوَ :

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ رَجِيَّةٌ تَحْيِي بِقَطْرِ كَالْجَمَانِ وَعَضْرَسُ

قَلْتُ : وَلا مَرِي الْقَيْسِ بَيْتٌ يَلِيقُ بِتَأْوِيلِ ابْنِ بَرِي ، وَهُوَ كَمَا فِي اللَّدِّيَّانِ ١٤٧ :

مَغْرَثَةٌ زَرْقَا كَأَنَّ عَيُونَهَا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيحَاءِ نَوَارِ عَضْرَسِ

(٤) ط : « الْكِلَابِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ سِ وَالْحَيَوَانَ ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهم عند الحاجة يُعِدُّون الكلبَ والمطيَّةَ ، وأنشد^(١) :
فأعقبَ خيراً كلُّ أهوجٍ مهْرَجٍ وكلُّ مُفدِّاةِ العُلالَةِ صِلْدِمٍ^(٢)
وقال الآخر :

* مُفدِّياتٌ وملقِّبات^(٣) *

وأنشد قول أبي ذؤيب^(٤) في شبيهه بالمعنى الأوَّل :
شغِفَ الكلابُ الضَّارياتُ به فإذا يَرى الصُّبحَ المُصدِّقَ يَفزَعُ
يقول : هذه الشِّيرانُ لما قد لُقِّينَ^(٥) مع الصُّبحِ والإشراقِ من

-
- (١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالى القالى ١ : ١٨٩ .
(٢) قال أبو علي : « أهوج يعنى فرساً . أى أعقب خيراً ، مما أقاموا عليه وصنعوه .
والأهوج : الذى يركب رأسه فيمضى » . والمهْرَجُ والهراج : الكثير الجرى .
وفى الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالى . والعُلالَةُ : الجرى
بعد الجرى الأوَّل . ومفدِّاة العُلالَةِ : التى يقال لها إذا طلبت علاتها وهياً ، فداه
لك !! وفى ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالى . والصلدم : الشديدة .
(٣) ط : « معدييات وملقييات » . وانظر تائية أبي نواس المتقدمة ص ٣٨ .
(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبي ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من
قصيدة أبي ذؤيب الهذلى المشهورة التى مطلعها :
أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بعبت من يجزع
وهى قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه فى العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب
أولاده وكانوا سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً . ومنها البيت السائر :
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع
وقال فيها فى الطفل الذى بقى له :
والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع
وقد روى صاحب اللسان (مادة شغف) وكذا الراغب فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :
شغف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع
قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب
الكلاب أن تأتبه » . والشطر الأوَّل فى رواية الجاحظ عروضة حذاء .
(٥) فى الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين^(١)] يَرَى ساطع الصبح يَقْزَعُ^(٢) ؛
وذلك أنها تمطرُ ليلتها فتَشْرِقُ في الشمس^(٣) ، فعندها تُرْسَلُ
عليها الكلاب .

٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرضُ الذئبُ للغنم مع الصُّبح ، وإنَّما رَقِبَ فِئْرَةَ
الكلب وكلاله ؛ لأنَّه باتَ ليلته دائماً يحرس .

وقال أعرابيٌّ وكسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح^(٤) ، فقال :

أودى بوردة أمَّ الوردِ ذو عسلٍ من الذئاب إذا مارح أو بَكَرًا^(٥)
لولا ابنها وسليلاً لها غُرر ما انفكت العين تُذري دمعها دِررًا^(٦)
كأنما الذئبُ إذْ يعدو على غنمي في الصُّبح طالبٌ وترٍ كان فاتراً^(٧)
اعتامها اعتامه شئنٌ براثنه من الضواري اللواتي تتمصمُ القَصراً^(٨)

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهي من س ، م .

(٢) في الأصل : « قزع » .

(٣) كذا في س ، ط . وفي م : « فتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى

التاءين قد حذفَت تخفيفاً ، وذلك جائزٌ وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا »

« ولا تبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس في الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيها أم الورد كما سيأتي في ص ٢٧٦ من

هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال عسل للذئب يعسل - كيضرب - عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب في

عدوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهي جمع درة بالكسر .

(٧) أتار : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة في معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

والشئن البرائن : للغلظها ، وعنى به السبع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهي

جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل من الخير ما قال ،
وسمّاه زيد الخير ، ما سأله زيد شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلا أنه قال :
يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذريح^(١) ، والآخر يكنى أبا دجاجة ،
ولها أكلب خمسة تصيد الطباء ، فما ترى في صيدهم^(٢) ؟ فأنزل الله عزَّ
وجلَّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأولُ شَيْءٍ يعظّم في عينك شأن الكلب ، أن هذا الوافد الكريم
الذي قيل له ما قيل ، وسمّي بما لم يسمّ به أحد - لم يسأل إلا عن
شأن الكلب .

وثانية وهي أعظمها : أن الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً محكماً
[فقال^(٣)] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمّى صيدها طيباً ، ثم قال :
﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عن قبولها للتعليم^(٤)

(١) روى الحديث برواية أخرى في تفسير ابن أبي حاتم ، وهي أن عدى بن حاتم وزيد
الخيل الطائين جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إنا قوم
نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والطيء . قال
ابن حجر في الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طييء .
لا اسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكلفة من س .

(٤) ط : « للتعميم » ، وهو خطأ مطبعي فيما أحسب ، صوابه في س .

والتأديب . ثم قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ ولولا أن ذلك الباب من التعليم والعلم مَرَضِيٌّ عند الله عزَّ وجلَّ ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال (١)] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فأوَّلُ شَيْءٍ يَعْظُمُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِمْسَاكُهُ عَلَيْكَ . وهكذا يقول أصحابُ الصيِّدِ ، إِنَّ كُلَّ صَائِدٍ فَإِنَّمَا يُمَسِّكُ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يُمَسِّكُ عَلَى صَاحِبِهِ .

ولو كان الجوابُ لزيد الخليل سُنَّةً مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ فِي ذَلِكَ الرَّفْعَةُ ، فَكَيْفَ وَالكِتَابُ فَوْقَ السُّنَّةِ .
وقد روى هشام أن ابن عباسٍ سَمَّى كِلَابَ ذَرِيحٍ هَذِهِ وَكِلَابَ أَبِي دُجَانَةَ فَقَالَ : الْمُخْتَلِسُ ، وَغِلَابٌ ، وَالْقَنْيَصُ ، وَسَلْهَبٌ ، وَسِرْحَانٌ ، وَالْمَتْعَاطِسُ (٢) .

(دواء الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ)

وزعم الأطباء أن من أجودِ أدويةِ الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ (٣) أن ينفع (٤) في حلق مَنْ كان ذلك به ، ما جَفَّ مِنْ رَجِيْعِ الْكِلَابِ . وأجودُ ذلك أن يكون يتغرغر به وربما طلوه على جلد المحموم (٥) الحديدِ الحُمَّى (٦) .

(١) زيادة يفترق إليها الكلام .

(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت ما في س . وانظر ما سبق في ص ١٨ س ٤ .

(٣) الخانوق : داء يأخذ في الحلق .

(٤) ينفع : بمعنى يدفع .

(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .

(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفي الأصل : « الحديد الحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الكلاب أن يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البياضُ إلاَّ
عن أكل الطعام ، وذلك رديءٌ للقائص منها .

والجُجور^(١) قد تبيّضُ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال
أبو كلاب - وهو ابن لسان الحمرة^(٢) - ومرَّ به رجلٌ من بني أسد فقال :
قد علمت العربُ يامعشرَ بني أسدٍ أنكم أشدُّها بياضَ جُجور ، فعكفَ
عليه فصرَّ به بالسيف حتى برَدَ^(٣) .

وذلك أنه غيرَه بأنهم لا يعرفون البقل ، ولا يعرفون إلاَّ اللبن .

وقال الشاعرُ يهجو ناساً منهم :

عراجلةٌ بيضُ الجُجورِ كأثَمِّهم بمنعرجِ الغيطانِ شهبُ العنابِ^(٤)

والعرب تقول : اللحم أقلُّ الطعامِ بَخرا .

(١) س : « الجعر » بالإفراد . والجعر : ما يبس من العذرة في الجعر أى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب: وما للديك وللكلاب ، والكلابُ يُزَلُّ فيها القرآنُ ويُحَدَّث فيها السنن ، ويُشْتَقُّ من أسماءها للناس وللأسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعراقٌ منسوبة ، وبُلدان مشهورة ، وألقابٌ وسِمَات ، ومناقبٌ ومقامات !!

وما للديك إلا ما تقول العوامّ: أنه إذا كان في الدارِ ديكٌ أبيضٌ أفرق^(١) لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خَيْرٌ^(٢) ذلك ، ولو كان ذلك حَقًّا ، بشؤمه ؛ لأنَّ العوامَّ تقضى على مَنْ كان في داره ديكٌ أبيضٌ أفرق^(٣) بالزندقة .

والذين يقولون إنَّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقٌ لم يدخلها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أَكَلَ لَحْمَ سِنُورٍ أَسْوَدَ لَمْ يَضِرَّهُ سِحْرٌ ، وإذا دُخِّنَتْ الدار بالدُّخْنَةِ^(٤) التي سَمَّوها بدُخْنَةِ مَرِيْم ، أو بِاللُّبَانِ ، لم يكنْ عليها لُعْمَار الدَّار سبيل ، فإنَّ مَرَّتْ سَاحِرَةٌ^(٥) تطير سقطت . وهم الذين لا يشكُّون أنَّ مَنْ نام بين البابين تخبَّطَه العُمَّارُ وخَبَلتَه الجنُّ .

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) في الأصل : « خير » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « أفرق » بالثقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) للدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرت عابرة » . وفي م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذئبِ والسَّنورِ وأشباه ذلك : جرو .
ويقال للصغير من الحنظل على مثل ذلك : جرو . وقال النَّمِرُ بنُ تَوَلِّبٍ :
بجرو يُلقَى في سِقَاءٍ كأنه مِن الحنظلِ العَامِيِّ جرو مُفلَقُ

(من قول صاحب الكلب)

ومما زادَ في ذِكْرِ الكلبِ قولُ السَّيِّدِ بنِ محمدٍ^(١) في شأنِ عائشة
في الحديثِ الذي رَوَّاه^(٢) - وكان السَّيِّدُ رافضياً غالياً ، وليس في ذكره
شرف ، ولكنه أجمعُ للفن^(٣) - :

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري . وجده
يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ،
وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج في
الأغاني ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار
وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره - يعنى السيد - لما كان
يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره .
قال الصلاح السكتبي في الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان
رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفي الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد
سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة في وقعة الجمل مرت
بالخواب - وهو موضع بئر قريب من البصرة - فسمعت نباح الكلاب فقالت :
ما هذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الخواب . فقالت : إنا لله ، ما أراى
إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبجها كلاب الخواب سائرة
إلى الشرق في كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس الخواب .
انظر معجم البلدان برسم (الجواب) .

(٣) س : « الفن » .

تهوى من البلد الحرام فنبهت بعد الهدوء كلاب أهل الخوئب
قال : ويقال صرقت الكلبة صرافاً وصُروفاً ، وظلعت تطلع ظلوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال في ذلك : « لأفعلُ حتى ينامَ ظالعُ الكلاب » . قال
الأصمعيُّ : هذا باطل ، إنما ذلك إذا أصاب الكلب ما يطلع منه لم يطق ٧٦
سيفاد الكلبة حتى تهدأ الرجل ، وحتى تمل الكلابُ التُّباح^(١) وتفترق ،
وتحتاج إلى النوم لطول التعب^(٢) ، وإذا كان في ذلك الوقت يلتمس^(٣) الظالع
ورام سيفاد الكلبة ، لم يعرف ظلعه إلا الكلبة . وأنشد فقال^(٤) :

تسدُّيُتها من بعد ما نام ظالعُ الكلابِ وأخبي ناره كلُّ مُوقدٍ
وأنشد غيره لجران العود :

وكان فؤادي قد صحَّ ثم هاجه^(٥) حمامٌ . وُرُقٌ بالمداين هتفٌ
كأنَّ الهديل^(٦) الظالعَ الرجلَ وسَطَهَا

من البغي شربٌ يغردُ مترفٌ^(٧)

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه في ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية في الديوان ١٣ : « ثم هاجني » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صحته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ
أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروي : « منزف » ويفتح
الزاي وكسرهما ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثاني من أنزفه السكر :
ذهب بعقله . انظر أدب السكاكيب ١٤٩ والاعتضاب ٣٥٢ .

(ما قيل من الشعر في إشلاء الكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً في غير هذا الباب ، قال الأعرابي :

نزلنا بعبّاد فأشلى كلابه علينا فكِدْنَا بين بابيه نُؤكَلُ^(١)
فَقُلْتُ لأصحابي أُسرُّ إليهمُ إذا اليومُ أو يومُ القيامةِ أطولُ
وقال آخر^(٢) :

أعددتُ للضيّفانِ كلباً ضارياً عندي وفضلَ هراوةٍ من أرزَنِ^(٣)
وقال في خلاف ذلك مالكُ بن حريم^(٤) الهمدانيُّ :
وواحدةٌ إلا أبيتَ بغرةٍ إذا ماسوأمُ الحىّ بات مصرّعا^(٥)

(١) البيتان رواهما الجاحظ في البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار » .

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدي ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بمقوقهم . حساسة البحرى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية في البخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفي حساسة البحرى : « أعددت للغرماء سيفنا صارما » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت في حساسة البحرى :

عجراة ظاهرة الحيود متينة أعددتها لتجار أهل المعدن .

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا متشكيا عض الزمان الألزن

ومثل هذا في اللسان .

وقد روى البحرى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ما أقضى الغريم إذا حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعضد

(٤) فى الأصل : « خرمتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادى أبى زيد وأمالى

القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسة رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبيله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفس مناقب أربعا

وثانيةً ألا تفرَّع جارتى إذا كان جارُّ القوم فيهم مفرِّعا
وثالثةً ألا أصمَّت كلبنا إذا نزل الأضيافُ حرصاً لتوزعا

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لحزَّ الكلبُ الإناء ، فهو يلحزه لحزاً ، ولحسه فهو يلحسه
لحسا . قال أبو يزيد^(١) : وذلك إذا لحس الإناء من باطنه . والقرو :
ميلغة الكلب ، فإذا كان للكلب فإنما هو من أسفل كوزٍ أو ما أشبه
ذلك ، وإلا فالقرو أسفل نخلةٍ ينجر ويقوب وينتبد فيه .

وقال الأعشى :

أرْمِي بها البَيْدَ إِذَا أَعْرَضَتْ وَأَنْتَ بَيْنَ الْقَرَوِ وَالْعَاصِرِ^(٢)
فِي مَجْدَلٍ شَيْدٍ بُنْيَانُهُ يَزِلُّ عَنْهُ ظَفْرُ الطَّائِرِ^(٣)

(أحجية في الكلب)

ومَّا يُحَاجِي بِهِ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً أَنْ يَقُولُوا : أَعْرِفُونَ شَيْئاً إِذَا
قَامَ كَانَ أَقْصَرَ مِنْهُ إِذَا قَعَدَ ؟ يَرِيدُونَ الْكَلْبَ ؛ لِأَنَّ الْكَلْبَ قَعُودُهُ

(١) كذا في ط ، س . وفي م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو
أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمي به » وصوابه في ط ، والضمير للناقة في بيت قبل هذا ، وهو :

لقد أسلى الهم حين اعترى بجمرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كنبر : القصر المشرف ، سمي مجدلا لوثاقة بنيانه . والقصيدة في ديوان

الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهي من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا ألقى كان أرفَعَ لَسْمَكه ، وأرفَعَ في الهواء طويلاً منه إذا قام . وقال عمر^(١) بن لُجِ :

عليه حيوف مستقدم^(٢) مُقْعٍ كإقعا^(٣) الكلبِ بالمعصم

ويقال ألقى الكلبُ إقعاءً ، ولا يقال قعد ولا جلس . وفي الحديث :

« أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقْعَى أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ إِقْعَاءَ الْكَلْبِ » .

(معرفة سنُّ الكَلْبِ)

قال صاحب الكلب : يُعْرَفُ فِتَاءُ الْكَلْبِ وَهَرْمُهُ بِالْأَسْنَانِ ، فَإِذَا كَانَتْ سُودَاءَ^(٤) كَانَتْ دَلِيلًا عَلَى كِبَرِهِ ، وَإِذَا كَانَتْ بِيضًا^(٥) حَادَّةً دَلَّتْ عَلَى الْفِتَاءِ وَالْحِدَاثَةِ . وَقَالَ : أَسْنَانُ الذَّكْرِ أَكْثَرُ .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوان المشقوقة الأفواه كالكلب والأسد والفهد موصوفاتُ بشدة الماضيع والفك والحراطين ، كالكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبه الكلبُ الأسدَ في شحْوِ الفمِّ واتساعه ، وعلى أنَّ شَحْوَهُ على مقدار

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب في م . وعمر بن لُجِ : شاعر إسلامي كانت له

مهاجاة مع جرير . انظر لما ابن سلام ٣٦٣ - ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يختل الوزن ، وصوابه في م .

(٤) ط : « سوداء » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبه الذئب والخنزيرَ في طول الخطم وامتداد الخراطوم ؛
ولذلك كان شديد القلب ، جيد الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه
الأصناف ما يصلح للرض والخطم ، كما جمع ما يصلح للابتلاع والالتهام
والخطم (١) [و (٢)] الاستمراء .

(بعض ما قيل في الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشحو ، فهو يبتلع البضعة التي لو رآها الإنسان
لم يظن أن حلقه يتسع لمرور ذلك . ويقال إن عنقه عظمٌ واحدٌ واللحم
لا تجول فيه (٣) ، وهو في ذلك قليل الرقيق ، فلا يسلس في حلقه ما عمر فيه ،
بل يبتلع لفرط نهمه وشحو لحية ضعفى ذلك المقدار .
وقد زعم ناسٌ أن الذى يدلُّ على أن عنق السبع عظمٌ واحدٌ ، ضعفه
عن تصريفه عنقه ، فلا يلتفت إلا معاً ، فيسمى الأصيد (٤) .

وقال جرّان العود في صفة الذئب :

شدّ المماضغ منه كلّ ملتفتٍ وفي الذراعين والخراطوم تسهيل (٥)

(١) ليست هذه الكلمة في س .

(٢) التكلّة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : ما يهيا اللحم أى الابتلاع . وجرى العامة في مصر على تخصيصه
بكسرة الحيز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام في الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد ماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التي ذكرها جرّان العود
في بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نمجة من إراخ الرمل أخذها عن إلفها وأضح الخدين مكحول
وكل ملتفت ظرف مكان ، عني به كل ناحية . والخراطوم : الخطم ، وهو مقدم
القم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

أسنان الذئب وبعض الحيات .

وقالوا في أسنان الذئب وفي أسنان بعض الحياتِ بأنها مَمْطُولَةٌ^(١) في الفكِّين ، يُذْهَبُ إلى أنَّه^(٢) عَظْمٌ مخلوق في الفك ، وأنَّه لا يُشْغَرُ^(٣) .
وأنشدوا :

مُطِّلَنَ في اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إلى رَأْسِ وَأَشْدَاقِ رَحِيَّاتِ^(٤)
والحيَّاتِ تَوْصَفُ بِسَعَةِ الْأَشْدَاقِ ، والأفَاعِي خاصَّةً هي المنعوتة بذلك .
وقال الشاعر - وهو جاهلي^(٥) - :

[خُلِقْتُ لَهُزَمُهُ عَزِينَ وَرَأْسُهُ

كالقرص فُلطَحَ من طحينٍ شَعِيرِ^(٦)]

(١) مَمْطُولَةٌ : أى ممتدة داخلية ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أنغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، وللصواب أن صاحب الشعر إسلامي ، فقد نسبة صاحب المؤلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحر البجلي . قال صاحب المؤلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحر هذا إسلامي قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو في الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدي وهو أعراق صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات في أمالي الثعالبي وقد جاء برسم (أبو مهدي) . وابن التميمي يعرفه بأبي مهدي ، ومثله في الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما في الأصمعيات :

قد كاد يقتلني أصم مرقش من حب كلم والخطوب كثير

حتى أصد الله عني رأسه والله بالمرء المضاف بصير

(٦) هذا البيت ساقط من ط وأثبتته من س ، م . لهزمه : أصول حنكيه .

عزين : متفرقات ، وفي اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فطح » وهما

بمعنى ، يقال فرطح الفرص وفلطحه إذا بسطه . وفي الأصمعيات : « فطح من

عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كتب) :

كأن قرصا من طحين معتلك هامة في مثل كتاب العبت

وَيَدِيرُ عَيْنًا لِلرِّقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءٌ طَاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرٍ (١)
وَكَانَ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزٍ مَضْمُضَةً لَطَهُورٍ (٢)

(مما أشبهه فيه الكلبُ الإنسانَ والأسدُ)

٧٨ ومما أشبهه فيه الكلبُ الإنسانَ والأسدُ ، أن كلَّ واحدٍ من هذه الأجناسِ إنما له بطنٌ واحدٌ ، وبعدَ البطنِ المِصْعَى ، إلا أن بعضَ بطنها أعظمُ من بعضٍ ، ويناسبها في الذي ذكرنا الذئبُ والذئبُ ، فما أكثرَ ما يناسبان الكلبُ ، فلذلك صاروا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلب أشبهُ شئٌ بأمعاء الحية . وهذا أيضاً مما يزيدُ في قدره ؛ لأنه إمّا أن يشبه الإنسان ، وإمّا أن يشبه رؤساء السباع ودواهي الحشرات ، وكلّما كانت هذه المعاني فيه أكثرَ كان قدره أكبر .

(١) في اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عيننا للوداع » ! وسمراء عنى بها الراحة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا أسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوض . وفي الأصل : « نقيض » بالقاف ، وفي اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما في الأصمعيات . وقد قال طرفه :

وفي الحى أحوى ينفض المرء شادن . مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد
والمرء : هو البرير .

(٢) رواه العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٤٥) : « فكأن شدقيه . . الخ . وفي الأصمعيات : « وكان شدقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتلم)

قال : والكلب يحلم ويحتلم ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبي يحلم ولا يحتلم ، والثور في هذا كله كالصبي . ويعرف ذلك في الكلب إذا تفرَّع^(١) وأنعظ .

وزعم أن الاحتلام قد عُومِن من الفرس والبرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وليس العِظال والتحامُ الفرجين إلا في الكلب والذئب ، ومن أراد أن يُفرَّق بين الكلاب إذا تعاطلت وتسافدت رامَ أمراً عسيراً .

قالوا : والحيوان الذي يطاول عند السِّفاد معروف ، مثل الكلب والذئب^(٢) والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السِّفادَ جَلَبَتِ الأُنثى [بعض^(٣)] خيوطَ نسجها من الوسط ، فإذا فعلت ذلك فعَلَ الذَّكَرُ مثلاً ذلك ، فَلَا يَزَالانِ يتدانيان حتى يتشابهَا^(٤) فيصير بطنُ الذَّكَرِ قُبالةَ بطنِ الأُنثى . وذلك شبيهٌ بعادات الضفادع .

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض في كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » في كل من ط ، م . وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بمرعة السِّفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمداً على السياق الآتي .

(٣) الزيادة من س .

(٤) في الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابهان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عن بعض الأعراب ، قال : إذا هجم الرجلُ على الذئب والذئبةِ وهما يتسافدان ، وقد التحمَ الفرجان ، قتلهما ذلك الهاجمُ عليهما كيف شاء ؛ لأنَّهما قليلاً ما يُوجدان كذلك ؛ لأنَّ الذئبَ وحشىٌ جدًّا وشهى^(١) جدًّا ، صاحبُ قفرة^(٢) وخلوة ، وانفرادٍ وتباعد ، وإذا أراد الذئبةُ توخى موضعاً من القفار لا يطؤه الأنيس ؛ خوفاً على نفسه ، وضناً^(٣) بالذى يجد في^(٤) المطاولة من اللذة .

(حديث أحمد بن المنثي)

وحدثني أحمد بن المنثي قال : خرجتُ إلى صحراءِ خوخ^(٥) لجنابةِ جنيتها وخيفتُ الطلب ، وأنا شابٌّ ، إذ عرض لي ذئبٌ فكنتُ كلَّما دُرْتُ من شيقٍ استدار بي ، فإذا دُرْتُ له دارٌ من خلني ، وأنا وسطُ بريةٍ لا أجدُ معيماً إلا بشيء^(٦) أسند إليه ظهري ، وأصابني الدُّوار ، وأيقنتُ بالهلكة . فبينما أنا كذلك وقد أصابني ما أصابني - وذلك هو الذي أرادَه الذئبُ وقدره - إذا ذئبةٌ قد عرَّضت ، وكان من الصُّنع وتأخير الأجل أن ذلك كان في زمن احتياجها وتسافدها ، فلما عاينها تركني وقصد نحوها ، فما

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته . كما يقال في غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيد سائق .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنما » وفي س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلغة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أثر بشيء » .

٧٩ تَلَعَّمُ أَنْ رَكِبَهَا (١) . وقد كنتُ قرأتُ في بعض الكتب أنها تلتحم ،
فَفَوْقَتْ سَهْمِي (٢) وهما ينظران إلى ، فلَمَّا لم أرَ عندهما نكيراً حَقَّقَ
ذلك عندي ما كان في الكتاب من تلاهما ، فَشَيْتَ إليهما بسيفي
حتى قتلتهما .

(إفاح الكلاب والخنازير)

قال : وما يُعَدُّ للكلاب أنها كثيراً (٣) ما تَلْقَحُ وتَلْقَحُ لحال الدَّفءِ
أو الخِصْبِ ، والكلبُ والخنزيرُ في ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهُما من الأصناف
يتلاقح في ذلك الزمان . فالكلبُ كما ترى ينازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن
في جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعبُ أخلاقُها إذا كان لها جِراء . وكلُّ شيءٍ
له بَيْضٌ أو جِراءٌ أو فِراخٌ فأسوأ ما يكون خلقاً وأزقُّ وأكثرُ ما يكون
أَذَى (٤) وأَعْرَمٌ - إذا كان كذلك (٥) ، إلاَّ إناثُ البقرِ .
والكلبُ كلما كان أَسَنَّ كانَ صوتُهُ أجهرَ وأغلظَ .

(١) ما تلعم : ما لبث . مثلها : ما ثلبث ، وما تلوم ، وما عثم ، وكثير غيرها .
(٢) ط ، م : « فقومت سهمي » وفي س : « فقومت سهمي » ، والوجه ما أثبت ،
يقال فوق سهمه : جعل له فوقاً . والفوق : موضع الوتر من السهم .
(٣) ط : « وما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .
(٤) في الأصل : « إذا » .
(٥) في الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمت له ستة أشهر ، وربما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبة الأنثى تحمل واحداً وستين يوماً ، أطول ما يكون ، ولا تضع قبل أن يتم حملها ستون يوماً ، ولا يبقى الجرؤ ولا يثرى إذا قصر عن ذلك ، والأنثى تصاح أن ينزى عليها بعد ستة أشهر ٤

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحجر^(١) والمرأة وغير ذلك ، يكون أول نتاجها أصغر جثة ، وكذلك البيض إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرج منه من فرؤج أو فرخ .

(بقية القول في تناسل الكلاب)

وذكور الكلاب تهيج قبل الإناث في السن ، والإناث تهيج قبلها في وقت حركتها . وكلما تأخر وقت الحدث إلى تمام الشباب كان أقوى لولده .

(١) الحجر ، بالبكر : الأنثى من الخيل .

والكلابُ لا تريدُ السَّفادَ مُعمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .
وهي تلقح إلى أن تبلغ ثمانى عشرة سنة ، وربما انتدرت (١) الكلبة
فبلغت العشرين .

والكلابُ أجناسٌ كثيرة : الكلب السلوقىَّ يَسفدُ إذا كان ابن
ثمانية أشهر ، والأنثى تطلب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شعور الذكر
ببوله . والكلبة تحمِلُ من نرؤٍ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب
وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والكلبة السلوقية تحمِلُ سدس السنة ستين
يوماً ، وربما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرؤ إذا وُضع يكون أعمى
اثنى عشر يوماً ثم يبصر ، والكلبة تسفد بعد وضعها في الشهر الثانى ، ولا تسفد
قبل ذلك .

ومن إناث الكلاب ما تحمِلُ خمس السنة ، يعنى اثنى وسبعين يوماً ،
وإذا وضعت الجراء تكون عمياء اثنى وعشرين يوماً .

ومن أصناف الكلاب ما يحمِلُ رُبْع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع
جراء وتبقى كذلك (٢) سبعة عشر يوماً ، ثم تُرضع جِراءها على عدد أيامها
التي لا تبصر فيها .

وزعم أن إناث الكلاب تحيضُ في كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك
ورَم أنفاريها ، ولا تقبلُ السفاد في ذلك الوقت ، بل في السبعة التي بعدها
ليكون ذلك تمام أربعة عشر يوماً أكثرَ ما يكون ، وربما كان كذلك
لتمام ستة عشر يوماً (٣) .

(١) كذا في س . في ط « ابتدرت » وهو تصحيف .

(٢) أى عمياء .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإنَّات الكلاب تُلقَى بَعْدَ وَضْعِ الجِراءِ رُطوبَةً غليظةً بلغميّةً ،
وإذا وضعتُها بعدَ الجِراءِ اعتراها هُزال ، وكذلك عامّةُ الإناث . ولبنُها يظهرُ
في أطبائها قبل أن تَضَعَ بِخَمسةِ أيامٍ أكثرَ ذلك ، وربما كَثُرَ اللبَنُ
في أطبائها قبل ذلك بسبعةِ أيامٍ ، وربما كان ذلك في مقدارِ أربعةِ أيامٍ .
ولبنُها يظهرُ ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأما السلوقيّةُ فيظهرُ لبنُها
بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكونُ لبنُها أوَّلَ ماتضِعُ غليظاً ، فإذا أزمَنَ رِقٌّ
ودقٌّ . ولبنُ الكلابِ يخالفُ لبنَ سائرِ الحيوانِ بالغلظ ، بعد لبِنِ
الخنَازيرِ والأرانبِ .

وقد تكونُ علامةٌ مبلغِ سِفادها مثلَ ما يعرضُ للنِّساءِ من ارتفاعِ
الثديينِ (١) . ومعرفةُ ذلك عسيرةٌ ، وهذه علاماتُ تظهرُ لإناثِ الكلابِ .
وذكورةُ الكلابِ ترفعُ أرجلَها وتبولُ تمامَ ستّةِ أشهرٍ ، ومنها ما لا يفعلُ
ذلك إلى أن يبلغَ ثمانيةَ أشهرٍ ، ومنها ما يعجّلُ قبل ذلك . قال : ونقولُ
بقولِ عامٍّ إنَّ الذكورَ تفعلُ ذلك إذا قويت ، فأما الإناثُ فهي تبولُ مُقَعِيَةً ،
ومنها ما تشغُرُ .

وأكثرُ (٢) ما تَضَعُ الكلبَةُ اثنا عشرَ جِروا ، وذلك في الفَرَطِ ،

(١) المَح في الكلامِ نقصاً .

(٢) بعد هذه الكلمة كَلامٌ في النسخةِ م ليس في ط ، س . وهو ركيكٌ دخيلٌ
على الكتابِ لاجرم . وأنا أثبتته هنا إثباتاً تاريخياً فحسب : « الثعالبُ ربما
عرفت منهم هذه الحالةُ كما قيل : الثعالبُ كلابٌ إلا أنهم مجهولون النسبُ
وقال ابنُ عوفٍ في ثعلبِ بنِ بدرٍ حيث يقول :

وكرهت أن قال المييمُ ثعلبُ يرجى وإني عند ذلك مرتجى

ما ثعلبُ إلا ابنُ عاويةِ الفِلا ناهيك من كلبٍ ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهي النسخةُ م . وستكونُ مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخةِ
س في تحقيقٍ ومراجعةِ هذا الجزء من كتابِ الحيوانِ .

وأكثر ذلك الخمسة والستة ، وربما وضعت واحداً . فأما إناث السلوقية فهي تضع ثمانية أجراء ، وإناثها وذكورها تسفد ما بقيت^(١) . ويعرض للكلاب السلوقية عرض خاص : وهي أنها كلما بقيت كانت أقوى على السَّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقية تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثني عشرة سنة^(٢) ، وأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وبعض الأجناس^(٣) تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هي في الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًا ما خلا النَّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجل أن الكلاب^(١) لا تلقي غيرَ هذين النَّابين يشكُّ بعض الناس أنها لا تلقي سنًا ألبتة .

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثني عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت في س .

(٣) في الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما في س .

(أمراض الكلاب)

قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسمؤها^(١) : الكلب ٨١
بفتح اللام ، والذُبْحَة ، والنقرس^(٢) . والكلبُ جُنون ، فإنَّ عَرَضَ
لشيءٍ من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أمانته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل
الكلاب ، وتقتل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عَضَّتْهُ ، إلاَّ الإنسان فإنه
يعالج فيسَلِّم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلب يعرض للحجار ، فأمةً الجنون ودَّهَابُ العقل فإنه
يصيبُ كلَّ شيءٍ ، فمن ذلك ما يصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها ما يُصْرَعُ كما
يُصْرَعُ الجنون . والسائس^(٣) من الدوابَّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطيب)

وقد كان شأن أعين الطيب عَجَباً ؛ وذلك أنه كان يُصْرَعُ ، واتَّفَقَ أنه
كان له بغلٌ يُصْرَعُ ، فكان ربَّما اتَّفَقَ أن يُصْرَعَا^(٤) جميعاً ! وقد رأى ذلك
كثير من أصحابنا البصريين .

(١) ط : « وأسماءهم » ، وهي على الصواب في س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع في مفاصل الكمين وأصابع الرجلين . وفي

ط : « النفوس » ، وفي س : « النفوس » بالفاء ، وصوابها ما أثبت .

(٣) س : « السائسي » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْعُ عامٌّ في الحيوان ، ليس يسلم منه صِنْفٌ منها حتَّى لا يعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً^(١) ، وكذلك هو^(٢) في العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرة واجتلاب المنفعة ، وما أكثر ما يعترهم ذلك . ومن ذلك ما يذهب ، ومن ذلك ما لا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَجْتَيْشَوْعُ المتطبِّبُ عَرَضَ له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُرَيْبٍ^(٣) فذهب عنه . وربَّما عرض للرجل الذي لا يُظَنُّ به ذلك في بيان ولا تبيين ، ولا في أدبٍ ، ولا في اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحة من المزاج ، ثمَّ لا يعرض من ذلك إلاَّ ما لا حيلةَ له فيه ، كما [كان]^(٤) يعرض لبشر بن أبي عمرو بن العلاء النحويِّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعي إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبي عمرو ابن العلاء وقررة بن خالد ونافع بن أبي نعيم وشعبة وحامد وغيرهم . وكان يتقن أن يفسر الحديث كما يتقن أن يفسر القرآن ، وهو من أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفي سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً في كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المازني^(١) وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسيديين ، فمازالا كذلك حتى ماتا ، ولم يبلغنا أنهما صرعا .

(الموتة)

والموتة^(٢) جنسٌ من الصرع ، إلا أن صاحبه إذا أفاق عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشي عليه ، وإن عاش صاحب الموتة في ذلك مائة عام .

وليس يلقي شيء من الحيوان في هذا الباب كما يلقي الورشان .

(اختلاف درجات السكر لدى الحيوان كتبائنها لدى الإنسان)

وأما السكر فليس شيء من الحيوان إلا وهو يسكر ، واختلاف سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإن من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيئاً ، حتى يغلب عليه نوم السكر ضربة واحدة ،

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ ببيتته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً سردها السيوطي في البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان جلاته لايسأل عنه » . توفي أبو عمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده في الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) في القاموس : « الموتة بالضم : الغشي والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوَّلَ فالأوَّلَ ، وتراه كيفَ تَثْقُلُ حركتهُ ، ويغلُظُ حسُّه ويتمحِّقُ ، حتى يَطيشُ عليه السُّكْرُ بالعبثِ ، ويطبِقُ عليه النومَ . ومنهم مَنْ يأخذُه بالعبثِ لا يعدُّوه . ومنهم من لا يرضى بدونَ السِّيفِ ، وإلَّا بأن يضرِبَ أمَّهُ ويطلِّقَ امرأتهُ . ومنهم مَنْ يعترِبه البكاءُ ، ومنهم مَنْ يعترِبه الضَّحكُ ، ومنهم مَنْ يعترِبه المَلَقُ والتَّفديَّةُ ، والتَّسليمُ على المجالسِ ، والتَّقبيلُ لرُعوسِ الناسِ . ومنهم من يرقصُ ويثبُ ، ويكونُ ذلكَ على ضرِّينَ : أحدهما من العَرَضِ (١) وفضلُ الأُشْرِ (٢) ، والآخرُ تحريكِ المرارةِ ، وهى علَّةُ الفسادِ وهيجانِ الآفةِ .

وكلُّ هذه الحالاتِ والصُّورِ ، والنَّجوتِ ، والأجناسِ ، والتوليدِ ، الذى يَخْتَلِفُ فى طبائعِ الناسِ ، وطبائعِ الأشربةِ ، وطبائعِ البُلدانِ والأزمانِ ، والأسنانِ ، وعلى قدرِ الأعراقِ والأخلاقِ ، وعلى قدرِ القلَّةِ والكثرةِ ، وعلى قدرِ التصريفِ والتوفيقِ ، قد (٣) وجدوه فى جميعِ أصنافِ الناسِ والحيوانِ ، إلَّا أنَّ فى الناسِ واحدةً لم تُوجَدِ فى سائرِ الحيوانِ قطُّ ؛ فإنَّ فى الناسِ من لا يسكُرُ ألبتَّةَ ، كان (٤) محمد بن الجهم (٥) وأبو عبد الله العمى (٦) .

(١) العَرَضُ هنا بمعنى الجنونِ وذهابِ العقلِ ، يقالُ عَرَضَ كَعَى .

(٢) الأُشْرُ : المَرِحُ .

(٣) فى الأصلِ : « وقد » . والصوابُ ما أثبت ، فإنَّ جملةَ « قد وجدوه » خبرٌ لكلمةِ « كل » فى صدرِ هذه الفقرةِ .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاة الخليفة المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغاني (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزليين .

وكان بين عقل زبيد بن حميد إذا شرب عشرة أرتال ، وبين عقله إذا ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سَكْرُ الْعَمَى)

وَأَمَّا الْعَمَى فَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَادِيِّينَ دَعَوْنِي مَرَّةً لِيَعَجِّبُونِي مِنْهُ ، وَلَمْ يَنْبَهُونِي عَلَى هَذِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي فِيهِ ، لِأَكُونَ أَنَا الَّذِي أَنْتَبَهَ عَلَيْهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ ضَخْمٍ فَدَمَّ (١) غَلِيظَ اللِّسَانِ ، غَلِيظَ الْمَعَانِي ، عَلَيْهِ مِنَ الْكَلَامِ أَشْلُ الْمُؤْتَةِ (٢) ، وَفِي مَعَانِيهِ اخْتِلَافٌ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يُوَاقِي صَاحِبَهُ وَلَا يِعَاوُنُهُ وَلَا يَشَارِكُهُ وَلَا يَنَاسِبُهُ ، وَحَتَّى تَرَى أَنَّ أُذُنَهُ فِي شِقِّ وَلِسَانَهُ فِي شِقِّ ، وَحَتَّى تَظَنَّ أَنَّ كَلَامَهُ كَلَامٌ مَحْمُومٌ أَوْ مَجْنُونٌ ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقْطَعُ نِظَامَ الْمَعَانِي (٣) ، وَيَخْلُطُ بَيْنَ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالَى . فَشَرِبَ الْقَوْمُ شُرْبَ الْهَيْمِ (٤) ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَجْسَادٌ مَدْبِرَةٌ ، وَأَجْوَافٌ مَنْكَرَةٌ ، وَكَانَتْ كَأَنَّ رَجُلًا مِنَ النَّظَّارَةِ . فَمَا زَالَ الْعَمَى يَشْرَبُ رِطْلًا بَعْدَ رِطْلٍ ، وَيَرِقُّ لِسَانُهُ ، وَيَنْحَلُّ عَقْدَهُ (٥) ، وَيَصْفُو ذَهْنُهُ ، وَيَذْهَبُ كَدْرُهُ . وَلَوْ قُلْتُ لِي لَمْ أَرْ مِثْلَهُ حُسْنَ نَفْسٍ كُنْتُ صَادِقًا . فَالْتَفَتْتُ إِلَى الْقَوْمِ أَجْمَعِهِمْ فَقَالُوا : لَوْلَا هَذَا الْعَجَبُ مَا عَجَبْنَاكَ (٦) الْيَوْمَ مَعَ حَدَاثَةِ عَهْدِنَا بِكَ .

(١) القدم : الأحق الجاني .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « المعال » .

(٤) الهيم : الإبل العطاش .

(٥) العقدة ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) في الأصل ، « ما عسك » .

وزعم العمى وكان كثير المنازعة عند القضاة ، أنه كان إذا قارب
العشرة الأرتال ثم نازع الخصوم ، كان ذلك اليوم الذى يفوت فيه
ذرع الخصوم للحن بحجته^(١) ، ويستميل فيه رأى القاضى المنعقد
فى مجلسه الطويل ، القطوب فى وجه من نازع إليه .

وقال الشاعر^(٢) :

وجدتُ أقلَّ النَّاسِ عقلاً إذا انتشى أقلَّهُمُ عقلاً إذا كانَ صاحياً
تزيدُ حُسى الكاسِ السَّفِيهَةِ سَفَاهَةً وتتركُ أخلاقَ الرِّجَالِ كما هيا^(٣)
قال : وهذا شعر بعض المولدين ، والأعريب لا تخطئ هذا الخطأ ؛
قد رأينا أسفة الناس صاحياً أحلم الناس سكران ؛ وهو مرداس صاحب زهير ،
ورأينا أحسن الناس خلقاً وأوزنهم حلماً ، حتى إذا صار فى رأسه رطلٌ
كان أخفَّ من فراشة ، وأكثرَ نزواً من جرادة رَمْضَةٍ^(٤) ؛ فإنَّ المثلَّ
بها يُضرب .

٨٣

(سبب ماله عرف المعتزلة سكر البهائم)

وكان سبب ماله عرف أصحابنا سكر البهائم ، أن محمد بن على بن سليمان
الهاشمى لما شرب على علويه كلب المطبخ ، وعلى الدهمان ، وعلى شراب

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . والحن ، بالتحريك : أن يظن المرء لحيته .

(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعانى ١ : ٣٢٤ .

(٣) الحسى بالضم : جمع حسوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا :
الكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعانى : « أخلاق الكرم » .

(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر
فى أمثال الميدانى : « أنزى من جراد » .

البصريين ، وعلى كَلِّ من نَزَع إليه من الأقطار ، وتحذاه من الشراب
الجواد من الشراب ، أحب أن يشرب على الإبل من البخاتي والعرب ،
ثم على الظلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، فلما
فرغ من كلِّ عظيم الجثة واسع الجفرة^(١) ، صار إلى الشاء والظباء ، ثم صار
إلى النسور والكلب وإلى ابن عرس ، وحتى أتاهم حاو^(٢) فأرغبه ، فكان
يحتال لأفواه الحيات حتى يصب في حاو^(٣) أجوافها بالأقباع المدنية ،
وبالمساعط ، ويتخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملكاً تواتيه الأمور ، وتطيعه
الرجال^(٤) ، فأبصر وأتلك الاختلافات في هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النظام)

فخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام ، وقد كان جالساً حيناً - وكان
إبراهيم مأمون اللسان ، قليل الزلل والزيغ في باب الصدق والكذب .
ولم أزعم أنه قليل الزيغ والزلل على أن ذلك قد كان يكون منه وإن كان
قليلاً ، بل إنما قلت على مثل قولك : فلان قليل الحياء ، وأنت
لست تريد هناك حياة ألبتة ، وذلك أنهم ربما وضعوا القليل في موضع
ليس . وإنما كان عيبه الذي لا يفارقه سوء ظنه ، وجودة قياسه على العارض

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنين . وفي الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو
تصنيف ما أثبت .

(٢) في الأصل : « حاوي » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاو بمعنى وسط .

(٤) في الأصل : « وقطيعه الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذي لا يُوثق بمثله . فلو كان بدلَ تصحيحه القياسَ
التمسَ (١) تصحيحَ الأصل الذي كان قاس عليه أمره على الخلاص (٢) ،
ولكنه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمره كان ظنًّا .
فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَمَ عليه ، وحكاهُ عن صاحبه حكايةَ المستبصر
في صحَّة معناه . ولكنه كان لا يقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامه
إذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشكَّ السامعُ أنَّه إنما حكى ذلك عن
سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام في تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدَّثني إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثرَ هذه التجربة التي كانت
منهم في إسكار البهائمِ وأصنافِ السباع ، ولقد احتالَ لأسدٍ
مقلمُ الأظفار يُنادى عليه : العجب العجب !! حتى سقاهُ وعرفَ مقداره
في الاحتمال ، فزعمَ ، أنه لم يجدْ في جميعِ الحيوانِ أملكَ سُكرًا من الظبيِّ .
ولولا أنَّه من الترفه لكانتْ لا يزالُ عندي الظبيُّ حتى أُسكره وأرى طرائفَ
ما يكون منه :

(١) في الأصل : « التماس » .

(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير في كلامهم .

(القول في سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الكلاب السُّلُوقِيَّةُ أسرعُ تعلُّماً من الذُّكُورَةِ (١) .
قال : وجميع أصناف السباع ذُكُورُهَا أَجْرَأُ وَأَمْضَى (٢) وَأَقْوَى ، إِلَّا
الْفَهْدَةَ (٣) وَالذَّبِيَّةَ .
والعامة تزعم أن اللبؤة أجراً من الأسد ، وليس ذلك بشيء ، وهو
أزرقٌ وأحَدٌ ، وأفرقٌ من الهجججة (٤) ، وأبعدٌ من التصميم
وشدة الصولة .

(بين عروة بن مرثد و كلب حسبه لصاً)

قال يشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخٌ من بني نهشلٍ يقال له عروة
ابن مرثد ، نزل ببني أختٍ له في سكة بني مازن ، وبنو أخته من قريش ،
فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلين
في مسجدهم ، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس (٥) ، فرأى بيتاً فدخل
وانصفق الباب ، فسمع الحركة بعض الإمام فظنوا أن لصاً دخل الدار ،
فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز (٦) ، وليس في الحى رجلٌ غيره ، فأخبرته

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهي في ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا » ، وتصحيحه من س .

(٣) في الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلاً .

(٦) س : « أبو الأغر » ، وكذلك في كل موضع ترد فيه هذه الكلمة من القصة . وانظر عيون

فقال أبو الأعزّ: ما يبتغي اللصُّ مِنَّا؟! ثمَّ أخذَ عصاهُ وجاءَ حتَّى وقفَ على بابِ البيتِ فقال: إيه ياملأمان^(١)! أمّا واللهِ إنَّك بي لعارف، وإني بك أيضاً لعارف، فهل أنتَ إلّا من لُصوصِ بني مازن، شربتَ حامضاً خبيثاً، حتَّى إذا دارت الأقداحُ في رأسك منَّتكَ نفسك الأمانى، وقلتَ دُورَ بني عمرو^(٢)، والرَّجالُ خُلوف، والنِّساءُ يصلِّين في مسجدهنَّ، فأسرقهنَّ! سوِّعةٌ واللهِ، ما يفعلُ هذا الأحرارُ! لبئسَ^(٣) واللهِ ما منَّتكَ نفسك! فاخرجْ وإلّا دخلتُ عليك فصرَّمتك^(٤) مني العُقوبة! لايمُّ^(٥) اللهَ لتخرُجنَّ أو لأهتفنَّ هتفةً مشئومةً عليك، ياتني فيها الحيانُ: عمرو وحنظلة، ويصيرُ أمرُك إلى تباب، ويجيءُ سعدٌ بعددِ الحصى، ويسيلُ عليك الرَّجالُ من هاهنا وهاهنا!! ولئن فعلتَ لتكوننَّ أشأمَ مولودٍ في بني تميم!! فلما رأى أنَّه لايجيبُه أخذَه باللِّين وقال: اخرجْ يا بئى وأنتَ مستور، إني واللهِ ما أراك تعرفني، ولو عرفتنى لقد قنعتَ بقولي واطمانتَ إليّ، أنا عروة بن مرثد أبو الأعزِّ المرثديُّ، وأنا خالُ القومِ وجِلدةٌ ما بينَ أعينهم^(٦) لا يعصونني في أمر، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير، أصيبرك

(١) الملامان: اللثيم، ويقابله المكرمان بوزنه.

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام، تقديره «آتى» أو «أقصد».

(٣) في الأصل: «ليس».

(٤) يقال: عقوبة صارمة: أى قاطعة شديدة. وفي الأصل: «صدمتك».

(٥) في الأصل: «لايمُّ» بهزة القطع، والأصح أن تكون ألفها وصل. وكتبت في القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢: ٢٧٣ برسم «ليم». وانظر ما كتب ابن منظور في اللسان (يمن).

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف، أى هو مثلها في مكان العزة والقرب. قال عبد الله بن عمر - وكان يلام في شدة حبه لابنه سالم:

يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه في اللسان (حوز، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠.

بين شحمة أذني وعاتق لاتُضارَّ ، فاخرج فأنتَ في ذِمَّتِي ، وإلَّا فإنَّ عندي
قَوْصَرَتَيْنِ (١) إحداهما إلى ابنِ أختي البارِّ الوصُول ، فخذْ إحداهما فانتدبْها
٨٥ حلالاً من الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ
السكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وتبَّ يُرْبِعُ (٢) المخرج ، فتهافت الأعرابيُّ ،
أى تساقط (٣) ، ثمَّ قال : يا ألامَ الناسِ وأوضَعهم ، ألا يأتِي لك أنا منذُ الليلة
في وادٍ وأنتَ في آخرِ ، إذا قلتُ لك السَّوداءُ والبيضاءُ تسكتُ وتطرقُ ،
فإذا سكتُ عنكَ تُرْبِعُ المخرج ؟! والله لتُخرُجَنَّ بالعَمُو عنكَ أو لألجِنَّ
عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفه جاءتْ جاريةٌ من إماءِ الحَيِّ
فقالَتْ : أعرابيُّ مجنون !! والله ما أرى في البيتِ شيئاً !! ودفعت البابَ
فخرج الكلبُ شداً ، وحادَ عنه أبو الأعزِّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذي
مَسَّخَكَ كلباً ، وكفاني منك حرباً !! ثمَّ قال : تالله ما رأيتُ كالأليقةَ ، ما أراه
إلَّا كلباً !! أما والله لو علمتُ بحالِهِ لولجتُ عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : في الدِّيكِ الشَّجَاعَةُ ، وفي الديكِ الصَّبْرُ عند اللِّقَاء ،
وهم لا يجردون الصَّبْرَ تحت السَّيِّاطِ والعصا ، إلاَّ أنْ يكون ذلك موصولاً بالصَّبْرِ
في الحربِ على وقعِ السَّلاحِ .

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يربيع : يريد .

(٣) في الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معاني « تهافت » . وتساقط :
تخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيكِ الجَوْلانِ ، وهو ضربٌ من الرُّوْغانِ ، وجنسٌ من تدييرِ الحربِ ، وفيه الثَّقافَةُ والتسديدُ (١) ؛ وذلك أَنَّهُ يَقْدَرُ إِيقاعُ صِيصِيَّتِهِ (٢) بعينِ الديكِ [الآخر (٣)] ، ويتمرَّبُ إلى المذبَحِ فلا يخطىُّ .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّارِ ، ويضربون به المثلَ إِذْ كان لا يخطىُّ اللَّبَّةَ ، ومن اللَّحَّامِ إِذا كان لا يخطىُّ المَفْصِلَ ، ولذلك قالوا في المثلِ : « يطبَّقُ الحَزَّ (٤) ولا يخطىُّ المَفْصِلَ ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويمدحون . والديكُ في ذلكُ أعجبٌ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوَثْبَةِ ، والارتفاعُ في الهواءِ . وسلاحه طَرِيرٌ (٥) ، وفي موضعٍ عجيبٍ ، وليس ذلكُ إِلاَّ له ، وبه سُمِّيَ قَرْنُ الثَّورِ صِيصِيَّةَ ، ثُمَّ سَمَّوا الآطامَ (٦) التي كانت بالمدينة للامتناعِ بها من الأعداءِ صياصِيَّ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمي الدَّارِعَ وذا الجُنَّةِ (٧) صاحبَ سلاحِ ، فلما كان اسمُ سلاحِ الديكِ وما يمتنع به صِيصِيَّةَ ، سَمَّوا قَرْنَ الثَّورِ الذي يُجْرَحُ صِيصِيَّةَ . وَعَلَى أَنَّهُ يَشْبَهُ في صورته (٨) بصِيصِيَّةِ الديكِ

(١) الثَّقافةُ : الحدقُ . والتسديدُ : صدقُ الإِصابةِ .

(٢) سبقَ الكلامُ في هذا اللفظِ في ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادةُ من نهايةِ الأربِ ١٠ : ٢٢٠ نقلًا عن الحيوانِ .

(٤) الحَزُّ : موضعُ الحزِّ ، مثلُ المَفْصِلِ : موضعُ الفِصْلِ . وفي الأصلِ : « الحزُّ » والوجهُ ما أثبت .

(٥) سلاحُ طريرٍ : محددُ ماضٍ .

(٦) الآطامُ : جمعُ أطمٍ بضمٍّ وبضمّتين ، وهو الحصنُ يبنى من الحجارةِ .

(٧) الدارِعُ : لابسُ الدرعِ ، وهو القميصُ الحديديُّ . والجُنَّةُ : ما يلبسه المرءُ أو يحملُه ليقى به نفسه . وفي الأصلِ : « الجارِحُ وذا الجُنَّةِ » وليس بشيءٍ .

(٨) في الأصلِ : « في صِيصِيَّةِ صورته » . وكلمةُ « صِيصِيَّةِ » مقحمةٌ .

وإن كان أعظم . ثم لما وجدوا تلك الآطام معاقليهم وحصونهم وجنتهم ،
وكانت في مجرى الترس والدرع والبيضة ، أجروها مجرى السلاح ، ثم
سموها صياصي . ثم أسموا شوكة الحائك التي بها تهيأ السداة واللحمة
صيصية ؛ إذ^(١) كانت مشبهة بها في الصورة ، وإن^(٢) كانت أطول شيئاً ؛ ٨٦
ولأنها مانعة من فساد الحوك والغزل ؛ ولأنها في يده كالسلاح ، متى شاء
أن يجأ به إنساناً وجأه به^(٣) .

وقال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ^(٤) :

نَظَرْتُ إِلَيْهِ الرَّمَّاحُ تَنُوشُهُ

كَوَقَعِ الصَّيَّاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ

(استطراد لغوى)

وقد تسمى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمى صيصية الديك
شوكة ، وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك النخل .

(١) في الأصل : « إذا » وإنما هي « إذ » التعليلية ، وقد نهت فيما مضى على
كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) في الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتي من قصيدة اختارها أبو تمام في الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدي

يرثي بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال

فيه أبو هلال العسكري ديوان المعاني ٢ : ٥٨ : « أحسن ما قيل في سرعة
وقع الرماح وقداركه » .

ويقال لمن ضربته الحمرة . قد ضربته الشوكة ؛ لأنَّ الشوكة إذا ضربت إنساناً ، فما أكثر ما تعتريه من ذلك الحمرة .

وقد قال القطامي في تسمية إبرة العقرب شوكة :

سرى في جليد الأرض حتى كأنما تخزم بالأطراف شوك العقارب^(١) ،
وتوصف الحجر^(٢) وتشبه بالشوكة ؛ لأنَّ الشوكة غليظة المآخر^(٣) ،
لطيفة المقادم . والشوك والسلاء سواء . وقال في ذلك علقمة بن عبدة
يصف الحجر :

سلاءة كعصا النهدي غل لها ذو فيئة من نوى قران معجوم^(٤)
ومن سمى إبرة العقرب حمة فقد أخطأ . وإنما الحمة سموم ذوات الشعر
كالدبر^(٥) والزناير ، وذوات الأنياب والأسنان كالأفاعي وسائر

(١) هذا البيت في ديوان القطامي ٥٢ واللسان (وكم ، خزم) ، وصدده فيهما :

* سرى في جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه في مادة (وكم) : « وكم العقارب » بمعنى ضربها ولدغها .
وفي (حزم) : « شوك العقارب » كما في الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم
الشوك في رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأثني من الخيل .

(٣) في الأصل : « المتأخر » وما كتبه أشبه بالكلام .

(٤) في اللسان (غل) : « النهدي : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب
إلى نهد ، وهي قبيلة يمنية . وغل للداية : خلط لها النوى بالقت - والقت
هو ما يعرف في مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكي - وفي الأصل : « عل
بها » وتصحيحه من اللسان (فياً ، غل) والبيان ٣ : ١٢٠ . والكامل ٤٩٦
ليبسك وخسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أي
ذورجة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرتة فهو أصلب . و « قران » :
قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : بمضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم^(١) ذوات الإبر من العقارب . فأما البيش^(٢) وما أشبهه من السموم ، فليس يقال له حمّة .

وها هنا أمور^(٣) لها سمومٌ في خراطيمها ، كالذّبّان والبعوض . وأشياء من الحشرات تعضُّ وربما قتلت ، كالشّبث^(٤) وسام أبرص . والطبوع^(٥) شديد الأذى ، والرّتيلاء^(٦) ربما قتلت ، والضّمج^(٧) دون ذلك ، وعقارب طيّارة . ولم زهرهم يسمون جميع السموم بالحمّة ، فقلنا مثل ما قالوا ، وانتهينا إلى حيث انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرفُ بعضُ النَّاسِ بأذنه متى عضّ قتل ، كان منهم صفوان أبو جشم التّقيّ ، وداوُدُ القَرّاد .

وسيقع هذا البابُ في موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر في تخوم الهند والصين . وفي الأصل : « فإنما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) في معجم الحيوان : « شبت : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبت ، وفي مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .

(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويتصر .

(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة متنة تسع ، وهي ماتسمى في مصر باسم « البق » .

وفي الأصل : « الصحيح » ، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمون الرجل إذا بلغ من حرصه ألا يدع ذكراً ، غلاماً كان أو رجلاً ، وخصياً كان أو فحلاً ، إلا نكحه من فرط غلمته ، ومن قوة فحلتته : صيصية . ويقولون : ما فلان إلا صيصية ، وهو عندهم اسم لمن اشتد لواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصية الديك فى الحدة والصلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابه إذا قام ، ومباينته صورةً فى العين لصورة الدجاجة ، ٨٧ وليس هذا الفرق الواضح من جميع الإناث والذكور موجوداً إلا فيه ، وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمار ، ولا للبرذون والرمكة (١) ، ولا للفرس والحجر ، ولا للجمل والناقة ؛ وليس ذلك إلا لهذه الفحولة لأنها كالرجل والمرأة ، والتيس والظبية (٢) ، والديك والدجاجة ، وكالفحل والنخلة المطعمة (٣) . ألا ترى أنك لو رأيت ناقةً مقبلة لم تدر

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال أطعمت الشجرة - بوزن افتعلت - إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعاماً وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولدى كل وجه . وأما الفحال - كرمان - فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ : ٢٠٩ .

أناقةً هي أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع الثَّيْل والضَّرْع ، وإلى موضع الحيا .
وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلا أن يدَّعوا أن للعامة أو لبعض
الخاصة في ذلك خصوصية . ولذلك ضربوا المثل بالتيس والنخلة والفُحَّال ،
فاشتقوا من هذا الفعل . وهذا أيضاً من خصال الديك .

ثمَّ للديك لحية ظاهرة ، وليست تكون اللحي إلا للجمل فإنه يوصف
بالعثنون ، وإلا للتيس وإلا للرجل . وقال الرَّاجز في الجمل :

مختلط (١) العثنون كالتيس الأحم

سام كأن رأسه فيه وذم

* إذ ضمَّ من قطريه هياج قطم *

ثمَّ الديك بعدُ صاحب اللحية والفرق (٢) . وقالت امرأة
في ولدها وزوجها (٣) :

* أشهب ذى رأسٍ كراس الديك *

أما قولها أشهب ، فإنها تريد أن شعرَ جسده قد ابيضَّ من الكبر ،
وإنما جعلت شعرَ رأسه كراس الديك لأنه كان مخضوبَ الرأس واللحية
بالحمرة ، ثمَّ لم ترضَ له بشبه الرجال من هذا الوجه حتى جعلت رأسه

(١) ط : « مختلط » وهو تغيير مطبوعى .

(٢) للفرق : انفراق العرف .

(٣) في ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابناً
لها منه :

وهبته من سلفع أفوك ومن هبل قد عسا حنيك

* أشهب ذى رأس كراس الديك *

أفرقَ ، وذلك شئٌ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتهيأ للناس مع كمالهم
وتمامهم إلا بالتكلف والاحتيال فيه .

ثمَّ يبلغ من شدة تعجله ومن قوَّته على السَّفاد ، وعلى الباب (١) الذي
يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو ممَّا يُدْكَى النَّفس - كَنحو (٢)
ما ذكر عن التَّيس المِراطِي (٣) ، وكنحو ما تراهم يُبركون للُبْحَتِي الفالِج عدَّة
قِلاص (٤) ، فإذا ضَرَبَ الأولى فخافوا عليها أن يخطمها وهو في ذلك قد رمى
بمائه مراراً أفلته الرَّجَالُ على التي تليه في القرب ، حتى يأتي على الثَّلاث
والأربعِ على ذلك المِثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثَّلاث إلى الرَّابِعة
إلا تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأبرص العمِّي ، وكان من المعتزليين ، أن
التَّيس المِراطِي قرعَ في أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيْقاً وثمانين قرعة .

والناسُ يحكون ما يكون من العصفور في الساعة الواحدة من العدَد

٨٨ الكثير . والناسُ يُدخلون هذا الشكل في باب الفضل ، وفي باب شدة
العجلة وتظاهر القوة . والديك يكون له وحده الدجاج الكثير ، فيوسعها
قطاً وسفاداً .

(١) لعلها « الباه » .

(٢) في الأصل : « لأنه كَنحو » وليس الكلام في حاجة إلى « لأنه » . وكلمة
« كَنحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يباغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء في (٥ : ٢١٩) برسم « المسرطى » ، و « المشرطى » .

(٤) البختي : الواحد من الإبسل البختية ، وهي الخراسانية . والفالج : الضخم
ذو السنمين . والقلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة .

وقد قلنا في حالة البيض الكثير الترابي وقلبه إيّاه بسفادٍ إلى الحيوانية^(١) . وعلى [أن^(٢)] الذي يَخْصِيهِ إِتْمًا يُخْرَجُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الزَّمَكِيِّ^(٣) ومَوْضِعِ القِطَاةِ^(٤) بِيضَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مَعْرُوفَتَيْنِ .

وأنا رأيتُ ديكًا هِنْدِيًّا تَسْمُ دَجَاجَةً هِنْدِيَّةً فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْهَا ، فَرَأَيْتَ نَظْفَتَهُ حِينَ جَبَّهَا - وَقَدْ زَلِقَ عَنْ ظَهْرِهَا - عَلَى مَدْرَةٍ^(٥) ، وَكَانَتِ الدَّارُ مُثَارَةً^(٦) لِتَجْعَلَ بُسْتَانًا ، فَإِذَا تَلَّكَ المَجَّةَ كَالْبَرْقَةِ البِيضَاءِ ، فَأَخَذَهَا بَعْضُ مَنْ كَانَ مَعَنَا فَشَمَّهَا حِينَ رَأَى بِيضَهَا وَخُثُورَتَهَا وَكُدْرَتَهَا ، لِيَعْلَمَ هَلْ تَنَاسَبَ رِيحُهَا رِيحَ نَظْفَةِ الْإِنْسَانِ ، وَرِيحَ طَلْعِ الفُحَّالِ ، فَلَمْ يَجِدْ ذَلِكَ .

ثُمَّ مَعْرِفَةُ الدِّيَكِ بِاللَّيْلِ وَسَاعَاتِهِ ، وَارْتِفَاقُ بَنِي آدَمَ بِمَعْرِفَتِهِ وَصَوْتِهِ : يَعْرِفُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَعَدَدَ السَّاعَاتِ ، وَمَقَادِيرَ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ يَقْسِطُ أَصْوَاتَهُ عَلَى ذَلِكَ تَقْسِيْمًا مَوْزُونًا لَا يُغَادِرُ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا كَانَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَاعَةً أَنَّهُ يَقْسِطُ أَصْوَاتَهُ المَعْرُوفَةَ بِالعَدَدِ عَلَيْهَا ، كَمَا يَقْسِطُهَا وَاللَّيْلَ تِسْعَ سَاعَاتٍ ، ثُمَّ يَصْنَعُ فِيهَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ القِسْمَةِ وَإِعْطَاءِ

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) الزمكي ، بكسر الزاي والميم وتشديد الكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبته . وكتبت في الأصل بالالف .

(٤) القطة : ما بين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحده مدرة . وفي ط : « عن مدرة » وفي س : « عن مدرة » ، وبها تحريف ما أثبت .

(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحصص على حساب ذلك . فليعلم الحكماء أنه فوق الأسطرلاب (١) ،
وفوق [مقدار (٢)] الجزر والمد على منازل القمر ، وحتى كأن طبعه فلك
على حدة . فجمع المعرفة العجيبة والرعاية العجيبة .

ورب معرفة تكون نبيلة وأخرى لا تكون في طريق النبالة . وإن
كانت المعارف كلها مفصلة مقدرة ، إلا أنها في منازل ومراتب : وليس
في الأرض معرفة بدقيق ولا جليل وهي في نفسها شريفة كريمة .
والمعرفة كلها بصر ، والجهل كله عمى ، والعمى كله شين ونقص ،
والاستبانة كلها خير وفضل .

ثم له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا (٣) المعنى منه .

ومن ذلك بعد صوته ، وأنه يدل على أن موضعه مأهول مأنوس ،
ولذلك قالوا : لا يكون البنيان قرية حتى يصقع فيها ديك .

وليس في الأرض طائر أملح ملحاً (٤) من فروج ، وليس ذلك
الاسم إلا لولد الديك ، وإلا فكل شيء يخرج من البيض فإنما هو فرخ (٥)

(١) الأسطرلاب أو الأسطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أطرلابون » .
وأطر : وهو النجم ، ولايون هو المرأة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاق
في هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأطر جمع سطر .
وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم
١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس في هذا الوهم الذي نبه عليه الخوارزمي
(مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويري عن الجاحظ

(٣) في الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحه .

(٥) في الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفروج حين تنصدع عنه البيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقط
الحب وسدّ الخلة ، وهو أصيد للذباب من السوداني^(١) ، ويدرج مع
الولادة بلا فصل .

و [هذا^(٢)] مع ما أعطى من محبة النساء ، ورحمة الرجال ، وحسن
الرأى من جميع الدار^(٣) ، ثم اتباعه لمن دعاه ، وإلفه لمن قرّبه . ثم ملاحظة
صوته وحسن قده ، ثم الذى فيه مما يصح له الفروج ويتفرج فيه^(٤) . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد في تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنّ الديك أحمدُ من الطاوس ، وأدّه
مع جماله وانتصابه واعتداله وتقلّعه^(٥) إذا مشى ، سليمٌ من مقابح الطاوس
[ومن موقه وقبح صورته^(٦)] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و^(٧)] من
قبح رجليه ، ونذالة مرآته^(٨) . وزعم أنه لو ملك طاوساً لألبس
رجليه خفاً .

(١) السوداني : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام في الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من في الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع في مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفي الحديث في صفته صلى الله عليه وسلم

« أنه كان إذا مشى تقلع » . وفي الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له .

واعتمدت في تصحيحها على نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكلة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحلق .

(٧) التكلة من ثمار القلوب .

(٨) المرأة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وَإِنَّمَا يُفَخَّرُ لَهُ بِالتَّلَاوِينِ ، وبتلك التعاريج^(١)
 والتهاويل التي لألوان ريشه . وربما رأيتَ الديك النَّبْطِيَّ وفيه شبيهه^٢
 بذلك^(٢) . أَلَا إِنَّ الدِّيكَ أَجْمَلُ مِنَ التُّدْرُجِ^(٣) ؛ لمكان الاعتدال والانتصاب
 والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الديك النَّبْطِيَّ في تلاوين
 ريشه [فقط^(٤)] لكان فضلُ الديك عليه بفضل القدِّ والخَرْطُ ، وبفضل
 حُسن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ^(٥)] من مقدار فضل حُسن
 ألوانه على ألوان الديك ، ولكانَ السليمُ من العيوب في العين أجمل^(٦)
 لاعتراض تلك الخصال القبيحة على حسن الطاوس في عين الناظر إليه .
 وأوَّل منازل الحمد السلامة من الذمِّ^(٧) .

وكان يزعم أن قول [الناس^(٨)] : فلانٌ أحسن من الطاوس^(٩) ،
 وما فلان إلا طاوس^(١٠) ، وأن قول الشاعر :

-
- (١) التعاريج : الحطوط الملتوية . وفي ثمار القلوب : « التفاريح » .
 (٢) في الثمار : « شبه بذلك » .
 (٣) في الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائرٌ شبيه بالحمام ،
 حسن الصوت مبارك ، كثير النتائج يبشر بالربيع .
 (٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « في تلاوين » هي في الأصل « وتلاوين »
 وتصحيحها من الثمار .
 (٥) للزيادة من الثمار .
 (٦) في الأصل : « ولكانَ السليم من العيوب في العين ، والعين فيه أعمل »
 وأثبت ما في الثمار .
 (٧) في الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
 (٨) الزيادة من الثمار .
 (٩) في الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
 (١٠) في الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الحجازية
 ألا ينتقص نفيها بإلا ، وهي على الصواب في الثمار .

* جلودُها مثلُ طواويسِ الذهبِ (١) *

وأنتهم لما سموا جيشَ ابنِ الأشعثِ (٢) الطواويسِ لكثرةِ مَنْ كانَ يجتمعُ فيه من الفتيانِ المنعوتينِ بالجمالِ ، إنما (٣) [قالوا ذلك (٤)] لأنَّ العامَّةَ لا تبصرُ الجمالَ . ولَفَرَسٌ رائعٌ كريمٌ أحسنُ من [كلِّ (٥)] طائوسٍ في الأرضِ ، وكذلك الرَّجُلُ والمرأةُ . وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسنِ ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسنِ تركيبه وتنصبه ، كحسنِ (٦) البازيِ وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارحِ ، وإلى الشَّياتِ (٧) والهيئةِ ، والرأسِ والوجهِ الذي فيه .

وكان جعفرُ يقولُ : لما لم يكن في الطاوسِ إلاَّ حسنه في ألوانه ، ولم يكن [فيه (٨)] من المحاسنِ ما يزاحمُ ذلك ويجاذبهُ وينازعه ويشغلُ عنه - ذِكْرًا وتبيينًا وظهورًا . وخصالُ الديكِ كثيرةٌ ، وهي متكافئةٌ في الجمالِ . ونقولُ : لم يكن لعبدِ المطلبِ في قريشِ نظيرٌ ، كما أنَّه ليس في العربِ لقريشِ نظيرٌ ، وكما أنَّه ليس للعربِ في النَّاسِ نظيرٌ (٩) ؛ وذلك حين لم تكن فيه خصلةٌ أغلبُ من أختها ، وتكاملت فيه وتساوت ، وتوافت إليه

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .

(٣) في الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .

(٤) ليست بالأصل . وفي الثمار : « قال ذلك » .

(٥) الزيادة من الثمار .

(٦) في الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .

(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفي الأصل : « الشياب » .

(٨) كلمة يحتاج إليها القول .

(٩) ط : « ليس في العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبَعُ في وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح^(١) وسيِّد الوادى ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سيِّد العرب ، وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس . ٩٠

ولو كان مثل الأحنف الذى برع فى حلمه وبرع فى سائر خصاله لذكروه^(٢) بالحلم ؛ ولذلك ذكر قيس بن زهير فى الدهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء ، وعتيبة بن الحارث فى النجدة والثقافة .

ولو أنّ الأحنفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة ، أو زُرارةَ بن عدس ، أو حِصنَ بن حذيفة ، لقدّمهم على نفسه . وهؤلاء عيون أهل الوبر لا يُذكَرون بشيءٍ دونَ شيءٍ ، لاستواءِ خِصالِ الخيرِ فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأمانةَ لم تخنْها كذالك كانَ نوحٌ لا يخنونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإِنّما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخنون ، وكذلك كان موسى لا يخنون عليهما السلام . وهم وإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحابَ خِيانةٍ ولا تجوزُ عليهم ، فإنّ النَّاسَ إِنّما يضربون المثلَ بالشئِ النادر من فعلِ الرجالِ ومن سائرِ أمورهم ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوحُ الله ، وموسى كليمُ الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكرُ الصبرِ على البلاءِ فقال : كذالك كان أيُّوبُ لا يجزع

(١) س : « الأبطح » .
(٢) فى الأصل : « لذكروه » .

كان قولاً صحيحاً. ولو [قال (١)] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع
لم تكن الكلمة أعطيت حقها .

ولو ذكر الاحتمال (٢) وتجرع الغنيظ فقال : وكذلك كان معاوية
لا يسهفه ، وكان حاتم (٣) لا يفحش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته .
ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخل لكان ذلك كلاماً معروفاً ،
ولكان القول قد وقع موقعه ، وإن كان حاتم لا يُعرف بقلة الاحتمال
وبالتسرع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فنعتني وقد كان الشعبي لا يمنع ، وكان النخعي
لا يقول « لا » ، لكان غير محمود في جهة البيان ، وإن كان ممن يُعطي
ويختار « نعم » على « لا » . ولكن لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما
لم تُصرف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول في الديك وجماله ؛ لكثرة خصاله ، وتوازن
خلاله ، ولأن جمال الديك لا يلهج بذكره إلا البصراء بمقادير الجمال والنوسط
في ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما (٤) يكون ممزوجا [وما يكون (٥)]
خالصاً . وحسن الطاوس حسن لا تعرف العوام غيرَه ، فلذلك
لهجت بذكره .

(١) زدتها ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « الاحتيال » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .

(٤) في الأصل : « وما » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدجاج الخِلاسي^(١) والهندي^(٢) ، ومن الدجاج الزنجي^(٣) ومنها الكسكري^(٤) ، ومن الديكة ما يُخصى فلا يبلغه في الطيب والسمن شيء وإن اشتد لحمه . وإن كان غير خصي فقد يُمدح ذلك من وجه هو ٩١
أردُّ عليه في باب الفخر^(٥) ، من رخاوة اللحم واستطابة الأكل . وعلى أنه لو كان أدناه من بعض سباع الطير ، أو عدا خلفه إنسان ، فكان يريد أخذه حتى إذ فسخته البهر ارتد في موضعه لا يبرحهُ ، ثم ذبحه على المسكان ، لجمع به الخصال كلها .

ولو علّق في عنقه حجرٌ ليلته بعد أن ذبحه ، أو أولج بطنه شيئاً من حلّيت^(٦) لجمع به الخصال ؛ فإنه أعملُ فيه من البورق^(٧) وقشور البطيخ في اللحم المفصل^(٨) .

وهو بعدُ غيورٌ يحمي دجاجه^(٩) . وقال الرّاجز :

* يغارُ والغيرةُ خلقٌ في الذّكر * .

(١) الخلاسي ، بالكسر : ما تولد بين الهندي والنبطي . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجري » !

(٣) الكسكري منسوب إلى كسكر ، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبي في الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور في أطيب الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدي والحمل » . وهي في الأصل : « الكسكري » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفي الأصل : « رد عليه من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) في الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النظرون ، أو النظرون ضرب من ضروب البورق .

(٧) المفصل : المقطع . وفي الأصل : « المفصل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما في س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولًا (١) *

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجَاجِ فوق جميع اللُّحْمَانِ فِي الطَّيِّبِ والبياض ، وفي الحسن .
والمملوكُ تقدّمه على جميع الفراخ والنواهض (٢) ، والبَطُّ ، والدَّرَاجُ ، وهم
للدَّرَاجِ أَكْلٌ منهم للجداء الرُّضَعُ ، وللعُنُقِ الحمر (٣) من أولاد الصَّمْفَايا .
والدَّجَاجُ أَكْثَرُ اللُّحْمِ تصرُّفاً ، لأنّها تطيب شِواءً ، ثم حارّاً
وبارداً ، ثمّ تطيب في البَرِّ مَا وَرَدَ (٤) ، ثمّ تطيب في الهرائس (٥) ،

(١) الشول : النوق التي خف لبها وارتفع ضرعها وأقى عليها من نتاجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ حرمة وإن كانت به علة . أمثال الميداني (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض : جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهبأ للطيران ، وتعرف في لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهي الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٣٣) .

(٤) في القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامّة يقولون بزماورد ، وفي التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم .

قال شيخنا : وفي كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضي . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسيمات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتي في ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كصفه من الحنطة ، أو أقل ، والمساء مثلهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما في اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم المملح ، وتفوه بنحو الدارصيني والقرنفل وتسد بالعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسبق دهنها الملعون . أولاً تذكره داود ١ : ٣٤٣ . وهي في ط « الهرائس » ترايبس في سن . وانظر الأشعار والأخبار التي وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لها به نفحة لا تُصاب مع غيرها ، وتطيب طبيخاً ، وتطيب
فصوصها ، وإن قطعها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحشاوى ،
وللملاقسطى^(١) ، وتصلح في الاسفرجات^(٢) وسميتها يقدم في السكباجة^(٣)
على البط ، إلا أنها تُطعمُ المفصود^(٤) وليس ذلك للبط .

(لفظ : الدجاج)

قال : والديكة دجاج إذا ذكرت في جملة الجنس ، وهذا الباب
مما تغلب فيه الإناث على الذكور . وقال آخرون : لا ، ولكن
الديك نفسه دجاجة ، إلا أنهم أرادوا إبانته بأنه ذكر فقالوا : ديك ،
كما يسمون الذكر والأنتى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يُثبتوا إناثها قالوا
حجر ، وإن كانت حجرأ فهي فرس . وقال الأخطل :

نازعتُه في الدججى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقد

صاحَ الدَّجَاجُ وحانتُ وَقْفَةُ السَّارِي^(٥)

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيداجات » . انظر كتاب الطبيخ البغدادي ص ٣٢ .

(٣) يقال السكباج الحلية والمخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف
إليه أحياناً الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود في تذكرته
١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفي الأصل : « المقصود » وأصلحته بما ترى .

(٥) الساري : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب
الفجر . والدجاج يطلق على المذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة
والتاء في الدجاجة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان
(دجج) وشرح شواهد المغنى ٦١ .

وقد بين ذلك القرشي^(١) حيث يقول :

اطرُدوا الدبَّيكَ عن ذؤابَةِ زَيْدٍ كَانَ مَا كَانَ لَا تَطَّاهُ الدَّجَاجُ^(٢)
وذلك أنه كان رأى رأسَ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ^(٣) في دارِ يوسُفَ بنِ عُمَرَ^(٤) ،
فجاء ديكٌ فوطى شَعْرَهُ ونَقَرَهُ في لحمه ليأكله .

(حوار في صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ مَنْ زعم أنَّ الدبَّيكةَ إنما تتجاوب ، بل إنما ذلك
منها شيءٌ يتوافق في وقت ، وليس ذلك بتجاوبٍ كنباح^(٥) الكلاب ؛ ٩٢
لأنَّ الكلبَ لا وقتَ له ، وإنما هو صامتٌ ساكتٌ ما لم يحسَّ بشيءٍ
يفزعُ منه ، فإذا أحسَّ به نبح ، وإذا سمعَ نباحَ كلبٍ آخر أجابَ ثم

(١) هو قرشي وشيبي . انظر الكامل . ٧١ لبيسك .

(٢) الرواية في الكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) في الأصل : « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الكامل ، ومعجم
البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وكان خرج على هشام بن عبد الملك ،
وقتله يوسف بن عمر الثقفي وصلبه بالكناسة — هي موضع بالكوفة — عريانا . . .
وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموي (انظر الكامل) :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولي اليمين لهشام بن عبد الملك
سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت
على اليمين وقصد العراق ، فقتل خالد القسري (أمير العراق قبله) ، وأقام بالكوفة
إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه في دمشق
إلى أن قتله يزيد بن خالد القسري بثأر أبيه سنة ١٢٧ . ابن خلكان (٢ :
٣٦٠ - ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم

(٥) في الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجاهاهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّنَ أَنَّهُ المجابُ جميع الكلاب . والدَّيْكَ ليس إذاً من أَجْلِ أَنَّهُ أنكر شيئاً استجاب^(١) ، أو سمع صوتاً صقع^(٢) ، وإِنَّمَا يصقع^(٣) لشيءٍ في طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيْلِ هَيَّجَه . فعدَّدُ أصواتِهِ في الوقتِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ تتجاوبُ فيه الدِّيْكَه ، كعدَّدِ أصواتِهِ في القريةِ وليس في القريةِ ديكٌ غيره ، وذلكَ هو في المواقيت . والعَلَّةُ الَّتِي لها يصقَعُ في وقتِ بعينه شائعةٌ فيها في ذلكَ الوقتِ . وليس كذلكَ الكلاب ! قد تنبح الكلاب في الخُرَيْبَةِ^(٤) وكرابٌ في بني سعد غير ناجحة ، وليس يجوز أن تكون دِيْكَه المهالبة تصقع^(٥) ، ودِيْكَه المسامِعة ساكتة^(٦) .

فإنَّ أرادَ مريدٌ بقوله إنَّ الدِّيْكَه تتجاوب ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تناظر ، إذا كان بعضها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الَّذي لو كان إنسانٌ رآه - جاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لا تترأعى ناراهما^(٧) » ، ومع قول الشاعر :

(١) في الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئاً إذا استجاب » .

(٢) في الأصل : « صقع » وإِنَّمَا هي « صقع » بمعنى صاح .

(٣) في الأصل : « يصقع » .

(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) في الأصل : « تصقع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسعم بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان

فلعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بني المهلب بن أبي صفرة .

(٧) الرواية في اللسان والنهاية وأمثال الميداني (٢ : ١٦٢) : « لا تترأعى » بإسقاطه

إحدى التاءين . قال الميداني : « يعني نارى المسلم والمشرك ، أى لا يحل للمسلم

أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل

الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لا تترأعى ، فحذف إحدى

التاءين . وهو نفي يراد به النهي » .

* لاتترأى قبورهما (١) *

وقال ابن مقبل العجلاني (٢) :

سَلِّ الدَّارَ من جَنبِي حَبِيرٌ فَوَاهِبٌ

وحيثُ يَرَى هَضْبَ القَلِيبِ المَصِيحِ (٣)

وتقول العرب : إذا كنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظرُ إليك الجبلُ

فخذُ عَن يساركِ أو عن يمينك .

وقال الرَّاجزُ :

* وكما يرى شَيْخَ الجبالِ ثَبِيرًا (٤) *

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىءٌ من كلِّ

مسلمٍ مع كلِّ مشركٍ » . قيل : ولمَ يارسولَ الله ؟ قال : « لاتترأى ناراهما » .

(١) كذا . ولعلها « لاترأى قبورها » .

(٢) في الأصل : « ابن مقبر العجلاني » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما في الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبي مقبل . . . الخ كما في الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية) . أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب في استعدائه على النجاشي الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) في الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هي في الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم في الموضعين . و « يرى » هي في الأصل « ترى » مصحفة . و « المصيح » هي في الأصل « المصيح » كما في اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم في موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمصيح : أمكنة متقاربة في ديار بني سليم . ويرى المصيح هضب القليب ، أى يقابله .

(٤) في الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائي: تقول العرب: داري تنظر إلى دار فلان، ودورنا تنناظر. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنما قال القوم في تجاوب الديكة بيت شعرٍ سمعوه للطَّرِمَّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فِياصْبِحُ كَمَشِّ غُبْرِ اللَّيْلِ مُصْعِدًا بِبِمٍ وَنَبِيَّ ذَا الْعِفَاءِ الْمَوْشِحِ (١)

إذا صاح لم يُخَذَلْ وجاوبَ صوته

حِمْشُ الشَّوَى يَصْدَحُنْ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ (٢)

وكذلك غلظوا في قول عبدة بن الطيب (٣) :

إذ صفق الديك يدعو بعض أسرته

إلى الصَّبَاحِ وهم قوم معازيل (٤)

وإنما أراد توافي ذلك منها معًا ؛ فجعلها دعاءً وتجاوبا على ما فسرتها.

(١) كش: أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاة . وفي اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحياني ، كما في اللسان . والبيت في الأصل محرف ؛ فصدره في ط ، س : « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه في ط : « بيم وبينها كالعفاء » و س : « بيم وبينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرماح ٦٩ واللسان .

(٢) حاش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفي س : « يصدحن منهن مصدح » وهو تحريف .

(٣) ط : « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتي من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصولي أم أنت عنها بعيد الدار مشغولي

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ في الجهل ، يقومُ في الصُّباح وفي ساعات الليل مقامَ الديكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذهباً غيرَ مرْدود . ولو أن متفقداً يتفقّد ذلك من الحمار لوجده منظوماً يتبع بعضه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول في نهيق الحمار في ذلك الوقت : ليس علي تجاوبٍ ، إنّما ذلك شيء يتوافق معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للديك الموصوفِ بأنّه فوق الأسطراب فضيلةً ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدّة صوتِهِ ما إن حلفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنّ الحمار ما ينام ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأنّي أجدُ صياحه ليس بصياح شيءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذي ضربَ به القرآنُ المثلَ في بُعد الصوت ، وضربَ به المثلَ في الجهل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شيءٌ من الحيوان أجهلاً بما في بطون الأسفار من الحمار ، لضربَ الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال في شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الحصال ما ليس في الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعتَه من الأمثال التي هي له في عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا »^(١) وكفالك به مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل هداية أبي سفيان .

وقالت العرب : « أَنْسَكْحُ مِنَ الْفَرَا » . وَالْفَرَاُ مَهْمُوزٌ مَفْتُوحَةٌ الْفَاءُ مَجْمُوعَةٌ فِرَاءٌ^(٢) ، قال الشاعر^(٣) :

بِضْرَبٍ كَأَذَانِ الْفِرَاءِ فُضُوْلُهُ وَطَعْنٍ كَلِيزَاغِ الْخَاضِ تَبُورُهَا^(٤)

وتقول العرب : « الْعَيْرُ أَوْقَى لِدَمِهِ »^(٥) . وقولهم : « مَنْ يَنْكَ الْعَيْرَ

يَنْكَ نِيًّا كَأ^(٦) » . وقالوا : « الْجَحْشُ إِذَا فَاتَتْكَ الْأَعْيَارُ^(٧) » وقالوا :

(١) الفراء بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل في الميداني (٢ : ٧٤) . والسبب في هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبي فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كنت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجهلتين » - وكان قد أدخل غيره من الناس قبله - فقال « يا أبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد في جوف الفراء » أراد أن يقول له إنه في الناس كحمار الوحش في الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجيك قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصقره يدخل في جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير في النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ لبيسك والدميرى (فرأ) .

(٢) في الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما في اللسان (فرأ ، بور) . وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كإيزاغ الخاض بواعا » ، ط : « كإيزاغ الخاض النوازع » . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ لبيسك والمعاني (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببوطها . تبورها : تحتبورها ، تمرضها على الفحل لتنتظر ألقح هي أم حامل ، وهي إذا كانت حاملا بالث في وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالخذر ، وذلك أنه ليس شيء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفي الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميداني (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يقطم . =

« أصبرُّ من عير أبي سيارة »^(١) ؛ لأنه كان دفع بأهل الموسم على ذلك الحمار أربعين عاماً .

وقالوا : « إن ذهب عير فعير في الرباط »^(٢) . وقالوا في المديح لصاحب الرأي : « جحيش وحده » ، و « عير وحده »^(٣) ، و « العير يضرب والمسكوة في النار »^(٤) ؛ وقالوا : « حمارٌ يحمل أسفارا »^(٥) ، و « أضلُّ من حمارِ أهله »^(٦) ، و « أخزى الله الحمارَ مالاً لا يزكى ولا يذكى »^(٧) ، ٩٤ و « قد حيل بين العير والنزوان »^(٨) .

- = والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك .
اللسان (جحش) والميداني (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .
- (١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .
- (٢) الرباط : حباله الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق في الحباله فاقصر على معلق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميداني (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .
- (٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميداني (١ : ٤٢١)
- (٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرب العير والمسكوة في النار » .
- (٥) مثل قرآني ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعنى اليهود في تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لا يعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلاً للذي يجوز الشيء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .
- (٦) لم أهتد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .
- (٧) لا يزكى : لا تجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والنفصان والعجاجيل لا تجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهى الذبح ؛ فإن الحمار مما لا يحل أكله في أصح الأقوال . وهذا المثل في الديمري (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ما لا يذكى ولا يزكى » قال الديمري : « أشاروا بذلك إلى الحمار »
- (٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن في =

فالذي مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعد صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميّز عددًا معلومًا إلى الصبح ، إلا أن له في الأسفار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغي للديك أن يُقضى له بالمعرفة والحمار قد ساواه في يسير^(١) علمه ، ثم بآيته أن الحمار أحسنُ هداية . والديك إن سقط على حائط جاره لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج من باب الدار ضلَّ ، وضلاله من أسفل كضلاله من فوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث في الديك)

قال صاحب الديك : حدّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبي صلى الله عليه وسلم فسبّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تسبّه فإنه يدعو إلى الصلاة » .
وعن ابن الماجشون ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجهني : « أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نهى عن سبِّ الديك وقال : إنه يؤذّن للصلاة » .

= غزوة فرض حولا ، فلتة زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال في ذلك منوها ببر أمه (الميداني ٢ : ٣٨) والكامل ٧٤٦ لبيسك :

أرى أم صخر لا تملى عيادق وملت سليمانى مضجعى ومكانى
فأى امرئى ساوى بأم حليمة فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

(١) فى ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عماره ، عن عمرو بن مرة ، وعن سالم بن أبي الجعد^(١) ،
يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لِدَيْكًا
عُرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَبِرَأْسِهِ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَجَنَاحَاهُ فِي الْهَوَاءِ^(٢) ،
فَإِذَا ذَهَبَ ثُلَاثًا اللَّيْلُ وَبَقِيَ ثُلَاثُهُ ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ثُمَّ قَالَ : سَبَّحُوا الْمَلِكَ
الْقُدُّوسَ ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ — أَيْ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ — فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُ
الطَّيْرُ بِأَجْنَحَتِهَا وَتَصِيحُ الدَّيْكَةُ » .

وأبو العلاء عن كعب : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى دَيْكًا عُنُقُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ ،
وَبِرَأْسِهِ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ ، فَإِذَا صَاحَتِ الدَّيْكَةُ يَقُولُ : سَبَّحَانَ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ » . قال : والدَّيْكَةُ أَكْبَسُ شَيْءٍ

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ الدَّيْكَ الْأَبْيَضَ
صَدِيقِي ، وَعَدُوُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ وَسَبْعَ دُورٍ » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيتته معه في البيت .

وروى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالدَّيْكَةِ .

(ذبح الديك الأفرق)

وزعم أصحاب التجربة أنه كثيراً ما يرون الرجل إذا ذبح الديك
الأبيض الأفرق^(٣) ، أنه لا يزال يُنكَبُ في أهله وماله .

(١) في الأصل : « سالم مولى أبي الجعد » ، صوابه في تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المقروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومَّا في المحاجاة أن يقال : كيف تعرف الدَّيْكَ من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلُق بمنقاره ، فإن تحركَ فهو ديك وإن لم يتحركَ فهو دجاجة .

(بعض ما قيل من الشعر في حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر (١) في حُسن الدَّجاجة ونبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بِشَرِبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ أبا الدهناء من حَلَبِ العَصِيرِ (٢)
وأخرى بالعقنقل ثم رُحنا نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعِيرِ
كأنَّ الديكَ ديكَ بنى مُمير أميرُ المؤمنين على السَّرِيرِ (٣)
كأنَّ دجاجهم في الدَّارِ رُقْطاً بناتُ الرُّومِ في قُصِّ الحَرِيرِ (٤)
فبتُّ أرى الكواكبَ دانياتٍ يَنلنَ أناملَ الرَّجْلِ القَصِيرِ (٥)
أدافعهنَّ بالكفَّينِ عني وأمسخ جانبَ القمرِ المنيرِ (٤)

(١) انظر الشعر في هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعاني (١ : ٣٣٠) ،
(٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧)
وحسانة ابن الشجرى (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقط : جمع رقطاء ، وهي ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس .
ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لهن أنامل الرجل القصير ، في الكلام قلب . انظر الصحاحي ١٧٣ .

(٦) الرواية في ديوان المعاني : « وأمسخ عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب في الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياء التي تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والحطّاف والكلب والسنور . والديكُ ممّا يتخذُه الناس ، وليس ممّا يحنُّ إليهم فيقطع البلادَ نزاعاً ، فيكون كالقواطع من الطير التي تريدهم كالحطّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذي حيثما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذي [لا (١)] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهليّ من السنانير التي متى ألفتهم لم تفارقهم ، وتُعسُّ بالليل ، وتطوف في القبائل من دار إلى دار ثمّ لا يكون مرجعُها إلّا إليهم . والديك في خلاف ذلك كلّهُ ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف ربّعه ، ثمّ لا يحنُّ إلى دجاجه ، ثمّ لا تتوق نفسه إلى طروقتة (٢) ، ولا يشتاقي إلى ولده ، ولا يعرف الذين غدّوه وربّوه ، بل لم يدر قطّ أنّ له ولدًا ، ولو كان درى لكان على درايته دليل ، فإذا قد وجدناه لفراريجه ويبيضه المخلوقة منه ومن نجله ، كما نجده لما لم يلدُ ولما ليس من شكله أيضاً ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلّا بهذا وشبهه !! .

وهو لا يعرف أهلَ داره ، ولا يُثبت وجهَ صاحبه الذي لم يُخلقُ إلّا عنده ، وفي ظلّه وتحت جناحه ، ولم يزل في رزقه وعياله . والحمام ترجع إليه من مائتي فرسخ ، ويصطاد فيتحوّل عن وطنه عشرَ حجج ، ثمّ هو

(١) التكلّة من س .

(٢) طروقتة : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوّةِ عقده ، وعلى حِفَاظِهِ وإلفه ، والنِّزاعِ إلى وطنه .
فإن (١) وجد فُرْجَةً ووافق جناحَهُ وافياً وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُهُ
مقصوفاً جَدَفَ (٢) إلى أهله ، وتكلّف المضيّ إلى سكّته ، فإِذَا بَلَغَ
وإِذَا أَعْدَرَ (٣) .

والْحُطَّافُ يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطوّه صاحب
سفر ؛ على أنّا لا نراه يتخذ وكره إذا صار إليهم إلّا في أحصنِ موضع ،
ولا يحمله الأُنْسُ بهم على ترك التَّحَرُّزِ منهم ، والحزمِ في مُلَابَسَتِهِمْ ، ٩٦
ولا يحمله الخوفُ منهم على منع نفسه لذّة السُّكُونِ إليهم ، ولا يبخس
الارتفاقُ بهم حظّه .

والعصافير لا تقيم في دار إلّا وهى مسكونة ، فإن هجرها الناس لم تُقِمْ
فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب في السنور والمهرة)

والسُّنُورُ يعرف ربّة المنزل ، ويألف فرخ الحمام ، ويُعابث فراريج
الدار . إن سُرق وربط شهراً عاد عند انفلاته ، وانحلال رباطه .
والمهرة تعرف ولدها وإن صار مثلها ، وإن أُطِعمت شيئاً حملته إليه
وآثرته به . وربما أُلقي إليها الشيء فتدنو لتأكله ، ويُقبلُ ولدها فتمسك

(١) س : « فتي » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه :

جناحاه . وفي الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩) .

(٣) أى كان له عذر في عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضه له . وربما طُرح لها الشيء وولدها غائب عنها - ولها ضروبٌ من النَّعَم ، وأشكالٌ من الصَّيَاح - فتصيح ضرباً من الصَّيَاح يعرفُ أهلُ الدَّارِ أنَّه صياحُ الدُّعاء لا غير ذلك . ويقال : « أْبْرُ مِنْ هِرَّةٍ (١) » .
ومتى أرادت ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتت مواضعَ ترابٍ في زاويةٍ من زوايا الدَّارِ فتبجته ، حتَّى إذا جعلتُ له مكاناً كهيئةِ الحفرة جعلته فيها ثمَّ غطته من ذلك التُّراب ، ثمَّ تشمَّتْ أعلى ذلك التُّراب وما ظهرَ منه ، فإنَّ وجدتْ شيئاً من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تزال كذلك حتَّى تعلم أنَّها قد أخفت المرئى والمشموم جميعاً . فإنَّ هي لم تجدْ تراباً خمشت وجهَ الأرض ، أو ظهرَ السُّطح ، حتَّى تبلغَ في الحفر المبلغ ، ومن ستر ذلك المجهود (٢) .

وزعم ناسٌ من الأطباءِ أن السَّنورَ يعرفُ وحده ریحَ رجعه ، فإنما يستره لمكان شمِّ الفأر له ، فإنها تفرُّ من (٣) تلك الرائحة . أو يُغْطيه لما يكون [فيه] من خلقٍ من أخلاق الأسد (٤) . [و (٥)] ما يشاكل فيه الأسد في الخلق ، على قدر ما يشاكله في الخلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

(١) قال الدميرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا ماها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميرى تبع في قوله ما في أمثال الميداني (١ : ٤٥١) في كلامه على « أعق من صب » ، ومثله لابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتَّى تبلغ غاية جهدها في ستر ذلك .

(٣) في الأصل : « إل » ، ووجهه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) في الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تنكئة يحتاج إليها الكلام .

(سُلَاحِ الدِّيكِ)

والدَّيْكُ لا تراه إلاَّ سالِحًا ، ثمَّ لا يتوقَّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فراشه ولا بساطه . هذا ، وحياتُه التُّراب ، ولذا^(١) يدفن نفسه فيه ، ويُدخله في أصولِ ريشه .

ثمَّ لا ترى سُلَاحًا أثنى من سُلَاحِهِ^(٢) ، لا يشبه ذَرَقَ الحمام ، وصوم النَّعام ، وجَعَرَ الكلب . ثمَّ مع ذلك لا تراه إلاَّ سائلًا رقيقًا . ولو كان مُدَحْرَجًا كأبعار الشاء والإبل والظباء ، أو متعلقًا^(٣) يابسًا كجَعَر^(٤) الكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لكان أهونَ في الجملة .

وقال أبو نُواسٍ في ديكٍ بعض أصحابه :

أذيتنا بديكِكَ السُّلَاحِ فنجنا من مُنتِنِ الأرواحِ^(٥)

(استخدام الخناقين للكلاب)

وقال صاحب الكلب : ومن مرافق الكلب أن الخناقين^(٦) يظاهر

بعضهم بعضًا ، فلا يكونون في البلاد إلاَّ معًا ، ولا يسافرون إلاَّ معًا ؛

(١) في الأصل : « ولم » .

(٢) في الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجو .

(٣) في الأصل : « ومتعلقا » .

(٤) في الأصل : « كبير » ، تحريف .

(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .

(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبي منصور الكسفي الذي كان قال لأصحابه : « في

نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطًا » . والمنصورية من الروافض ،

انظر خبرهم في عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان

أيضاً (٦) والمقد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود

في العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل في الفصل

(٤ : ١٨٥) .

فربّما استولوا على دربٍ بأسره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلاّ في طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإمّا بساتين ، وإما مزابلٌ وأشباهُ ذلك . وفي كلّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوفٌ وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمٌ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنساناً ضربَ النّساءُ بالدُفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلمُ فصاح بالصّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهلُ كلّ دارٍ بالدفوف والصنوج ، كما يفعل نساءُ أهلِ القرى ، وهيجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حماراً لما شعرَ بمكانه أحدٌ (١) ، كما كان ذلك بالرّقّة .

[انظر (٢)] كيف أخذوا أهلَ دَرَبٍ بأسره !! وذلك أن بعضهم رغب في ثوبٍ كان على حمال ، وفيه دريهمات معه ، فألقى الوهق (٣) في عنقه فغشى عليه ولم يمت ، وتحرك بطنه فأتى المتوضأً وتحرك الحمال والساجور (٤) في عنقه ، فرجعت نفس الحمال ، فلما لم يحسّ بأحدٍ عنده ، قصّد نحو باب الدار ، وخرج وزياره (٥) في عنقه ، وتلقته جماعته (٦) فأخبرهم الخبر ، وتصايح الناس فأخذوا عن آخرهم .

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتا .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : جبل مفتول يرى فيه أنشودة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشودة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتتحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع في عنق الكلب .

(٥) الزيار : - هو في الأصل - شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . وما أثبت

من س . وفي ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما في س .

(٦) في ط : « جماعة » وأثبت ما في س .

(بعض الخبر والشعر في الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهةً بذلك ، وفي غيرها من البلدان . فقال حمادُ
الرَّأويَةُ ، وذكر المرميَّين بالخنَّق من القبائل وأصحاب القبائل والنَّحْل ،
وكيف يصنع الخنَّاق ، وسمَّى بعضهم فقال :

إذا سرتَ في عَجَلٍ فسرُّ في صحابةٍ وكِنْدَةٌ فأخذزرها حِذارَكَ للخسْفِ
وفي شيعَةِ الأعمى زيار (١) وغِيلةٌ وقَشْبٌ وإعمالٌ لجنْدلة القَذْفِ (٢)
وكلُّهم شرُّ عَلى أنَّ رأسهم حميدةٌ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ (٣)
متى كنتَ في حَيٍّ بِجيلةٍ (٤) فاستمع فإنَّ لهم قَصْفًا يدلُّ على حَتْفِ (٥)
إذا اعترموا يوماً على خنقِ زائرٍ تداعَوْا عَلَيْهِ بالنُّباحِ وبالعرْفِ (٦)

(١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت
وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجنْدلة : واحدة
الجنْدل ، وهو الحجارة . وفي الأصل : « وأعمالٌ مخدلة القذف » ، وفي الحيوان
(٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمالٌ لجنْدلة القذف » ، وتصحيحه
من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رهوس الناس بالحجارة
وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) في الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليل الناعظية ،
ولها رياسة في العالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلي » هذه في البخلاء
(ص ٣١) . والكسف هو - كما سبق - أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت
الميلاء حاضنته . وفي الأصل : « والميلاء وصاحبة الكسف » وهو تحريف
صوابه في الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حيسى بجيلة » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين
المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المفيرة بجليا ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتا مديوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون للدقوف والطبول ويحدثون ضروبا
من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم في الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأما ذكره لبني عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بني عجل .
 وأما ذكره كندة ، فقد أنشدنا سفيان بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوي ١ :
 إذا ما سرَّك العيشُ فلا تأخذ على كنده (١)
 ومن كندة أبو قصبه (٢) أخذ بالكوفة وقتل وصلب .
 وكان بالكوفة ممن يأكل لحوم الناس عدية المدينة الصفراء (٣) . وكان
 بالبصرة رادويه صاحب قصاب رادويه .

وأما الأعمى في بني ضبة الذى ذكره فهو المغيرة بن سعيد صاحب ٩٨
 المغيرة ، وهم صنف ممن يعمل في الخنق بطريق المنصورية (٤) .
 والمغيرة هذا من موالى بجيلة ، وهو الخارج على خالد بن عبد الله
 القسري ، وعند ذلك قال خالد وهو على المنبر (٥) : أطعموني ماء !
 وفي ذلك يقول يحيى بن نوفل (٦) :

-
- (١) كذا في الأصل وعيون الأخبار . وفي الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .
 (٢) في الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنه » وفي عيون الأخبار : « أبو قطبة » .
 وفي البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » ، فلعله هو .
 (٣) في الأصل : « الصغرى » وأثبت ما في الجزء السادس من الحيوان .
 (٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسطة . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .
 (٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها
 صحيحة ، مثلها في الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال :
 أطعموني ماء » .
 (٦) في الأصل : « بجر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما في الجزء السادس من
 الحيوان والبيان في مواضع متعددة ، وقد قال يحيى في خالد - غير الشعر الآتى -
 (البيان ١ : ١١٢) .

بل للراويل من خوف ومن وهل واستطم الماء لما جد في الحرب
 وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق في الخطب
 ومن العجيب في أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبناء ، وهو كذلك من رماهم
 الناس باللحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعَمُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلِّتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجٍ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ كَبِيرٍ السَّنُّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ^(١)

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة في الغالية ، وهي ممن استجاب لليلي
السبائية^(٢) الناعضية^(٣) ، والميلاء^(٤) حاضنة أبي منصور^(٥) صاحب
المنصورية ، وهو الكسف . قالت الغالية : إِيَّاهُ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ . وقد ذكره
أبو السريِّ معدانُ الأعمى الشَّمِيطِيُّ^(٦) في قصيدته التي صنّف فيها الرافضة
ثمَّ الغالية ، وقدم الشَّمِيطِيُّ^(٧) عَلَى جَمِيعِ أَصْنَافِ الشَّيْعَةِ^(٨) ، فقال :

-
- (١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ في البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ :
١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثاني :
وكننت لدى المغيرة عير سوء تصول من الخافة للزبير
والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرة ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن
ذى بصر ضرير » .
- (٢) ط : « الشبابة » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائة وسبئية كما
في اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .
- (٣) في البخلاء ٣١ : « الباعضية » .
- (٤) في الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .
- (٥) في الأصل : « صاحبة أبي منصور » .
- (٦) في الأصل : « السميطي » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .
- (٧) الشميطة : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحمز بن شيط ،
وكان صاحب المختار ، وقد قتلها معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩
ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليبسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .
- (٨) قد روى الجاحظ في البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ،
وفي (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفي (٣ : ٣٥٦) ستة آخر .

إِنَّ ذَا الْكَيْسَفِ صَدَّ آلَ كُمْبِيلٍ وَكُمْبِيلٌ رَذُلٌ مِنَ الْأَرْذَالِ (١)
تركا بالعراق (٢) داءً دويًا ضلَّ فيه تَلَطَّفُ الْحَتَالِ
منهم جاعلُ الْعَسِيبِ إِمَامًا وَفَرِيقٌ يَرْضُ زَنْدَ الشَّمَالِ
وفريقٌ يَقُولُ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ عَلِيٍّ وَجُنْدُبٍ وَبِلَالٍ (٣)
وبراءٌ مِنَ الَّذِي سَلَّمَ الْأُمَّةَ رَ عَلَى قَدْرَةٍ بغير قتال (٤)
وفريقٌ يَدِينُ بِالنَّصِّ (٥) حَتْمًا وَفَرِيقٌ يَدِينُ بِالْإِهْمَالِ
لأنَّ الكُمبيليةَ لا تَجِيزُ الوَكَاةَ فِي الإِمَامَةِ ، وَتَقُولُ لِأَبَدٍ مِنْ إِمَامٍ صَامِتٍ
أَوْ نَاطِقٍ ، وَلَا بَدَّ مِنْ عِلْمٍ يَمُدُّ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْنَاقَهُمْ . وَأَبُو مَنْصُورٍ يَقُولُ
بِخِلَافِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَفِي شَيْعَةِ الْأَعْمَى زِيَارٌ (٦) وَغِيْلَةٌ وَقَشْبٌ وَإِعْمَالٌ الْجَنْدَلَةُ الْقَذْفِ (٧)

(١) فِي الْأَصْلِ : « زَوْلٌ مِنَ الْأَزْوَالِ » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ ، كَمَا فِي الْحَيَوَانَ (٦ : ٣٩١)
حَيْثُ أُعِيدَ هَذَا الشَّعْرُ . وَالرَّذُلُ : الدُّونُ الْخَسِيسُ . وَأَمَّا الزَّوْلُ فَهُوَ الْخَفِيفُ
الظَّرِيفُ الْفَطْنُ ، وَلَيْسَ هَذَا مَرَادًا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بِالْعَرَاءِ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْحَيَوَانَ .

(٣) جَنْدُبٌ هَذَا هُوَ ابْنُ زَهْرٍ بِنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مَعَ عَلِيٍّ بِصَفَيْنَ ، وَكَانَ عَلَى الرَّجَالَةِ
يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ هُوَ وَالْأَشْتَرُ أَقْوَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ فِي يَوْمِ الْجَمَلِ . انظُرْ
الإِصَابَةَ ١٢١٤ .

(٤) قَالُوا : إِنَّ عَلِيًّا كَفَرَ إِذْ سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عَمِرَ ثُمَّ عُثْمَانَ . (الْفَصْلُ
٤ : ١٨٣) .

(٥) النَّصُّ ، أَيْ النَّصُّ عَلَى الْإِمَامِ ، بِأَنَّ يَنْصُ كُلُّ إِمَامٍ عَلَى الْإِمَامِ الَّذِي يَخْلُفُهُ .
انظُرِ الْفَرْقَ ص ٤٥ . وَفِي الْأَصْلِ : « بِالنَّصْرِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَانظُرِ الْكَلَامَ عَلَى
(النَّصِّ) فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (١ : ٢٢٣) .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « زِيَادٌ » . وَانظُرِ التَّنْبِيهَ الْخَامِسَ مِنْ (ص ٢٦٥) .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « مَجْزَلَةُ الْقَذْفِ » . وَانظُرِ التَّنْبِيهَ الثَّانِيَّ مِنْ (ص ٢٦٦) .

فقد قال معدان :

حبشى وكافر سيبانى حربى وناسخ قتال^(١) ،
تلك تيمية وهاتيك صمت^(٢) ثم دين المغيرة المغتال
خنت مرة وشم بخار ثم رضخ بالجنديل المتوالى^(٤) ،
لأن من الخناقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمونه إذا جمع الخنق
والتشميم ، وحمل معه فى سفره حجرين مستديرين مُدْمَلَكَيْن وململمين
فإذا خلا برجلٍ من أهل الرُففة استدبره فرمى بأحدهما قَحْدُوته^(٥) ،
وكذلك إن كان ساجداً . فإن دمه الأول سلبه ، وإن هو رفع رأسه طبق
بالآخر وجهه . وكذلك إن ألقاه نائماً أو غافلاً .

ولقد صحب منهم ناسٌ رجلاً خرج من الرى ، وفى حقوه هميان^(٦) ،
فكان لا يفارق معظم الناس ، فلما رأوه قد قرب من مفريق الطريقين ،
ورأوا احتراسه ، وهم نزولٌ إما فى صحراء وإما فى بعض سطوح الخانات ،
والناس مُتَشَاغِلُونَ بِأُمُورِهِمْ ، فلم يشعرُ صاحبُ الهميان نهاراً والناس حوله
إلا والوهق^(٧) فى عنقه ، وطرحه الآخر حين ألقاه فى عنقه ، ووثب إليه
وجلس على صدره ، ومد الآخر برجليه وألقى عليه ثوباً وأذن فى أذنيه

(١) كذا . وفى البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبى » . والخشبية : فرقة
من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١ .

(٢) كذا .

(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما فى س .

(٤) انظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

(٥) القمحوة : الهنة الناشئة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا
الموضع قاتلة .

(٦) الهميان : وعاء للدرهم يشد إلى الوسط .

(٧) الوهق مر تفسيره فى (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعض أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجع ، فقالوا له : مكانك ؛ فإنه إن رآك حَجَلٍ واستحَى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمَّا خلَّوا به أخذوا ما أحبُّوا ، وتركوا ما أحبُّوا ، ثمَّ حملوه على أيديهم ، حتى إذا برزوا رموه في بعض الأودية .

(شعر أعشى همدان في السبئية)

وقد ذكر أعشى همدان السبئية^(١) وشأنهم في كرسى المختار^(٢) :

شهدتُ عليكم أنكم سبئية^(٣) وإني بكم يا سُرْطَةَ الكُفْرِ عارفٌ
وأقسمُ ما كرسيتكم بسكينةٍ وإن كان قد لُفَّتْ عليه اللفائفُ
وأن لبسَ التَّابُوتِ فُتْنًا وإن سمْتُ حمامٌ حوَالِيهِ وفيكم زخارف^(٤)
وإني امرؤٌ أحببتُ آلَ مُحَمَّدٍ وآثرتُ وحيًا ضُمَّنتَهُ المصاحِفُ

(١) في الأصل : « السبيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة . قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه ، وزعم أن الوحي ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبي عبيد الثقفي ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقاتلة من كيسان مولى علي وقد قام بشار الحسين بن علي وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكر بلاه . انظر أخباره وآراءه في الفرق بين الفرق (ص ٢٦ - ٢٧) والمثل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) في الأصل : « سبيلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات .

وإن شاكراً طافت به وتمسحت بأعواد ذاوٍ دبرت^(١) لا تساعف
ودانت به لابن الزبير رقابنا ولا غبن فيها أو تحز السوالف
وأحسب عقبها لآل محمد فينصر مظلوم ويأمن خائف
ويجمع ربي أمة قد تشنت^(٢) وهاجت حروب بينهم وحسائف
أبو عبيدة : الحسيفة^(٣) الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسه بيده ، إماماً لخوف المثلة ، وإماماً لخوف
التعذيب والهوان وطول الأسر .

١٠٠ وقد كان الحكم بن الطفيل ، أخو عامر بن الطفيل ، وأصحابه خنقوا
أنفسهم في بعض الأيام^(٤) ، فعبروا بذلك تعبيراً شديداً ، فقال خراشة
ابن عامر بن الطفيل :

وقدّتهم للموت ثم خذلتهم فلا وألت نفس عليك تحاذر^(٥)
فهل تبليغي عامراً إن لقيته أسليت عن سلمان أم أنت ذاكر

(١) كذا . وفي س : « بأعواد داود برت » .

(٢) ط : « تشنت » : وتصحيحه من س .

(٣) ط : « الحسيفة » ، وتصحيحه من س .

(٤) هو يوم ساحوق كما في الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر العقد

الفريد (٣ : ٣١٨) .

(٥) وألت : نجت .

فإن وراء الحى غزلان أيكه مضمخة آذانها والغدائر^(١)
وإنكم إذ تخنقون نفوسكم لكم تحت أظلال العضاة جرائر^(٢)
وقال عروة بن الورد في يوم ساحوق^(٣) ، ويذكر خنق الحكم بن الطفيل

وأصحابه أنفسهم ، فقال :

ونحن صبغنا عامراً في ديارها علالة أرماع وعصبا مذكراً^(٤)
بكل رقيق الشفرتين مهند ولدن من الخطى قد طر أسمراً^(٥)
عجبت لهم إذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم عند الوعى كان أعذراً^(٦)
يشد الحليم منهم عقد حبله^(٧) ألا إنما يأتي الذى كان حذراً^(٨)

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هو يوم لبنى ذيبان على بنى عامر . انظر تفصيله فى كامل ابن الأثير .

(٣) صبغهم علالة الأرماع : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماع . العضب المذكور : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما فى ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية فى الأخيرين « بكل رفاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطى : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته فى منبتها ويست فاكستبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا فى الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال فى خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرًا » .

(٦) فى الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليعجل خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتي الذى كان حذر منه وهو الموت . وفى الأصل : « ألا يأتي الأمر الذى كان أعذراً » ، وأثبت ما فى الديوان والخزانة .

(رثاء أبي زيد الطائي كلبا له)

وقال أبو زبيد^(١) في كلب له ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ،
حين حطمه^(٢) الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أخال أكدرٌ مختالا كعادته^(٣) حتى إذا كان بين الحوض والعطن^(٤)
لاقى لدى ثليل الأطواءِ داهيةً^(٥) أسرت وأكدرت تحت الليل في قرن^(٦)

(١) في الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زيد » كما في الأغاني (١١ : ٢٤)
ومعجم الأدياء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زيد الطائي . واسمه حرملة بن المنذر
وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعده في المخضمين ،
أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدفي
بجلسه . واشتهر أبو زيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده في ذلك ، وقد نعمته نعمتا
طويلا عجيبياً في مجلس عثمان (الأغاني ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت
قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف ما يروى في
أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد
ولا يقوم له . وفي الليلة التي قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج
ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى في اختيال ، والرواية في المعجم : « أحال أكدر مشيا لأكعادته »
وفي الأغاني : « أحال أكدر مشيا لأكعادته » . وفي البغال ٣١١ : « فجال أكدر
مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية في الأغاني والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل
حول الحوض .

(٥) الثلث : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع
طوى كغنى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغاني والمعجم
وفي الأصل : « لاقى الذي جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : سرت الدهية مع أكدر في قرن واحد ، والقرن : الخيل . وقد أثبت
رواية الأغاني والمعجم . وفي الأصل : « أشوت وأكدرت تحت الليل في قرن »

- حَطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ وَرَهَاءٌ تَطْرُدُهُ (١) حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْأَهْوَالِ فِي سَنَنِ (٢)
 إِلَى مُقَابِلِ خَطْوِ السَّاعِدِينَ (٣) لَهُ فَوْقَ السَّرَاةِ كَذِفْرَى الْقَارِحِ الْعَضِينِ (٤)
 رِيَالُ ظِلْمَاءٍ (٥) لَاقِحُمْ (٦) وَلَا ضَرَعٌ كَالْبِغْلِ خَطَّ بِهِ الْعَجْلَانُ فِي سَكَنِ (٧)
 فَأَسْرِيَا وَهَمَا سَنَّا هُمُومَهُمَا إِلَى عَرِينِ كُعُشٍّ الْأَرْمَلِ الْيَفَنِ (٨)
 هَذَا بِمَا عَلِقَتْ أَظْفَارُهُ بِهِمْ وَظَنَّ أَكْدَرَ غَيْرُ الْأَفْنِ وَالْحَتْنِ (٩)

(١) يقول: دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغاني : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة في معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغاني والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفي الأغاني : « في السنن » .

(٣) في الأغاني والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفي المعجم : « إلى مقابل قتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شيء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس في سن الخامسة . والرواية في الأغاني والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفي البغال : « الفالج الغضن » . والفالج : البعير ذو السنمين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمي » ، وصوابه في س . وبذله في الأغاني والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) في الأصل : « فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغاني والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادي :

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شِزْرِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَاقِحِمَا وَلَا ضَرَعَا

(٧) كَذَا . وفي البغال : « حطمن الخليلين في شطن » وفي المعجم « كالفيل يختطم الفحلين في شطن » . وفي الأغاني : « كالبغل يختطم العجلين في شطن » ! وإلى هنا تنتهي الرواية في الأغاني والمعجم .

(٨) فأسريا ، يئى الأسد والكلب . وسنا همومها : وجها همها . وفي س : « وهما مينا همومها » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « نهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحتن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفي الأصل : « الأمن والحسن » .

- حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْعِرْزَالَ وَانْتَبَهتَ لِحِسِّهِ أُمُّ أُجْرٍ سَتَّةٍ شُزْنِ (١)
 بَادٍ جِنَاحِئِهَا حِصَّاءٌ قَدْ أَفْلَتَ لَهْنٌ يَبْهَرُنُ تَعْبِيرًا عَلَى سَدْنِ (٢)
 وَظَنَّ أَكْدَرُ أَنْ تَمَوَّا ثَمَانِيَةَ أَنْ قَدْ تَجَلَّلَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالْيَمِينِ (٣)
 فَخَافَ عَزَّتَهُمْ لَمَّا دَنَا لَهُمْ فَحَاصٌ أَكْدَرُ مَشْفِيًّا مِنَ الْوَسَنِ (٤)
 بِأَرْبَعِ كُلِّهَا فِي الْخَلْقِ دَاهِيَةَ (٥) غُضِّفَ عَلَيْهِنَّ ضَافِي اللَّحْمِ وَاللَّبَنِ (٦)
 أَلْفَاهُ مَتَّخِذَ الْأَنْيَابِ جُنَّتَهُ وَكَانَ بِاللَّيْلِ وَلَا جَا إِلَى الْجَنَنِ

(رثاء أعرابي شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابيٌّ وأكل ذيبٌ شاةً له تسمى وردة ، وكُنيتُها أم (٧) الورد :

- (١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفي الأصل : « الغروال » ، تحريف . أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها البؤة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض . والشطر الثاني من البيت في ط : « لحسته أن إحدى سنه سدن » وفي س : « لحسته أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .
 (٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .
 (٣) يقول : قد حسب أكدر - تمام عدد هذه الفرائس ثمانية - أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمين : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود البنين . والبيت في الأصل هكذا :
 أتين أكدرا أن تموا ثمانية أن قد تحلل أهل البيت باليمين
 (٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .
 (٥) في هامش س : « آمنة » رواية في « داهية » .
 (٦) كذا .
 (٧) في الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما في الشعر الآتي .

أودى بوزدة أم الورد ذو عسل من الذئب إذا مراح أو بكرًا
لولا ابنها وسليلا لها غرر ما انفكت العين تدرى دمعها دررًا
كأما الذئب إذ يعدو على غنمي في الصبح طالب وتر كان فاترًا
اعتامها اعتامه شئن برائنه من الضواري اللواتي تقصم القصرًا (١)

قال : في هذا الشعر دليل أن الذئب إنما يعدو عليها مع الصبح ، عند
فتور الكلب عن النباح ؛ لأنه بات ليلته كلها دائباً يقظان يحرس ،
فلما جاء الصبح جاء وقت نوم الكلاب وما يعترها من النعاس . ثم لم
يدع (٢) الله على الذئب بأن يأكله الأسد حتى يختاره ويعتاهه ، إلا والأسد
يأكل الذئب ، ويختار ذلك . وإنما استطاب لحم (٣) الذئب بفضل شهوته
للحم الكلب .

(قول صاحب الديك في إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الديك : لم نر شريفاً قط أجازَ شاعراً بكلب ، ولا
حباً به زائراً ، [و] (٤) قد رأيتهم يجيزون للشعراء بالدجاج . وأعظم من

(١) سبق شرح هذه الأبيات في ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « لهم » .

(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ^(١) ، لما قال في افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبي صلى الله عليه وسلم :

رُمِيتْ نَطَاةُ^(٢) من النبيِّ بِفَيْلِقٍ شُهْبَاءِ ذَاتِ مَنَاكِبٍ وَفَقَّارِ^(٣)
وَهَبَ لَهُ دَجَاجَ خَيْبَرَ عَنْ آخِرِهَا . رواه أبو عمرو^(٤) ، والمدائني
عن صالح بن كيسان ، ولتلك الدَّجَاجِ قِيلَ : لقيم الدَّجَاجِ .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كان إياسُ بنُ معاويةَ
وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميماً^(٥) ، وكان له أخٌ أشدُّ حركةً منه وأقوى ،
فكان معاويةُ [أبوه]^(٦) يقدمه على إياس ، فقال له إياسُ يوماً : يا أبتِ !
[إنك]^(٧) تقدّم أخى علىّ ، وسأضربُ لك مثلي ومثله : هو مثل الفرّوج

(١) في السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم » . وقد نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧٥٥٤
كلام الجاحظ في « لقيم » وقال في تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان :
« فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه
« لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفي الإصابة « مطاة » وصوابها ما أثبت من س والسيرة ، وهي
اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما في المعجم .

(٣) وصف الفيلق - وهو مذكر - بشهباء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة .
والشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة في السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيباني ،
كما في الإصابة .

(٥) س : « دميماً » ، والأشبه ما في ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ فقلا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نفسه^(١) ، يلتقط ، ويستخفه الناس ، وكلما كبر انتقص ، حتى إذا تم فصار دجاجة ، لم يصلح إلا للذبح . وأنا مثل فرخ الحمام حين تنفلق عنه البيضة عن ساقط لا يقدر على حركة ، فأبواه يغذوانه حتى يقوى ويثبت^(٢) ريشه ، ١٠٢ ثم يحسن بعد ذلك ويطير ، فيجد به الناس^(٣) ويكرموه ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجىء ، فيصان لذلك ويكرم ، [ويشتري بالأثمان الغالية^(٤)] . فقال أبوه : لتمد أحسنت المثل !! فقدمه على أخيه ، فوجد عنده أكثر مما كان يظن فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياس في هذا القول بعض مصالحي^(٥) الدجاج ، وذلك أن الدجاج من لدن^(٦) يخرج من حد الصغر والكيس إلى أن يدخل في حد الكبر واحتمال اللحم والشحم ، يكون أخبث حالاً لأنه لا يصلح فيه للذبح ، وقد خرج من حد الكيس والاستملاح .

وإياس هو الذي يقول : لست بنجب^(٧) والخب لا يخدعني ، ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبي ويخدع الحسن .

(١) في الأصل : « يخرج كافياً بنفسه » ، وأثبت ما في الثمار .

(٢) في الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .

(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفي س : « فيجده الناس » . وفي الثمار :

« ويتخفونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .

(٤) من الثمار .

(٥) كذا

(٦) في الأصل : « من له أن » .

(٧) الخب ، بالكسر : الذي يخدع الناس . والخبر في الليان (١ : ١٠١) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرَجُ المرأة والجمع فُرُوج ، وهو القُبْل ، والفَرَجُ كِنَايَةٌ ، والاسم الحِرُّ ، وجمعه أحرّاح . وقال الفرزدق :

لئن أقرودٌ جملاً بمراحاً في قُبَّةٍ مُوقرةٍ أحرّاحاً^(١)
قالوا : وإنما جمعه على أحرّاح ، لأنَّ الواحد حِرْح^(٢) . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قال الشاعر^(٣) :

تراها الضَّبِيعُ أعظَمهنَّ رأساً جِراهِمةً لها حِرَّةٌ وثيلٌ^(٤)
فلم يرض الاستعارة حتَّى ألحق فيها الماء .

وهو الكعْثَبُ ، وقال الفرزدق :

إذا بطِحت فوق الأثانِ في رَفَعنها^(٥) بثديين مع نحر كريمٍ وكعْثَبِ
وقال الأغلِب^(٦) :

(١) في اللسان (حرح) : « ذاقبة » ، وفي أمالي ابن الشجرى (٢ : ٣٨) : « وقد أقرود ... ذاقبة علوة » .

(٢) انظر في اللسان تصريف هذه الكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما في اللسان (جرهم) .

(٤) عنى بالجراهمة للضخمة الثقيلة . وقوله : « لها حرة وثيل » عنى به ما يزعمون من أن كل ضبيع خنثى . اللسان .

(٥) س : « رفعتها » . وانظر ديوان المعاني ١ : ٢٨١ والعقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأغلِب بن جشم بن سعد العجلي ، من رجاز العرب ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بنهاوند . قالوا : وهو أول من أطال الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز ، إذا فاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مقتخراً :
إنى أنا الأغلِب أضحى قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره في الأغاني (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

* حَيَاكَةَ عَنْ كَعْتَبٍ لَمْ يُصْمِحْ ^(١) *

وهو الأجم ^(٢) ، وقال الرَّاجِز :

[جارية أعظمها أجمها قد سمَّتها بالسَّويق أمها ^(٣)]

* بَائِنَةُ الرَّجُلِ فَا تَضَمُّهَا *

وقال : وقد يسمَّى الشُّكْرُ ، بفتح الشَّينِ وإسكان الكاف ،

وأنشدوا :

وكنْتَ كليلَةَ الشَّيبَاءِ هَبَّتْ بِمَنْعِ الشُّكْرِ أَتَامَهَا الْقَبِيلُ ^(٤)

[أتَامها ^(٣)] : أفضاها . وأمَّا قوله :

قد أقبلتْ عَمْرَةٌ مِنْ عِرَاقِهَا مُلْصَقَةَ السَّرَجِ بِحَاقِ بَاقِهَا

قال : وهو إن أرادَ الحِرْفَليسَ ذلكَ من أسماءه ، ولكنَّه سمَّاه بذلك ١٠٣

على المزاج .

(١) امرأة حياكة تحكيك في مشيها ، تمشي مفرجة ما بين رجلها . ويصح من الصحاح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخم » وفي سائر النسخ : « الأحم » ، صوابه بالجيم كما في اللسان (جم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هي في الأصل « أجمها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما في اللسان (شيب وتأم) ولم أجده في ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افتقرت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفتقر في تلك الليلة . وفي الأصل : « الشيباء » وهو تحريف صوابه في اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل في الميدان (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفي اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والنَّظْبِيَّةُ اسمُ النَّفْرَجِ مِنَ الحَافِرِ ، والجمعُ النَّظْبِيَّاتُ . وقد استعاره أبو الأحرز^(١) فجعله لِلْحَفِّ فقال :

سَاوَرَهَا عِنْدَ الْقُرْوِءِ الوَحْمِ فِي الأَرْضِ ذَاتِ الظُّبْيَاتِ الجَحْمِ
وقد قال الأوَّلُ :

فجاءَ بَغْرَمُولٍ وفلكٌ مُدْمَلِكٌ فَحَرَّقَ ظَبْيَيْهَا الحِصَانُ المُشْبِقُ
وهو من الظَّلْفِ والحُفِّ الحِيا ، والجمعُ أَحْيِيَّةٌ . وهو من السَّبْعِ ثَقْرٌ ،
وقد استعاره الأَخْطَلُ لِلظَّلْفِ فقال :

جَزَى اللهُ عَنَّا^(٢) الأَعْوَرَيْنِ مَلَامَةً وعَبَلَةٌ^(٣) ثَقْرُ الثَّوْرَةِ المُتَضَاجِمِ^(٤)

فلم يَرْضَ أَنْ استعاره من السَّبْعِ للبقرة حتى جعل البقرة ثورة .
وقد استعاره النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ لِلحَافِرِ ، كما استعاره الأَخْطَلُ
لِلظَّلْفِ ، فقال :

بُرَيْذِنَةٌ بَلَّ البَرَاذِينَ^(٥) ثَقْرَهَا وقد شَرِبْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُيْلًا

(١) ط : « الأحرز » س « الأحرز » وصوابه ما أثبت . وهو أبو الأحرز الحنفي ، أحد رجاز العرب ، واسمه (قتيبة) كما في اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليسك والثعالبي في فقه اللغة ٧٦ : « فيها » .

(٣) في الكامل : « عبلة » وفي فقه اللغة واللسان - مادة ضجم - « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما في اللسان : وقال أبو الحسن في شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفي الأصل : « المتضاجم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « بريذنة » مصغر « بردونة » تصغير ترخيم . ويروى « بريذينة » كما في اللسان . وفي س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلًا » . والبيت يقولُه النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ في هجاء ليلي الأخييلية ، وقبله :

أَلَا يَا أَزْجَرَ لَيْلٍ وَقَوْلًا لَهَا هَلَا وقد ركبتُ أَمْرًا أَغْرَ مَحْجَلًا

وقد قالوا برذونة ، وقال الراجز :

تَرْحَاحِي إِلَيْكَ يَا بَرْدُونَهُ إِنَّ الْبَرَادِينَ إِذَا جَرَيْنَهُ (١)
* مَعَ الْجِيَادِ سَاعَةً أَعْيَيْنَهُ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلَهُ لِلنَّعْجَةِ فَقَالَ :

وَمَا عَمْرُو إِلَّا نَعْجَةٌ سَاحِيسِيَّةٌ (٢) تَحْرَكُ تَحْتَ الْكَبْشِ وَالثَّمَرُ وَارِمُ
وَالسَّاحِيسِيَّةُ (٣) : ضَانٌ فِي تَغْلِبِ .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نَحْنُ بَنُو عَمْرَةَ فِي انْتِسَابِ بِنْتِ سُؤَيْدِ أَكْرَمِ الضُّبَابِ (٤)
* جِلْدَتْنَا مِنْ ثَفْرِهَا الْمِنْجَابِ (٥) *

ويقال لجردان الحمار غرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيب البعير ،
وهو لكل شيء ، ومقلم الجمل فقط . ومن السباع العقدة (٦) ، وأصله للكلب
والذئب . وقال جرير :

إِذَا رَوَيْنَ عَلَيَّ الْخَزِيرَ مِنْ سَكْرِ نَادِينَ يَا عَظْمَ الْقَسِينِ جُرْدَانَا (٧)
ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصر وفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

(١) الرجز في البغال ٣٤١ .

(٢) في الأصل « شاحسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجن و ثفر)
والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت في اللسان (ثفر) برواية « تخزل تحت
الكبش والثمر وارد » .

(٣) في الأصل : « والشاحسية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ،
وحسيل . العقدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) :
« جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفي القاموس عند تفسير
« العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا في الأمثال: « لا أفعلُ حتىَّ ينامَ ظالِعُ الكلابِ » أى الصارف .
ولم يعرف الأصمعيُّ ظلمت الكلبة بمعنى صرّفت . واستحرمت ،
وأجعلت^(١) واستجعلت ، واستطارت^(٢) . والذئبة في ذلك كالكلبة .
قال : ويقال في السباع : قد وَضَعَتْ ، وولّدت ، ورمصت^(٣) مثل
ما يقال للناس والغم .

(بحث في المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال : ويقال كلبة و كلب^(٤) ، وذئبة وذئب ، وبرذون
وبرذونة . وأنشد :

= رؤساء النصارى في الدين والعلم . والبيت من قصيدة لجرير ، مطلعها :
بان الخليل ولو طوعت مسايانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
يهجوها الأخطل . وقيل البيت :

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفغن إلى الدينين تحننا

(١) في ط : « جعلت » ، وهى على الصواب في س .
(٢) يقال « استطارت » كما يقال « استظارت » . وفى اللسان (طير) :
« ويقال أ جعلت الكلبة ، واستطارت ، إذا أرادت الفحل » . وفى مادة
(ظار) - : « قال أبو منصور : قرأت فى بعض الكتب استظارت الكلبة بالظاء أى
أ جعلت واستحرمت » .

(٣) فى الأصل : « رمصت » والصواب ما أثبت . وفى القاموس : رمصت السباع :
ولدت . انظر مادة (رمص) . واست تجده هذه الكلمة بهذا المعنى فى اللسان .

(٤) فى الأصل : « ويقال فى السباع كلبة و كلب » . الخ . وكلمتا « فى السباع »
من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها .

أَرَيْتَ إِذَا مَا جَالَتْ الْخَيْلُ جَوْلَةً وَأَنْتَ عَلَى بَرْدَوْنَةٍ غَيْرِ طَائِلٍ (١)
 ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمع من واحدتها . ويقال
 بعير وناقدة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ
 وشيخة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة (٢) ويقال
 أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب (٣) ، وقال الشاعر :
 كَأَنَّهَا ضِبْعَانَةٌ فِي مَفَازَةٍ وَذَيْبَةٌ مَحَلٌّ أُمُّ جِرْوَيْنِ تَعْسَلُ (٤)
 ويقال إنسان وإنسانة ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ،
 وسرحان وسرحانة ، وسيد وسيدة ، وهقل وهقلة ، وإلق وإلقة (٥) ،
 وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجَدَّتْ إِلْقَةً مِنَ الْإِلْقِ (٦) *

وزعم أنه يقال ضبع وضبعة ، وتعلب وتعلبة . وأصحابنا لا يقولون هذا
 ويضحكون ممن يقولون : ضبعة عرجاء . ويقال ثرملة (٧) .

-
- (١) أريت بمعنى أرايت . وفي س « أرايت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه
 في ط . ورواية اللسان : (بردن) « رأيتك إذ جالت » . وفي البغال ٣٤١ :
 « أريتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .
 (٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسد » في مادتي (لبأ ، ولبو) .
 (٣) في الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى .
 واللبوة مخففة من اللبوة بالهمز .
 (٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفي ط « مغارة » موضع « مفازة »
 وفي س « غسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب في عدوها وتهز
 رأسها . وأما « غسل » فهو مصحف « عنسل » وهو في الأصل الناقدة
 القوية السريعة .
 (٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . وأهقل بالكسر : الفتي من النعام .
 وفي الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .
 (٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكري ص ٣٣ .
 (٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وفرخة ، ومن النور نمر ونمرة . قال : ويقال
ذِيخٌ وَذِيحَةٌ^(١) ، وَضِبَعَانٌ وَضِبْعَانَةٌ ، وَجِيَالٌ وَجِيَالَةٌ^(٢) . ويقال عقرب
وَعَقْرَبَةٌ . وَالْعُقْرُبَانُ الذِّكْرُ وَحَدَهُ . وقال الشاعر^(٣) :

كَأَنَّ مَرَعَى أُمَّكُمْ إِذْ غَدَتُ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانٌ^(٤)

ومن الضفادع ضفدع وضفدعة ، ومن الثنافذ قنفذ وقنفذة ، وشيهم^(٥)
وشيهمة^(٥) ، ومن القروود قرد وقردة .

ويقال إلقة وإلقة^(٦) ، ولا يقال إلق وقش ، ويقال لولد القرد ربّاح
والأنثى إلقة . وقال الشاعر^(٧) :

وإِلْقَةَ تُرغِثُ رَبَّاحَهَا وَالسَّهْلُ وَالنَّوْفَلُ وَالنَّضْرُ^(٨)

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما في معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائي كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحجاسة (٢ : ٢٠٢)
واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما في اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت »
هي في الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى
« إذ بدت » كما في اللسان والحجاسة . ويروى : « سوءة » كما في الحيوان
(٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفي شولها وخز أليم مثل وخز السنان
كل عدو يتقى مقبلا وأمكم سورتها بالعجان

(٥) الشيهم : العظيم من الثنافذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القروود .

(٧) هو بشر بن المعتمر . وستائق قصيدة البيت في (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضع . وهي في ط : « نزعت » وفي س : « نزغت » وهما
محرقتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر .
والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هي في الأصل « النمر » وتصحيحها من
اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

ومن النعام هِقل وَهِقلة^(١) ، وهَيْق وهَيْقَةٌ^(٢) ، وصَعَل وصَعلة^(٣) ،
 وسَفْنَج وسَفْنَجَةٌ^(٤) ، ونَعَامٌ ونَعامة^(٥) ، والواحد من فراخها الرأل والجمع رئال
 [ورئلان^(٦)] وأرآل^(٧) وأرؤل ، والأُنثى رألة ، وحفانَةٌ والجمع حَفَّان ، وقد
 يكون الحَفَّان^(٨) أيضاً للواحد . ويقال لها قِلاص والواحدة قلوَص^(٩) ولا يقال
 قلوَصة ، ويقال ظليم ولا يقال ظَلِيمة ، ويقال نِقْنِق ولا يقال نِقْنِقة^(١٠) . ١٠٥
 ويقال من الأرنب أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُرَز . ويقال للأُنثى
 عِكْرِشة ولولدها خِرْنِق . ويقال هذه أرنب وهذه عقاب ، ولا يقال هذا
 الأرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّامخ :
 فما تنفكُ بين عُوَيْرِضَاتٍ تَجْرُ برَأْسِ عِكْرِشَةٍ زُمُوعٍ^(١١)

(١) انظر التنبية رقم (٦) من ص ٢٨٥ .

(٢) هما بمعنى سابقتهما .

(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .

(٤) السفنج : الخفيف من النعام .

(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما في القاموس .

(٦) الزيادة من س . ومثله في القاموس والدميري واللسان .

(٧) ط : « رأل » وتصحيحه من س .

(٨) وردت هذه الكلمة وأختها بالقاف في ط ، وصوابه بالفاء كما في س .

(٩) القلوَص يقال للإبل كما يقال للنعام .

(١٠) النقنق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفي الأصل : « ويقال نقيق ولا يقال نقيقة »

وهو تصحيف ما أثبت .

(١١) يصف عقابا تقتنص الأرناب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت في أرجلها

الزمرعات : شعرات في مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهي لاتكون إلا بين اثنين

أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحي ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى

الملاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جرؤً والأنثى جروة ، وهو درُص والجمع أدراص ، ويقال لمن عضه الكلبُ الكَلْبُ : بال كَأدراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر ، وقد يعرض شبيهه بذلك لكثيرٍ من السباع .

(استطراد لغوي)

ويقال بصبص الجرؤ وفقح^(١) وجصص ، إذا فتح عينه شيئاً . وصاصاً إذا لم يفتح عينه^(٢) . ولذلك قال عبد الله بن جحش^(٣) ، والسَّكران ابن عمرو^(٤) ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إنا فححنا وصاصأتم^(٥) » . قال بعض الرُّجَاز^(٦) في بعض الصِّبيان :

-
- (١) ط : « وفتح » وصوابه في س .
(٢) في القاموس : « صاصاً الجرؤ : حرك عينه قبل التفتيح أو كاد يفتحهما » .
(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبيد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله في الإصابة . وقد تزوج الرسول أختها زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه .
(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .
(٥) انظر اللسان (صاصاً) ومقاييس اللغة (صاً) .
(٦) ط : « ثم قال بعض الرُّجَاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفي الأغاني (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآتي هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه - أي ضيق عينيه - وفي الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقْبَحَ بِهِ مِنْ وَلَدٍ وَأَشْقَحَ . مَثَلُ جُرَى الْكَلْبِ لَمْ يَفْقَحْ (١)
إِنْ يَسْرِ سَارٍ لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحْ (٢) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتَحِ .

ويقال لولد الأسد جرو وأجراء وجراء ، وهي لجميع السباع ، ويقال له
خاصةً : شِبَالٌ . والجمع أشبال وشبول . وقال زهير :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّجِهُهُ الدُّ أَبْطَالٌ مِنْ لَيْثِ أَبِي أَجْرٍ (٣)

(خُبث الثعلب)

وحدثنى صديقٌ لى قال : تعجَّبَ أخٌ لنا من خُبث الثعلب ، وكان
صاحبَ قنص ، وقال لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب
والكلاب ، فيحتال للكلاب بما يعلم أنه يجوز عليه ، ولا يحتال مثل تلك
الحيلة للكلب ؛ لأن الكلب لا يخفى عليه الميت من المعشى عليه . ولا ينفع
عنده التماوت : ولذلك لا يُحمل من مات من الجوس إلى النار (٤) حتى يُدنى
منه كلبٌ ؛ لأنه لا يخفى عليه مغمور الحسِّ أحيُّ هو أو ميت (٥) . وللكلب عند
ذلك عملٌ يستدلُّ به الجوس .

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغاني والحيوان (١ : ٢٤٤) .

(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان
الروى أو كسره .

(٣) أجر : جمع جرو .

(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناوس » ، بمعنى القبر .

(٥) ط : « أهوى أو ميت » وأثبت ما فى س .

قال : وذلك أُنِّي هَجَمْتُ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي مَضِيَّتِي ، وَمَعِيَ بُنْيٌ لِي ، فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ مُتَفَخِّحٌ ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ لَحِقْتَنِي الْكِلَابُ ، فَلَمَّا أَحْسَسَّ بِهَا وَثَبَ كَالْبَرْقِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَايَدَ^(١) عَنِ السَّنَنِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَإِذَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَلْقَى وَيَنْفَخَ خَوَاصِرَهُ وَيَرْفَعُ قَوَائِمَهُ ، فَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْذُ دَهْرٍ ، وَقَدْ تَرَكَّرَ بِالِانْتِفَاحِ بَدَنُهُ ، فَكَانَتْ تُعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ^(٢) ، إِذْ^(٣) مَرَرْتُ فِي الزُّقَاقِ الَّذِي فِي أَصْلِ دَارِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْفَذَهُ إِلَى مَازَنَ ، فَإِذَا جَرَوْا كَلْبًا مَهْزُولًا سَبِيًّا الْغِذَاءِ ، قَدْ ضَرَبَهُ الصَّبِيَّانِ وَعَقَرُوهُ فَفَرَّ مِنْهُمُ وَدَخَلَ الزُّقَاقَ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي أَصْلِ أُسْطُوَانَةٍ^(٤) وَتَبِعُوهُ حَتَّى هَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَمَاوَتَ^(٥) فَضْرَبُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَانْصَرَفُوا عَنْهُ . فَلَمَّا جَاوَزُوا تَأَمَّلْتُ عَيْنَهُ فَإِذَا هُوَ يَفْتَحُهَا وَيُغْمِضُهَا ، فَلَمَّا بَعُدُوا عَنْهُ وَأَمِنَهُمْ عَدَا ، وَأَخَذَ فِي غَيْرِ طَرِيقِهِمْ فَأَذْهَبَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِي لِلثَّعْلَبِ ؛ إِذْ كَانَ الثَّعْلَبُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الرَّوَّغَانُ وَالْمَكْرُ ، وَقَدْ سَاوَاهُ الْكَلْبُ فِي أَجُودِ حَيْلِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَايَرٌ » .

(٢) تَزَكَّرَ : عَظُمَ . وَفِي ط : « وَقَدْ أَتَذَكَّرَ انْتِفَاحَ بَدَنِهِ فَاتَمَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ » وَأُثْبِتَ مَا فِي س .

(٣) ط : « إِذَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أُسْطُوَانَةٌ » ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالسِّنِّ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « تَمَرَدٌ » وَوَجْهُهُ مَا أُثْبِتَ .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعد ما ليس معه ، إلا أن يُفخَّر بفروته (١) في موضع انتفاع
الناس به ؛ فجعُر الكلب للذُّبجة أنفع منه ، إذ كان في الذُّبجة الموت وليس
يقوم مقامه شيء . وجلد الثعلب منه عَوَض (٢) .

(قول صاحب الديك في الكلاب)

قال صاحب الديك : شَرَّارَ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ قَتَلَ أَوْلَادَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولم نجد شعراء الناس شَبَّهُوا أَوْلَادَكَ الْقَاتِلِينَ بِشَيْءٍ سِوَى
الْكِلَابِ . قال أبو نضلة الأَبَّار ، في قتل سلم بن أحوز المازني ، صاحب
شرطة نَصْرِ بْنِ سَيَّارِ اللَّيْثِيِّ ، يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ (٣) وَأَصْحَابِهِ ، فقال :

ألم تَرَلَيْتَ مَا الَّذِي خَتَمَتْ بِهِ لَهَا الْوَيْلُ فِي سُلْطَانِهَا الْمُتَخَاذِلِ (٤)
كِلَابٌ تَعَاوَتْ لَاهِدَى اللَّهِ سُبُلَهَا فَجَاءَتْ بِصَيْدٍ لَا يَحِلُّ لَأَكْلِ (٥)
بِنَفْسِي وَأَهْلِي فَاطْمَى تَقَنَّصُوا زَمَانَ عَمِّي مِنْ أُمَّةٍ وَتَخَاذَلْ
لَقَدْ كَشَفْتَ لِلنَّاسِ لَيْثٌ عَنْ اسْتِهَا وَغَابَ قَبِيلُ الْحَقِّ دُونَ الْقَبَائِلِ

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلده غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، نار على بني مروان
وقتل في الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه
قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ،
فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتل العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحن غلمان إلا الكلاب .

(التماضر بالبيض)

وذكر محمد بن عجلان المدني^(١) عن زيد بن أسلم^(٢) ، أنه كان لا يرى بأساً بالبيض الذي يتماضر به الفتيان ، أن يهدى إليه منه شيء أو يشتريه فيأكله .

وهشام بن حسان^(٣) قال : سئل الحسن عن البيض يلعب به الصبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم ير به بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذي يلعب به الصبيان .

وحاتم بن إسماعيل الكوفي^(٤) قال : حدثنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه لم يكن يرى بأساً بالبيض الذي يلعب به الصبيان .

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائني » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدني . ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أي ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفي النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت في معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدني ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القردوسي ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبي عروبة والحدادان والسفيانان . توفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحَدَّثني ابن جُريج قال ، وأخبرني عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرني أبو الطفيل أنه سمع عليَّ بنَ أبي طالب يقول : اقتلوا [من]^(١)
الحيات ذا الطُّفَيْتَيْن^(٢) ، والكلبَ الأسودَ البهيمَ ذا الغُرَّتَيْن^(٣) .
قال : والغُرَّةُ^(٤) : حُوَّةٌ تكون بعينه^(٥) .

(قول صاحب الكلب في صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرني أبو حرب عن منصور القصاب ،
قال : سألت الحسن عن البيض الذي يتقامرون به ، فكرهه .
وما رأينا قطُّ أحدًا يريد الإدلاجَ ينتظر صُقَاعَ الديك^(٦) . وإنما
يوالى الديك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أن ينسط النهار ؛
وفيما بين الفجر وامتدادِ النهار لا يحتاج النَّاسُ إلى الاستدلال بأنَّ يصوِّت
الديك^(٧) . ولها في الأسحار أيضاً باللَّيل الصَّيْحَةُ والصَّيْحَتَانِ ، وكذلك

(١) زيادة يقتضيه الكلام .

(٢) الطفيتان : خطان أسودان في ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) في الأصل : « الغزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما في النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) في الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) في النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الإدلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أي سار من آخر الليل ، وهو

المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً .

وصقاع الديك : صياحه .

(٧) في الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أَنَّ الحِمَارَ أَبْعَدُ صَوْتًا ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَنْبَهُ كُلُّ نَائِمٍ لِحَاجَةِ إِنْ كَانَتْ لَهُ (١) . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يَسْتَعْمَلُهُ (٢) ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتسكّل في وقتِ أَذَانِهِ عَلَى صِيَاحِ الدِّيكِ ، لِأَنَّ صَوْرَةَ صَوْتِهِ وَمَقْدَارَ مَخْرَجِهِ فِي السَّحَرِ الأَكْبَرِ كصِيَاحِهِ قَبْلَ الفَجْرِ . وصِيَاحُهُ قَبْلَ الفَجْرِ ؛ كصِيَاحِهِ وَقَدْ نَوَّرَ الفَجْرُ وَقَدْ أَضَاءَ النِّهَارُ . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كَانَ لعمري ذلك دليلاً . وَلَكِنَّهُ مَنْ سَمِعَ هُتَافَهُ وَصُقَاعَهُ فَأَيُّمَا يَفْزَعُ إِلَى مَوَاضِعِ الكَوَاكِبِ ، وَإِلَى مَطْلَعِ الفَجْرِ الكَاذِبِ وَالصَّادِقِ .

والديك له عِدَّةٌ أَصْوَاتٍ بِالنَّهَارِ لَا يَغَادِرُ مِنْهَا شَيْئًا ، وَلَتلك أَوْقَاتٌ لَا يَحْتَاجُ فِيهَا النَّاسُ إِلَيْهِ . وَمَلَوْ كُنَّا وَعِلْمَاؤُنَا يَسْتَعْمَلُونَ بِالنَّهَارِ الأَسْطُرلابات (٣) وَبِاللَّيْلِ البَنَكَامات (٤) ، وَلَهُمْ بِالنَّهَارِ سِوَى الأَسْطُرلابات (٥) خَطُوطٌ وَظُلٌّ يَعْرِفُونَ بِهِ مَاضِيَّ مِنَ النَّهَارِ وَمَا بَقِيَ . وَرَأَيْنَاهُمْ يَتَفَقَّدُونَ المَطَالِعَ وَالمَجَارِيَّ . وَرَأَيْنَا أَصْحَابَ البَسَاتِينِ [و] (٦) كُلِّ مَنْ كَانَ بِقُرْبِ الرِّيَاضِ ، يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِرِيحِ الأَزْهَارِ . وَرَأَيْنَا الرُّومَ وَنَصَارَى القُرَى يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِمَحْرَكَاتِ الخِنَازِيرِ وَبِبُكُورِهَا وَعِدْوِهَا وَأَصْوَاتِهَا ؛ وَلذلك قَالُوا فِي وَصْفِ الرَّجُلِ : لَهُ

(١) فِي الأَصْلِ : « وَأَجْدَرُ عَلَى أَنْ يَنْبَهُ » الخ . وَالوجه حَذْفُ « عَلَى » .

(٢) أَرَادَ بِصَاحِبِ السَّحُورِ مَنْ يَتَكَفَّلُ لِإِقَاطِ النَّاسِ لِلسَّحُورِ .

(٣) مَرِ القَوْلِ فِي الأَسْطُرلاب ص ٢٥٥ مِنْ هَذَا الجِزءِ . وَفِي س : « الأَصْطُرلاب » .

(٤) فِي الأَصْلِ : « المَنْكَبات » . وَانظُرِ الاستِدْرَاكاتِ .

(٥) فِي الأَصْلِ : « الأَصْطُرلابات » .

(٦) زِدْتِهَا لِحَاجَةِ القَوْلِ إِلَيْهَا .

وَثْبَةُ الْأَسَدِ ، وَرَوَّعَانَ الثَّعْلَبِ ، وَانْسِلَابَ الذَّنْبِ^(١) وَجَمْعَ الذَّرَّةِ^(٢) وَبُكُورَ
الْحَنَزِيرِ . وَالرَّاعَى يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي بُكُورِ الْإِبِلِ وَفِي حَنِينِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ أَمْرِهَا .

وَاللَّحْمَامُ أَوْقَاتُ صِيَاخٍ وَدُعَاءٍ مَعَ الصُّبْحِ وَقَبِيلَ ذَلِكَ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّ النَّاسَ إِتْمَا ذَكَرُوا ذَلِكَ فِي الدِّيَكِ وَالْحِمَارِ ، لِامْتِدَادِ أَصْوَاتِهِمَا .

(هَدِيلُ الْحَمَامِ)

وَهَدِيلُ الْحَمَامِ وَدُعَاؤُهُ لَا يَجُوزُ بَعِيداً^(٣) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْوَرَاثِينَ^(٤)
وَالفَوَاحِشِ فِي رُمُوسِ النَّخْلِ وَأَعَالَى الْأَشْجَارِ ، فَلَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ لَمَّا يُسْمَعُ ١٠٨
مِنْ مَوْضِعٍ صَالِحِ الْبَعْدِ .

(مَا يَصِيحُ مِنَ الطَّيْرِ مَعَ الْفَجْرِ وَالصُّبْحِ)

وَاللِّعَاصِفِ وَالنَّخَطَاتِيفِ وَعَامَّةِ الطَّيْرِ ، مِمَّا يَصْفِرُ أَوْ يُصْرِصِرُ^(٥) ، وَمِمَّا
يَهْدِلُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى بُعِيدِ ذَلِكَ - صِيَاخٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ الَّذِي لَا يَدْعُ الصِّيَاخَ

(١) انسلاب الذنب : انفلاته وسرعة عدوه . وفي س : « استلاب الذنب » من السلب
بمعنى النهب ، وهو الموافق لما في الجزء الأول ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « للذر » . والذرة : الواحدة من الذر ، وهن ضرب من التمل أحمر صغير .

(٣) لا يجوز بعيداً : لا ينتهي إلى مدى بعيد .

(٤) الوراثين : جمع ورشان ، وهو ضرب من الحمام . وفي ط : « الوراثين » وهو
على الصواب في س .

(٥) في اللسان : « صرصر الطائر : صوت . وخص بعضهم به البازي والصقر » .

في الأسحار مع الصُّبْحِ أبدأ الضُّوع^(١) ، والصدى^(٢) ، والهامة ، والبومة وهذا
الشكل من الطير . وقد كتبنا في غير هذا الموضع الأشعار في ذلك^(٣) .
قال : وقد يصيح مع الصُّبْحِ البوم ، والصدى^(٢) والهامة ، والضُّوع^(١)
والخطاطيف ، والعصافير ، والحمر^(٤) في ذلك الوقت أكثر من الدِّيكة .
قال الوليد بن يزيد في ذلك :

سُلَيْمِي تَيْكَ^(٥) فِي الْعَيْرِ قَفِي إِنَّ شَتَّ أَوْ سِيرِي
فَلَمَّا أَنْ دَنَا الصُّبْحُ بِأَصْوَاتِ الْعَصَافِيرِ
وَقَالَ كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو الْعَتَابِيُّ^(٦) :

بِالْيَلَّةِ لِي بِحَوَارِينَ سَاهِرَةٌ حَتَّى تَكَلَّمَ فِي الصُّبْحِ الْعَصَافِيرُ^(٧)

-
- (١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليل
من جنس البوم .
- (٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفي الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ،
وقد جاء على الصواب في الصفحة التالية .
- (٣) انظر ص ٢٩٩ - ٣٠٠ من هذا الجزء .
- (٤) الحمر : ضرب من الطير كالعصفور . وفي الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف
لاوجه له .
- (٥) ط : « تيك » والصواب في س . و « تيك » بمعنى « تلك » .
- (٦) كلثوم بن عمرو العتابي : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شعراء الدولة
العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده
كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغاني
١٢ : ٢ - ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ - ٣١ . وفي
ط : « كلثوم أبو عمرو العتابي » ، وهي على الصواب في س .
- (٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حمص . وفي ط :
« في حوران » وهي بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س .
وقد استعمل الكلام في معنى الصياح . مثله قول الآخر :
فصبحت والطير لم تكلم جارية حفت بسيل مغمم

فالعصافير والخطاطيف والحمر^(١) والحمام والضوعان^(٢) وأصناف البوم
كلها تقوم مقام الديك . وقال ثعلبة بن صعير المازني^(٣) :

أعمير ما يدريك أن رب فتية بيض الوجوه ذوى ندى وما أثر^(٤)
حسنى الفكاهة لاتذم لحامهم سبطي الأكف لدى الحروب مساعرا^(٥)
باكرتهم بسبأ جون مترع قبل الصباح وقبل لغو الطائر^(٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الديكة الدعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُراخ ،
والصُتاع . وهو يهتف ويصقع ويزقو ويصرخ . وقال جرّان العود^(٧) :

- (١) في الأصل : « والخير » . وانظر الصفحة السابقة .
(٢) في الأصل : « الصوعان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع :
الطائر الليلي ؛ والقياس في الجمع « ضيعان » كما في اللسان والقاموس .
(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة . والأبيات الآتية من
قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :
هل عند عمرة من بنات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر
(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية في المفضليات : « أسمى ما يدريك » والوجه
رواية الجاحظ . « وعمير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .
(٥) في الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ما أثبت من المفضليات . وفي ط : « لاتذم
كما هم » وهو تحريف صوابه في س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم
وطيب القرى . وفي الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر :
جمع مسعر ، وهو الذى يوقد نار الحرب ويؤثرها . وفي المفضليات : « وفي الحروب
مساعر » فيكون في البيت إقواء .
(٦) سبأ : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود متكتا نحرأ . ويصح أن يكون السبأ
في معنى الخمر نفسها ، فالسبأ الخمر كما في القاموس .
(٧) من قصيدة مطولة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ والأبيات الآتية في ص ١٧ .
وقبل هذه الأبيات مما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجندل الصم تقذف
وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعرفك حمد فتعرف
رفيع العلا في كل شرق ومغرب وقولك ذلك الأبد المتلقف
وفيك إذا لاقيتنا عجرفية مرأراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويغلبك الهوى كما مالَ خَوَّارُ النِّقَا المتقصف^(١)
ونُلغى كأنَّا مَغْمٌ قد حويته وترغبُ عن جَزَلِ العَطَاءِ وتَصْدَفُ^(٢)
فهو عِدْكَ الشُّطُّ الذي بينَ أهلنا وأهلكِ حتَّى تسمعَ الديكَ يهْتِفُ
وقال الممزَّقُ العَبْدِيُّ :

وقَدْ تَخَذَتْ رَجَلَايَ فِي جَنْبِ غَرَزِهَا

نَسِيفاً كَأَفْحُوصِ القَطَاةِ المَطْرُقِ^(٣)
أُنِيختُ بِجَوِّ يَصْرُخُ الديكُ عندها وَبَاتَتْ بِقَاعِ كَادِي النبتِ سَمْلَقِ^(٤)
وقال لبيد :

١٠٩

لَدُنْ أَنْ دَعَا دِيكَ الصَّبَاحَ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدْرِ وَرْدِ الحَامِسِ المِتَّأَوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذي يخرجُ من وكره بالليل البومة والصدى والهامة

والضُّوع^(٥) والوطواط والحفَّاش ، وغُرَابُ اللَّيْلِ ، ويصيدُ بعضها الفأرَ^(٦)

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين المهل ، الذي يَمَاتُ من لينه ونعومته . وفي الأصل : « جِوَانُ النِّقَا المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) في الديوان : « ونلغى » ، قال العسكري : « من اللقاء » . وفيه « وتسرف » موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرجل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بمنبى البعير إذا انحصر عنه الوبر . والقطة المطرق : التي حان خروج بيضها . والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكبدأ النبات : أصابه البرد فلبده في الأرض ، أو أصابه المعطش فأبطأ نبتة . وفي الأصل : « كاري التبت » ، والوجه ما أثبت . والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) في الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامَّ أبرصَ والقظا وصِغارَ الحشرات ، وبعضها يصيد البعوضَ والفَرَاشَ
وما أشبه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ في بيته ، ويُخرجه منه
ويأكلُ فِراخه ويبيضه . وهذه الأسماء مشتركة .

(ما قيل من الشعر في الهامة والصدى)

وقال خزيمه بن أسلم :

فلا تَرْقُونِ لى هامةً فوقَ مَرْقَبٍ فَإِنَّ زُقَاءَ الهامِ أَحَبُّ خَابِثٍ (١)

وقال عبد الله بن خازم (٢) أو غيره (٣) :

فإِنَّ تَكُ هامةً بهرأةً تَرْقُو فَقَدْ أَرْقَيْتَ بِالْمَرْوِينَ هَامًا (٤)

وقال توبة بن الحمير (٥) :

ولو أن لىلى الأخيلىةً سلّمتُ عَلَيَّ ودُونى جَنْدَلٌ وَصَفائحُ
لَسَلّمتُ تسليمَ البشاشةِ أوزقا إليها صدَى من جانبِ القبرِ صائحُ

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له في بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لىلى
أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار
به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . فى الأصل :
« عبد الله بن خازم » ، مصحف . والبيت يقوله فى ابنه محمد الذى قتله شماس
ابن دثار العطاردى بهرأة . (الخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما فى الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب لىلى الأخيلىة . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته
بمراث كثيرة جيدة . انظر لها الأغانى (١٠ : ٧١ - ٧٤) وحماسة
البحترى (٤٢٣ - ٤٢٦) .

وقال الرَّاجِزُ :

وَمَنْهَلٍ طَامِسَةٍ أَعْلَامُهُ يَعْوِي بِهِ الذُّئْبُ وَيَزُقُّو هَامُهُ

وَأُنشِدُنِي فِي الصَّدَى (١) :

تَجَشَّمْتُ مِنْ جَرَآكِ وَالْبُومِ وَالصَّدَى

له صائح أن كنتِ أسريتِ من أجلى

وقال سويد بن أبي كاهل (٢) في الضوع (٣) :

لَنْ يَضِرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهَوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوعُ

قال : في قراءة ابن مسعود : ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً ﴾ (٤)

﴿ وَنَفَخَ فِي الزَّقِيَّةِ ﴾ يريد الصور .

وصوت الدجاجة القوقاة ، تقول هي تقوق .

(شعر في الدجاج)

وقال أعرابيٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنِي جُبَيْرَةَ زَوْجُهَا وَمَحْجَرَهَا ، قَامَتْ عَلَيْهِ النَّوَانِحُ

تَجَبَّهَا لَا أَكْثَرَ اللَّهُ خَيْرَهُ رُمِيصَاءَ قَدْ شَابَتْ عَلَيْهَا الْمَسَانِحُ (٦)

لَهَا أَنْفٌ خِنْزِيرٍ وَسَاقًا دَجَاجَةٍ وَرُؤْيَتَهَا تَرَحُّ مِنَ الْعَيْشِ تَارِحُ

(١) في الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نهبت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدني » .

(٢) سويد بن أبي كاهل اليشكري : شاعر مخضرم ، ترجمته في ابن سلام والأغاني ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه في المفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نهبت عليه . والبيت الآتي من قصيدة مفضلية (٤) في المفضليات : « لم يضرني » .

(٥) أي صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجها : اختارها واصطفاها . وفي الأصل : « تنجها » وهو عكس ما أريد .

والرميصاء : التي رمصت عينها ، أي ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهي الضفيرة ، أو شعر جانبي الرأس .

وقال العَجِيرُ السُّلُولِيُّ :

لَا نَوْمَ إِلَّا غِرَارُ الْعَيْنِ سَاهِرَةً حَتَّى أُصِيبَ بَغِيظَ آلِ مَطْلُوبِ (١)
 ١١٠ إِنْ تَهْجُرُونِي فَقَدْ بَدَلْتُ أَيْكُتْكُمْ ذَرَقَ الدَّجَاجَ بِحَفَّازِ الْيَعَاقِبِ (٢)

وقال أبو الأسود الدُّثَيْلِيُّ :

أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَ دَجَاجَةَ أَنِّي أَغْشُ إِذَا مَا النَّصْحُ لَمْ يُتَقَبَّلِ (٣)

(شعر في هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسرّوى في الدَّجَاجِ وَنَذَرُ كُلِّ مَنْ هَجَّاهَا
 وَهَجَّاهَا مَنْ اتَّخَذَهَا وَأَشْبَهَهَا فِي وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، قال الراجز :

أَقْبَلْنَ مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سُوَاجِ (٤) بِالْحَيِّ قَدْ مَلَّ مِنَ الْإِدْلَاجِ (٥)
 فَهَمْ رَجَاجٌ وَعَلَى رَجَاجِ (٦) يَمْشُونَ أَفْوَاجًا إِلَى أَفْوَاجِ

(١) . مطلوب : ماء كان لثمم ، جنوبي مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . يا قوت (مطلوب ، ومعمل) والأغاني (١١ : ١٤٦) .

(٢) يا قوت : الأيكة : جماعة الأراك ، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفي الأصل « ذرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغاني . واليعاقب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) في ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَ أَمَامَةَ أَنِّي أَغْشُ إِذَا مَا النَّصْحُ لَمْ يُتَقَبَّلِ

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفي الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجيح ونير) ومجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيها الرجز . وفي الدميري (فروج) : « من بر » محرفة .

(٥) يروي : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفي ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجيح) . قال : أي ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشَى الْفَرَارِيحَ إِلَى الدَّجَاجِ (١) *

وقال عبد الله بن الحجاج (٢) :

فإن يُعْرِضُ أبو العباسِ عَنِّي وَيَرْكَبُ بِي عَرُوضاً عَنْ عَرُوضِ (٣)
 وَيَجْعَلُ وَدَّهُ يَوْمًا لغيري وَيُبْغِضُنِي فَأَيُّ مَنْ بَغِيضِ (٤)
 فَنَضْرُ اللهُ يَأْسُو كُلَّ جُرْحٍ وَيَجْبُرُ كَسْرَ ذِي الْعَظْمِ المَهْيُضِ (٥)
 فِدَى لَكَ مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا تَلْقَانِي بِجَامِعَةِ رَبُوضِ (٦)
 لَدَى جَنْبِ الحِوَانِ وَذَاكَ فُحْشٌ وَيُنْسِتُ خُبْرَةَ الشَّيْخِ المَرِيضِ (٧)
 كَأَنِّي إِذْ فَرَعْتُ إِلَى أَحْيِحٍ فَرَعْتُ إِلَى مُقَوِّبَةِ بَيُوضِ (٨)

(١) «إلى» هنا بمعنى «مع» ، وبالأخيرة جاءت الرواية في اللسان والدميري .
 (٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فائق شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، فكان من
 خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ،
 خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ، ثم هرب فلاحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن
 قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متذكراً واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :
 رأيت بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطرود كفة حابل
 تؤدى إليه أن كل ثنية تيممها ترمى إليه بقاتل
 الأغاني ١١ : ٢٤ - ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعنى به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه
 في الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر
 في الأغاني ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيض : المكسور يمد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفي ط : « ريبوص » و س : « ويروض »
 محرفتان . وهما على الصواب الذى أثبت في الأغاني .

(٧) في الأغاني : « دستت بخفة الشيخ المريض » ، صواب هذه « وبئست تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسمي به
 إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه
 ما أثبت من ط والأغاني . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغاني .
 وعنى بالمقوقية الإوزة .

إِوزَةٌ غَيْضَةٌ لَقِحَتْ كَشَافًا لِفَقَحَتِهَا إِذَا بَرَكَتْ نَقِيضٌ^(١)

وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابناً لها منه :

وَهَبْتُهُ مِمَّنْ سَلَفَعِ أَفُوكَ^(٢) وَمِنْ هِبَلٍ قَدْ عَسَا حَنِيكِ^(٣)

* أَشْهَبَ ذِي رَأْسٍ كِرَاسِ الدَّيْكِ *

يريد بقولها « أشهب » أنه شيخ وشعر جسده أبيض وأن لحيته حمراء .

وقد قال الشاعر ، وهو الأعشى :

وَبْنِي الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ بِالْحِي رَةَ يَمْسُونُ غُدُوَةَ كَالسُّيُوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أن يعظم ويفخم^(٤) أمرهم وشأنهم ، بأن يجعلهم

شيوخا . وأما قولها : « ذى رأس كراس الديك » فإنما تعنى أنه مخضوب للرأس واللحية .

وقال الآخر^(٥) :

حَلَّتْ خَوِيلَةٌ فِي حَيٍّ مَجَاوِرَةً أَهْلَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدَّيْكِ وَالْفَيْلُ

يَقَارِعُونَ رَعُوسَ الْعُجْمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسُ لَا عَزْلٌ وَلَا مَيْلُ^(٦)

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت . ورواية أبي الفرج : « لفتحها إذا درجت » . والفتحح : بضم القافين : انظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجريء الجسور . وهو في الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقل المنس الكبير . وفي الأصل : « هبتل » ، وصوابه في اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفخم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (في المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيسد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ، أو الجبان .

قال ابن أحرر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةٍ لَا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ (١)
إِلَّا كَمَثَلِكَ فِينَا غَيْرَ أَنَّ لَنَا شَوْقًا وَذَلِكَ مِمَّا كَلَّفْتَ جَلَلُ
هَيْهَاتَ حَىٰ غَدَوَا مِنْ كَبْجَرٍ مَنزِلُهُمْ

حَىٰ بَنْجِرَانَ صَاحَ الدِّيَكُ فَاحْتَمَلُوا (٢)

وقال :

أَبْعَدَ حُلُولٍ بِالرِّكَاءِ وَجَامِلٍ غَدًا سَارِحًا مِنْ حَوْلِنَا وَتَنْشَرًا (٣)
تَبَدَّلْتُ إِصْطَبِلًا وَتَلًّا وَجَرَّةً وَدِيكًا إِذَا مَا آ نَسَ الْفَجْرَ فَرَفْرًا (٤)
وَبِسْتَانَ ذِي ثَوْرَيْنِ لِالَيْنِ عِنْدَهُ إِذَا مَا طَغَى نَاطُورُهُ وَتَغَشَّمَرًا (٥)

وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيبِيًّا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بَرَجْلِيهَا وَخَنَزِيرٌ (٦)

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والمنقاء : الآكة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفي ط أيضاً :

« من بحر » وفي س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب

بنجران ، كما في معجم البلدان والقاموس . وبنجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنتشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذوالثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والسكرم والتمر . وتغشمر : بدا

منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفي الأصل : « وألف ديك » ، وهو من

عجيب التحريف .

وقال الحكم بن عبدل :

مَرَرْتُ عَلَى بَغْلٍ تَزْفُكُ تِسْعَةَ^(١) كَأَنَّكَ دِيكَ مَائِلُ الرَّأْسِ أَعْوَرُ
تَخَيَّرْتَ أَنْوَابًا لِلزَّيْنَةِ مَنْظِرٌ وَأَنْتَ إِلَى وَجْهِ يَزِينُكَ أَفْقَرُ
وقال الثَّمِر بن تَوَلب :

أَعَذَّنِي رَبٌّ مِنْ حَصْرٍ وَعِيٌّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالَجَهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمْنِي فَإِنَّ لُمُضَمَّرَاتِ النَّفْسِ حَاجًا^(٢)
وَأَنْتَ وَلِيِّهَا وَبَرْتُ مِنْهَا إِلَيْكَ وَمَا قَضَيْتَ فَلَاحِاجًا^(٣)
وَأَنْتَ وَهَبْتَهَا كَوْمًا جِلَادًا أَرْجَى النَّسْلَ مِنْهَا وَالنَّتَاجَا^(٤)
وَتَأْمُرُنِي رَبِيعَةٌ كُلَّ يَوْمٍ لِأَشْرِبَهَا وَأُفْتِنِي الدَّجَاجَا^(٥)
وَمَا تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيْفَ عَنِّي وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نِضَاجَا^(٦) ١١٢
أَأَهْلِكُهَا وَقَدْ لَاقَيْتُ فِيهَا مِرَارَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا^(٧)

(١) ط : « تزفك نسة » ، وأثبت ماني س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغل تزفك تسعة كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما في اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشربها : لأبيمها . وهي في الأصل : « لأشربها » ، مصحفة . وفي الخزانة

٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها » ، بفتح لام التعليل ، لغة لبني العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولا ينعني إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجا » .

وتَذْهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهْبِي عَلَى الْأَعْدَاءِ تَخْتَلِجُ اخْتِلَاجًا (١)
 بَحْمُومِ الشَّدِّ شَائِلَةٌ الدُّنَابِي تَخَالُ بِيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجًا (٢)
 وَشَدَى فِي الْكَرْيَةِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا الْأَصْوَاتُ خَالَطَتِ الْعَجَاجَا (٣)
 وقال عبد الرحمن بن الحكم (٤) :

وَلَلْأَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا نُخْبِثُ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ (٥)
 وقال الآخر (٦) لصاحبه :

أَذَيْتَنَا بِدِيكَكَ السَّلَاحِ فَنَجِّنَا مِنْ مُنْتَنِ الْأَرْوَاحِ
 وقالوا : « هو أسلح من حُبَارَى » ساعة الخوف ، ومن « دَجَاجَةٌ » ،
 ساعة الأمن .

وقال عقيل بن علفة :

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلًا كَأَنَّ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عِلْسَكَدِّ دَوَاخِنُ تَنْضُبِ (٧)
 تَبَيْتُ عَلَى رَمَضٍ كَأَنَّ عِيُونَهُمْ فِقَاحُ الدَّجَاجِ فِي الْوَدِيِّ الْمَعْصَبِ (٨)

(١) صهبي : فرس النمر بن تولب ، كما في صحاح الجوهري ولسان العرب والاقطصاب
 ٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهي في ط : « صهبي »
 محرفة ، وعلى الصواب في س . وفي (صهبي) يقول النمر أيضاً :
 لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة إلهابها كضرام النار في الشيخ
 (٢) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٨٩ ، « ويستحب في الخيل أن ترفع أذنانها في
 العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ما أثبت .

(٤) انظر ترجمته في الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) في الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر في ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحب القاموس واللسان . وفي س : « علكيد » .
 والدواخين : جمع دخان ، وهو جمع شاذ ، مثله عشان وعوائن . والتنضب :
 شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخان أبيض في مثل لون الغبار ، ولذلك
 شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدي :

كَأَنَّ الْغُبَارَ الَّذِي غَادَرْتَ ضَحِيحًا دَوَاخِنَ مِنْ تَنْضُبِ

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) غنى بالرمض القلق . ط : « ربيض » . والودي المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَسْلَمٍ
قَالَ : أُرِدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَجَاءَنِي هِشَامُ
ابْنُ عَقِبَةَ - وَهُوَ أَخُو ذِي الرُّمَّةِ - فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ تَرِيدُ سَفْرًا
يَحْضُرُ الشَّيْطَانُ فِيهِ حُضُورًا لَا يَحْضُرُهُ فِي غَيْرِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لَوْ قَهَا
فَإِنَّكَ مَصْلِيهَا لِأَمَحَالَةٍ ، فَصَلِّهَا وَهِيَ تَنْفَعُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ رُقْفَةٍ كَلْبًا
يَنْبِغُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ نَهْبٌ شَرَّكَوهُ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَارٌ تَقْلَدُهُ دُونَهُمْ
فَلَا تَكُنْ كَلْبَ الرُّقْفَةِ (١) !!

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب (٢) .

(أم كلبية)

وقال زيد الخليل :

يَا نَصْرَ نَصْرَ بَنِي قُعَيْنِ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِمَاءٌ يَتَّبِعْنَ الْأَشْتَرَا (٣)

(١) مثل هذا الخبر في ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميداني المثل إلى لقمان الحكيم
انظر الأمالى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لابن كعب . ترجم له ابن حجر في الإصابة
٨٥٦ ، وهو كما في القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) في الأصل : « نصر أبي قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد .
وفي اللسان : « وسئل بعض العلماء أي العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتَبَعْنَ فَضْلَةَ أَيَّرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ عَضَّ الكلابُ بَعْجَبِهِ فَاسْتَنْفَرَا^(١)
قال : فلمَّا قَدِمَ زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال « أَبْرَحَ
فَتَى إِنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمَّ كَلْبَةٍ^(٢) ، يعني الحُمَى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير في البعيث :

إذا أنتَ لاقيتَ البعِيثَ وَجَدْتَهُ أَشْحَ على الزَّادِ الخبيثِ من الكلبِ
وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن معدٍ يكرب :

وقد كنتُ إذا ما الحىُّ يوماً كَرِهُوا صَلْحِي
أَلْفُ الخَيْلِ بالخَيْلِ وَأَكْفَى النَّبْحِ بالنَّبْحِ

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلب قولُ الرَّجُلِ منهم ، إنْ أَوْطَنَ
نَفْسَهُ على شيءٍ : قد ضَرَبْتَ جَرَوْتِي ، وضَرَبْتَ عليه^(٣) . وقال أبو النَّجْمِ :

(١) استنفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فتى : أى ما أعجبه فتى . و « فتى » تمييز . مثله قول الأعشى
الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتى حين جد الرحيه ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طي) والجزء الأول من الحيوان
٣١٧ والأغانى ١٦ : ٤٧ - ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند
الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجرورة بمعنى النفس ، كما فى اللسان (جرا) وكما فى أمثال الميدانى ١ : ٣٨٣ .
و « ضربت عليه » يريد : « ضربت عليه جروتى » . وفى الأصل :
« ضربت جروه وضربت عليه » وهو تحريف . قال ابن برى : وأنشد
أبو عمرو :

حَتَّى إِذَا مَا ابْيَضَّ جَرَوْ التَّتَفُلَ (١) وَبُدِّلَتْ وَالِدَهُرُ ذُو تَبَدَّلَ
وقال (٢) :

من الحنظل العائى جرؤ مفلق

وقال عتبة الأعور (٣) :

ذهبَ الذين أحبُّهم وبقيت فيمن لا أحبه
إذ لا يزال كريمٌ قو مى فيهم كلبٌ يسبه

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك (٤)] :

فخرتم علينا بصيد الكلب ، وهجوتم (٥) الديك إذ كان ممّا لا يصيد
ولا يُصَاد به ، وقد وجدنا العرب يستذلُّون الصيِّدَ ويحقرُّون الصيِّاد ، فمن
ذلك قولُ عمرو بن معد يكرب :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروقه وعلقت أخرى لانتخون المواصلا
أى اطبأنت نفسى . ويقال أيضاً - كما فى اللسان - : ضرب جروة نفسه .
قال الفرزدق :

فصربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى
ويقال أيضاً : أتى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التتفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر
ما يجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ،
واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ لبيسك ، ٢٣٢ مصر ، قال :
« عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة
ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه
أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها حاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرت » وتصحيحه من س .

ابني زيادٍ أنتم في قومكم ذنبٌ ونحنُ فروعُ أصلِ طيبٍ
نصلُ الحميس إلى الحميس وأنتمُ بالقهرِ بين مربيقٍ ومكلبٍ^(١)
لا يحسبنَ بنو طليحةَ حريناً سوقَ الحميرِ بجانةٍ فالكوكبِ^(٢)
جيدٌ عن المعروفِ سعىُ أبيهم طلبُ الوعولِ بوفضةٍ وبأكلبِ^(٣)
حتى يكهنَ بعدَ شيبِ شاملٍ ترحاً له من كاهنٍ متكذبٍ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فَيُشْتَفَى بِدَمَائِهِمْ وَكَانُوا قَدِيمًا مِنْ مَنَائِهِمُ الْقَتْلُ^(٤)
فهذا البيت نفسه ليس يدلُّ على قولهم أن كلَّ من كان به جنونٌ
أو كلبٌ ثمَّ حساً من دمِ ملكٍ أو سيِّدٍ كريمٍ أفاقَ وبرئ .

(فرار الكلبِ الكلبِ من الماء)

وقد ضربوا لصاحب الكلبِ أمثالاً في شدَّة طلبه الماء ، وفي شدَّة
فراجه منه إذا عاينه .

(١) الحميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربيق : أراد به الصائد بالريقة ،
وهي العروة في الحبل . والمكلب : الصائد بالكلاب .

(٢) لعل في البيت تحريفاً .

(٣) الوفضة : جمعة السهام إذا كانت من آدم .

(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماء المطلوب إذا عاينته من غير أن يمسه ، وهو الطالب

له ولم يحرص عليه إلا من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح (١) ؟ !

قالوا : وقد يعترى الناظر إلى الماء ، والذي يديم التحديق إليه وهو

يمشى على قنطرة أو جُرْف أو جسر الدَّوَار ؛ فإنه ربّما رمى بنفسه من ١١٤

تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنما يكون على

قدر ما يصادف ذلك من المَرَار (٢) ، ومن الطَّبَاع .

فمَنْ فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمد بن مسعود ، فكاد يموت حتى

استُخْرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل التَّمار ، وجماعة قد عُرفت حالهم .

(ما يعترى المحتق والممرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأسن (٣) من البخار المحتق فى البئر إذا

صار فيها ؛ فإنه [ربّما] (٤) استقى واستخرج وقد تغرّر عقله . وأصحاب

الركايا (٥) يرون أن دواءه أن يلقوا عليه دثاراً ثقيلاً ، وأن يزمل زميلاً (٦)

وإن كان فى تموز وآب (٧) ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنه

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب

وبجملته « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك .

وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المزار : جمع مرة بالسكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً فغشى عليه .

(٤) لتكلمة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيهما يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إِنْ لَمْ يُحَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا طَرَحَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ الْبُئْرِ ، أُنَاهَا سَعِيًّا فِي أَوَّلِ مَا يَفْتَحُ عَيْنَهُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ الْيَسِيرُ مِنْ عَقْلِهِ ، حَتَّى يُكْفِيَ (١) نَفْسَهُ فِيهَا مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَد لَقِيَ مِنْهُ مَا لَقِيَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْلُومًا أَنَّ الْقَوْمَ لَوْ تَرَكَوهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ لَهْلَكَ . هَكَذَا كَانَ عِنْدَهُ أَيَّامَ صِحَّةِ عَقْلِهِ ، فَلَمَّا فَسَدَ أَرَاهُ الْفَسَادُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْعُودِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

وَكَمَا يَعْتَرِي الْمَمْرُورَ (٢) حَتَّى يَرْجُمَ النَّاسُ ؛ فَإِنَّ الْمِرَّةَ تَصَوَّرُ لَهُ أَنَّ الَّذِي رَجَمَهُ قَدْ كَانَ يَرِيدُ رَجْمَهُ ، فَيَرَى أَنَّ الصَّوَابَ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالرَّجْمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ تُرِيهِ الْمِرَّةُ أَنَّ طَرَحَهُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ أَجُودٌ وَأَحْزَمٌ .

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْبَحُ نَفْسَهُ أَوْ يَخْتَنِقُ أَوْ يَرُدِّي فِي بُئْرٍ ، أَوْ يرمى نَفْسَهُ مِنْ حَالَتِهِ ، إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْمَثَلَةِ أَوْ التَّعْذِيبِ أَوْ التَّعْيِيرِ (٣) وَتَقْرِيعِ الشَّامِتِينَ ، أَوْ لِأَنَّ بِهِ وَجَعًا شَدِيدًا فَيَحْرِكُ عَلَيْهِ الْمِرَّةَ فَيَحْمِي لِدَلِّكَ بَدْنَهُ وَيَسْخَنُ جَوْفَهُ ، فَيَطِيرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَى دِمَاغِهِ أَوْ قَلْبِهِ ، فَيُوهِمُهُ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الرَّاحَةُ ، وَأَنَّ الْحَزْمَ مَعَ الرَّاحَةِ .

وَلَا يَخْتَارُ الْخَنَقَ الْوَادِعُ الرَّابِحَ (٤) الرَّافَهُ ، السَّلِيمُ الْعَقْلَ وَالطَّبَّاعَ . وَلِلغَيْظِ رَبَّمَا رَمَى بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْمَهَالِكِ ، وَقَذَفَ بِهَا (٥) فِي هَذِهِ الْمَهَاوِي . وَقَدْ يَعْتَرِي الَّذِي يَصْعَدُ عَلَى مِثْلِ سَنَسِيرَةٍ أَوْ عَقْرَقُوفٍ (٦) أَوْ خَضْرَاءِ

(١) مَخْفَفٌ « يَكْفِي » بِمَعْنَى يَقْلِبُ .

(٢) الْمَمْرُورُ : مَنْ غَلِبَتْ عَلَيْهِ الْمِرَّةُ فَفَسَدَ عَقْلُهُ .

(٣) ط : « التَّعْيِيرُ » وَوَجْهَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ س .

(٤) كَذَا .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « بِهِ » وَالضَّمِيرُ لِلنَّفْسِ .

(٦) عَقْرَقُوفٌ : قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ أَرْبَعَةٌ فَرَسَاخَ ، إِلَى جَانِبِهَا تَلٌّ عَظِيمٌ يَرَى مِنْ

خَمْسَةِ فَرَسَاخَ كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ عَظِيمَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَقْرَقُوبٌ » .

زوج^(١) ، فإنه يعتريه أن يرمى^(٢) بنفسه من تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يصعد إليه بعضُ معاودين المخربِّين ، ولا يصنع شيئاً حتى يشدَّ عينيه^(٣) ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌّ فيمن^(٤) كانت طبيعته تتور عند مثل هذه العلة . وما أكثر من لا يعتربه ذلك .

وقد قال النَّاسُ في عذر هؤلاء ولأنَّ فيهم^(٥) ضروباً من الأقاويل . وإِنَّمَا تكلمنا على المغلوب . فأما من كانت هذه العوارضُ لا تُفسدُ ١١٥ عقله ، ولا تنقُضُ^(٦) استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ في أنه ملوم . على أنَّ إلزامه اللائمة لا يكون إلا من بعدِ خصومةٍ طويلة ، لا يصلح ذكرها في هذا الباب .

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب^(٧) : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ، ومن بغائها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البرائن الضعيفة والأظفار

(١) لم يذكره ياقوت .

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفي س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفي س : « ولأنَّ منهم » ولعلَّ صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب

من الأقاويل » .

(٦) في الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبهه بلغة الجاحظ .

(٧) سيتحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد

أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتي ص ٣١٩ . وليس

الحديث في الغراب مقصوداً لذاته .

الكليّة ، وليس من ذوات المخالب المعقّفة والأظفار الجارحة^(١) ، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسر^(٢) . وهو مع أنّه^(٣) قوى النَّظَر^(٤) . لا يتعاطى الصَّيْد . وربّما راعوَ العصفور ، ولا يَصِيد الجرادَ إلاّ أن يلقاها في سُدِّ من الجراد^(٥) . وهو فسَلُّ إن أصاب جيفةً نال منها وإلاّ مات هُزالاً ، ويتقمّم كما يتقمّم بهائم الطير وضعافُها ، وليس بهيمةٍ لمكانٍ أَكَلِه الجِيف ، وليس بسبعٍ لعجزه عن الصَّيْد .

(ألوان الغريان)

وهو مع ذلك يكون^(٦) حالِك السَّوَادِ شديدَ الاحتراق ، ويكون مثله من النَّاس الزَّنجَ فَإِنَّهُمْ شِرَارُ النَّاس ، وأردأُ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كَمَنْ بردت بلادُه فلم تطبخه^(٧) الأرحام ، أو سخنت فأحرقته الأرحام . وإنما صارت عقولُ أهل بابل وإقليمِها فوقَ العقول ، وجمالهم فوقَ الجمال^(٨) لعلّة الاعتدال .

-
- (١) ط : « الكليّة » وتصحيحه من س . وفي س ، ط : « القصار » موضع الأظفار » ولاوجه له . وأثبت ماتقتضيه المقابلة .
- (٢) المناسر : جمع منسر ، كنبر ، وهو المنقار لسباع الطير .
- (٣) في الأصل : « ذلك » ، وكذلك في نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل للنويرى عبارة الجاحظ .
- (٤) في الأصل : « البطن » ، وفي النهاية : « البدن » . وأثبت مافي هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .
- (٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .
- (٦) س : « ذلك أن يكون » وفي النهاية : « ذلك إما أن يكون » والأول تحريف ، والثاني تصرف من النويرى حيث أوجز النقل إيجازاً .
- (٧) الديميرى حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .
- (٨) الديميرى : « وكانهم فوق الكمال » .

والغراب إمّا أن يكون شديد الاحتراق فلا يكون له معرفة ولا جمال ،
وإمّا أن يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضادّ أعضائه دليلاً على فساد
أمره . والبقع الأم من السّود وأضعف .

(أنواع الغربان)

ومن الغربان غراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاق الغربان وتشبّه
بأخلاق البوم .

ومنها غراب البين . وغراب البين نوعان : أحدهما غراب صيغارٌ معروفةٌ
بالضعف واللؤم ، والآخر : [كُلُّ غُرَابٍ يُتَشَاءُ بِهِ ^(١)] . و [إِنَّمَا لَزِمَهُ هَذَا
الاسْمَ لِأَنَّ الْغُرَابَ إِذَا بَانَ أَهْلُ الدَّارِ لِلنَّجْعَةِ ، وَقَعَ فِي مَرَابِضِ ^(٢) بِيوتِهِمْ
يَلْتَمِسُ ^(٣) وَيَتَقَمَّمُ ، فَيَتَشَاءُونَ بِهِ وَيَتَطَيَّرُونَ مِنْهُ ؛ إِذْ كَانَ لَا يَعْتَرِي
مَنَازِلَهُمْ إِلَّا إِذَا بَانُوا ، فَسَمَّوْهُ غُرَابَ الْبَيْنِ . ثُمَّ كَرِهُوا إِطْلَاقَ ذَلِكَ الْاسْمِ
لَهُ مَخَافَةَ الزَّجْرِ وَالطَّيْرَةِ ^(٤) ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ نَافِذُ الْبَصْرِ صَافِي الْعَيْنِ - حَتَّى قَالُوا
« أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الْغُرَابِ » ، كَمَا قَالُوا : « أَصْنَمِي مِنْ ^(٥) عَيْنِ الدِّيَكِ » -

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبي كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الديميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتلمس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ،
وكذلك فى أمشالى الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه

لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كمنية : التشاؤم .

(٥) فى الأصل : « عن » .

فسمّوه الأعور [كنايةً ^(١)] ، كما كنوا طيرةً عن الأعمى فكنوه أبا بصير ^(٢) .
 وبها اكتنى الأعشى بعد أن عمى . ولذلك سمّوا الملدوغ ^(٣) والمنهوش سليماً ،
 وقالوا للمهالك ^(٤) من الفيافي : المفاوز . وهذا كثير .
 والغدّفان ^(٥) جنس من الغربان ، وهى لثام جداً .

(التشاؤم بالغراب)

[و] من أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة ،
 والاعتراب ، والغريب .

١١٦ وليس في الأرض بارجٌ ولا نطيح ^(٦) ، ولا قعيد ، ولا أعضب ^(٧)
 ولا شيءٌ مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكدُ منه ، يرون أن
 صيأحه ^(٨) أكثر أخباراً ، وأن الزجر فيه أعمُّ . وقال عنتره :
 حرق الجناح كأنّ لحبي رأسه جَلَمَانِ ، بالأخبار هَشٌّ مَوْلَعٌ ^(٩)

-
- (١) الزيادة من أمثال الميداني .
 (٢) في الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت
 في تصحيحه على ما في أمثال الميداني (١ : ٣٥) .
 (٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميداني .
 (٤) المهلكة : المغازة ، جمعها مهالك .
 (٥) الغدّفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .
 (٦) البارج : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح :
 ما يأتي إليك من أمامك من الطير والوحش .
 (٧) القعيد : ما أتى إليك من ورائك من ظبي ، أو طائر . والأعضب :
 المكسور القرن .
 (٨) في الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذي أثبتته في أمثال الميداني .
 (٩) في الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعابير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعارون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنّه يأكل اللحوم ، ولأنّنه سبع ، لكانت ^(١) الضوّارى والجوارحُ أحقّ بذلك عندهم . وقد قال وَعَلَّةُ الْجَرْمَى ^(٢) :

فما بِالْعَارِ مَاعَيْرٌ مُنْمُونَا شِوَاءَ النَّاهِضَاتِ مَعَ الْحَبِيصِ ^(٣)
فما لِحْمِ الْغُرَابِ لَنَا بَزَادٍ وَلَا سَرَطَانُ أَنْهَارِ الْبَرِيصِ ^(٤)

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغربانُ جنسٌ من الأجناس التي أمر بقتلها في الحِلِّ والحرم ، وسمّيت بالفسق وهي فواسق ، اشتقّ لها من اسم إبليس .

وقالوا : رأى [فلان] ^(٥) فيما يرى النائمُ أنه يُسْقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيّب : يتزوج أفسقُ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلّا أيّاماً حتى كان ذلك .

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمي . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفي العرب وعلة بن عبدالله الجرمي ، أحد فرسان قضاة ، وله خبر في يوم الكلاب الثاني . الأغاني (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادها الفراخ الناهضات ، وهي التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . في ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والحبص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادي (في كتاب

الطيبخ ٧٣ - ٧٤) ست صنعات . وفي الأصل : « المبيض » ، وصوابه في النهاية . (٤) البريص : نهر دمشق . وفي الأصل : « البريص » محرفة ، صوابها في النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا في المثل : « لا يرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل
البصرة يقولون : « حتَّى يرجعَ نَشِيطٌ من مَرَوْ (١) » ، وأهل الكوفة يقولون :
« حتَّى يرجعَ مَصْقَلَةٌ (٢) من سَجِسْتان » . فهو مثلٌ في كل موضعٍ
من المكروه .

(قبيح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعيُّ عن خلفِ الأحمر ، أنه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر
صورة أقبِحَ ولا أسمىجَ ولا أبغضَ ولا أفذَرَّ ولا أننَ منه . وزعم أن فراخ
الغريبان أننٌ من الهدهد - على أن الهدهدَ مثلٌ في الثنن - فذكر عِظَمَ
رأسٍ وصِغَرَ بدن ، وطولَ منقارٍ وقَصَرَ جناح ، و [أنه (٣)] أمرطُ أسود ،
وساقطُ النَّفس ، ومُنْتِنُ الرِّيح .

-
- (١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل
إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تتم ، قال : حتى يرجع نشيط من مرو ! . وكان
زياد لا يرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .
- (٢) في الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه في ثمار التلوق ٣٠ حيث نقل الثعالبي
كلام الجاحظ ، وكذا في المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) .
وفي المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هيرة كان معاوية
وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم
العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلاً . انظر المثل في
المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .
- (٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعم أن رؤية فرخ العقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير .
ولست أحسنُ أن أفضيَ بينهما (١) .

والغربان عندنا بالبصرة أو أبرد غير قواطع ، وهي تُفرخ عندنا في رءوس
النخل الشائخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كله ، قد خدع الديك وتلعب به ، ورهته
عند الحمّار (٢) وتخلص من الغرم ، وأغلقه (٣) عند الحمّار ، فصار له الغنم وعلى
الديكِ الغرم ، ثم تركه تركاً ضرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالديك (٤) هو المغبون والمخدوع
والمسخور به ، ثم كان المتلعب به أنذل الطير والأمة .

وإن كان هذا القولُ منهم يجرى بجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أن علياً ١١٧
الديك في قلوبهم (٥) دون محلّ الغراب - على لؤم الغراب ونذالته وموقه وقلة
معرفة - كما وضعوه في هذا الموضع .

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يغلّي الرهن : إذا لم يستطع فكاهه .

(٤) فى الأصل : « والديك » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابها « محل

الديك فى قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبي الصلت)

فإن أردتم معرفة ذلك فأنظروا في أشعارهم المعروفة ، وأخبارهم الصحيحة ثم ابدعوا بقول أمية بن أبي الصلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهي ثقيف ، وثقيفٌ من دُهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان همَّ بادِّعاد النبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً إذا اجتمعت له . نعم وحتى ترشَّح^(١) لذلك بطلب الروايات ، ودرس الكتب . وقد بان^(٢) عند العرب علامةً ، ومعروفاً بالجوَّلان في البلاد ، راويةً^(٣) .

(حديث العرب في الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفي كثيرٍ من الروايات من^(٤) أحاديث العرب ، أنَّ الديك كان نديماً للغراب ، وأنَّهما شربا الخمر عند خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيه بالثمن حين شرب ، ورهن الديك ، فخاس به^(٥) ، فبقى محبوساً .

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .

(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفي س : « كان » .

(٣) في الأصل : « رواية » .

(٤) في الأصل : « مع » .

(٥) خاس به : غدر به .

وَأَنَّ نوحاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَقِيَ فِي اللُّجَّةِ أَيَّامًا بَعَثَ الْغُرَابَ ،
فَوَقَعَ عَلَى جِيْفَةٍ وَلَمْ يَرْجِعْ ، ثُمَّ بَعَثَ الْحَمَامَةَ لِتَنْظُرَ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا
يَكُونُ لِلسَّفِينَةِ مَرْفَأً ، وَاسْتَجْعَلَتْ عَلَى نوحٍ الطُّوقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا (١) ، فَرَشَاها
بِذَلِكَ - أَى فَجَعَلَ ذَلِكَ جُعْلًا لَهَا .

وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ يَقُولُ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .

بِأَيَّةِ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةَ الدَّيْكِ الْغُرَابُ

يَقُولُ : حِينَ تَرَكَهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَذَهَبَ وَتَرَكَهُ .

وَالْعَامَّةُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ وَتَقُولُ : « مَا هُوَ إِلَّا غُرَابُ نوحٍ » .

ثُمَّ قَالَ :

وَأُرْسِلَتْ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لِانْتِهَابِ

تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهُ مِنَ الْمَاءِ الْعِيَابُ (٢)

فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَاكَضَتْ بِقِطْفِ عَلَيْهِ الثَّأُطِ وَالطِّينِ الْكِبَابُ (٣)

فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عَقِدَ السَّخَابُ (٤)

(١) استجعل : طلب الجمالة - كسحابة - وهى الرشوة . والرشوة : العطاء
فى مقابل نفع .

(٢) كذا . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعينه من الماء العياب »
ولعل صوابها مافى الديوان ١٨ : « وغايته بها الماء العياب » أى أن الماء
العياب غايته وانتهأؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحية . جاء فى
اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود المنتن . وفى ط : « عليها
الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما فى اللسان والديوان ١٨ . وفى أصل
نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب : بالضم : الطين اللازب .

(٤) للسخاب ، بالكسر : القلادة . وفى ثمار القلوب ٣٦٨ : « فلمسا
فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورثه بنيتها وإن تقتل فليس لها استلاب^(١)
كذى الأفعى رببها لديه وذى الجنى أرسله يتاب^(٢)
* فلا رب المنية يأمنها ولا الجنى أصبح يستتاب^(٣)
الجنى : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحية التى كلم إبليس آدم^(٤)
١١٨ من جوفها . ومن لاعلم عنده يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوف الحمار
مرة ؛ وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة تمنع الحمار بعسره ونكده ، وكان
إبليس قد أخذ بذنبه . وقال آخرون : بل كان فى جوفه فلما قال نوح للحمار :
ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخل إبليس معه ؛ إذ كان فى جوفه .
قال : فلما رآه نوح فى السفينة قال : ياملعون من أدخلك السفينة ؟ قال :
أنت أمرتني . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حين قلت ، ادخل ياملعون ،
ولم يكن ثم ملعون غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أمية بن أبى الصلت :

هو أبدي من كل ما يثر التا س أمائيل باقيات سفورا^(٣)
خلق النخل مصعدات تراها تقصف اليايسات والخضورا^(٤)

- (١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية
الأرب - رواية الثعالبي فى الثمار : « فليس له استلاب » .
(٢) كذا فى س . وفى ط : « يتاب » .
(٣) فى الأصل : « هو أبدي كل » . والشعر من الخفيف .
(٤) كذا . وفى الديوان : « الخضورا » . وفى اللسان : « والخضر والخضور
اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتَّماسيحَ والتَّمائيلَ والأَيَّ
وصوَاراً من النَّوَاشِطِ عِيناً
وَأَسْوِداً عَوادِيأً وفِيولاً
وَدُيوكاً تَدَعُو الغَرَابَ لِصُلْحٍ
قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سَمِعَ اللهُ لابنِ آدَمَ نُوحِ
رَبُّنَا ذُو الجَلالِ والإِفْضالِ
حِينَ أَوْفَى بِذِي الحَمَامَةِ والنَّائِ
سَ جَمِيعاً في فُلْكِهِ كَالعِمالِ
فَأَتَتْهُ بِالصِّدْقِ لَمَّا رَشَّاهَا
وَبَقِطْفٍ لَمَّا غَدَا عِشْكَالِ (٤)
ووصف في هذه القصيدة أمر الحمامة والغراب صفة ثانية ، وغير ذلك ،
وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرَفُّعُ في جَرِي كَأَنَّ أَطِيطَه
صَرِيفَ مَحَالٍ تَسْتَعِيدُ الدَّوَالِيا (٥)

(١) « التَّمائيل » لعلها « التَّمائيل » : جمع تَيْتَل . وبدلها في الديوان : « السنادل »
وفي اللسان : « السندل » طائر يأكل البيش . والبيش : نبات سام . والرِّيم :
الظبي الخالص البياض . واليعفور : الظبي لونه كلون العفر .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرها : قطع بقر الوحش . والنواشط : التي تنشط من بلد
إلى آخر . والعين : الواسعات العيون . والنواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام
الأحر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا في قول القائل :
(اللسان وزز ، دور) :

تَلَقَى الإوزينَ في أَكْثافِ دارِها فوضى وَيَينَ يَديها التينَ مَنتورَ

(٤) ومثل هذه الرواية في الديوان . وفي نهساية الأرب ١٠ : (٢٧٨) :
« لما بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أي تسرع في جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف .
والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهي المنجنون أو البكرة العظيمة . وفي الأصل : « يستعيد
الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْر جَوْنٍ لم يُعَدِّ لراكبٍ
سَرَاهُ وَغَيْمٍ ألبس الماءَ دَاجِياً (١)
فصارتُ بها أَيَّامَهَا ثمَّ سَبْعَةً
وستَ ليلٍ دائِباتٍ غَوَاطِياً (٢)
تَشَقُّ بهم تَهْوَى بأحسنِ إمْرَةٍ
كَأَنَّ عَلَيْهَا هَادِياً وَنَوَاتِياً (٣)
وكان لها الجُودِيُّ زِيناً وَغَايَةً
وأصبح عنه مَوْجُهُ متراخياً
[ثم قال] (٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحِمامَةِ خيفةً
رسولاً لهم واللهُ يُحْكِمُ أمرَهُ
فجاءتُ بِقِطْفِ آيَةٍ مُسْتَبِينَةٍ
عَلى خَطْمِهَا واستَوَهَّبتُ ثمَّ طَوَّقَهَا
ولا ذَهَباً ، إِنِّي أَخافُ نِبالَهُمْ
وزِدْنِي على طَوَّقِي من الحَلِيِّ زِينَةً
غَدَاةً غَدَتُ منهم تَضُمُّ الخَوَافِياً (٥)
يُبَيِّنُ لَهُم هل يُونَسُ الثَّوبُ بادِياً (٦)
فأصبحَ منها مَوْضِعُ الطَّيْنِ جادِياً (٧)
وقالتُ أَلَا لا تَجْعَلِ الطَّوْقَ حَالِياً
يُخَالِونَهُ مالى وليسَ بِمالِياً (٨)
تُصِيبُ إِذا أُتِبتِ طَوَّقِي خِضابِياً

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) فى الأصل : « عواطيا » ، ولا وجه له . وفى اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه - أى بالتشديد - : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولى . وفى الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواقي ، مخفف النواقي : جمع نوقى ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى نهاية الأرب والديوان . وفى ط : « حيفة » وفى س : « حيفة » .

(٦) كذا فى الأصل والديوان . ويونس : مخفف يونس : يرى . والرواية فى النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صارلون خطمها كالزعفران . وفى الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا فى الأصل والنهاية . وفى الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدْنِي لَطْرَفَ الْعَيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ وَأُرِثْ إِذَا مَامَتْ طَوْقِي حَمَامِيَا (١)
يَكُونُ لِأَوْلَادِي جَمَالًا وَزِينَةً وَيَهْوِينُ زِينِي زِينَةً أَنْ يَرَانِيَا (٢)
ثم عاد أيضاً في ذكر الدَّيْكَ فقال :

[وَلَا غُرُوْا إِلَّا الدَّيْكَ مُدْمِنُ خَمْرَةٍ نَدِيمِ غُرَابٍ لَا يَعْمَلُ الْحَوَانِيَا] (٣)
وَمَرَّهْنَهُ عَنِ الْغُرَابِ حَبِيْبَهُ فَأَوْفَيْتِ مَرْهُونًا وَخَلَقْنَا مُسَايِيَا (٤)
أَدُلُّ عَلَى الدَّيْكَ إِنِّي كَمَا تَرَى فَأَقْبِلْ عَلَيَّ شَأْنِي وَهَاكَ رِدَائِيَا
أَمْنَتِكَ لَا تَلْبِثْ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً وَلَا نِصْفَهَا حَتَّى تَتُوبَ مَايِيَا (٥)
وَلَا تَدْرِكْنِكَ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا فَأَعْلَقَ فِيهِمْ أَوْ يَطْوِلَ ثَوَائِيَا (٦)
فَرَدَّ الْغُرَابُ وَالرِّدَاءُ يَجُوزُهُ إِلَى الدَّيْكَ وَعَدًّا كَاذِبًا وَأَمَانِيَا
بِأَيَّةِ ذَنْبٍ أَوْ بِأَيَّةِ حُجَّةٍ أَدْعُكَ فَلَا تَدْعُو عَلَيَّ وَلَا لِيَا
فَإِنِّي نَذَرْتُ حُجَّةً لَنْ أَعُوقَهَا فَلَا تَدْعُونَنِي مَرَّةً مِنْ وَرَائِيَا (٧)

(١) كذا في الديوان والأصل . وفي النهاية : « لطرف الطين » وبها أيضاً : « وورث » كما في الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفي النهاية : « وعنوان زيني زينة من ترايبا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويري هذا البيت وما بعده من كتاب الحيوان . الحوالى : الحانات ، مفردها الخانية ، وهذه مثل الحانوت والخانة .

(٤) كذا في الديوان والأصل . وفي النهاية :

ومرهته عند الغراب جبينه فأوفيت مرهونا وخان مسايا !

(٥) في الأصل : « ولا تصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا في الأصل والديوان . وفي النهاية : « فأغلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتين .

(٧) في الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيهما : « دعوة » مكان « مرة » .

تَطَيَّرَتْ مِنْهَا وَاللُّدْعَاءُ يَعُوقُنِي وَأُزْمَعْتُ حَجًّا أَنْ أَطِيرَ أُمَامِيَا
فَلَا تَيَأْسَنْ لِيْ مَعَ الصُّبْحِ بَاكِرٌ أُوَافِيْ غَدًا نَحْوَ الْحَجِيجِ الْغَوَادِيَا (١)
لِحُبِّ امْرِئٍ فَآكَهْتُهُ قَبْلَ حَجَّتِي وَآثَرْتُ عَمْدًا شَانَهُ قَبْلَ شَانِيَا
هِنَالِكَ ظَنَّ الدَّيْكَ إِذْ زَالَ زَوْلُهُ وَطَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ إِلَّا مُفَادِيَا (٢)
فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ طَرَّبَ صَرْخَةً أَلَا يَا غَرَابُ هَلْ سَمِعْتَ نِدَائِيَا
عَلَى وَدِّهِ لَوْ كَانَ ثُمَّ مَجِيْبَهُ وَكَانَ لَهُ نَدْمَانًا صِدْقِ مَوَاتِيَا
وَأَمْسَى الْغَرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا

عَتِيقًا وَأَضْحَى الدَّيْكَ فِي الْقِدِّ عَانِيَا (٤)

١٢٠ فذلِكَ مِمَّا أَسْهَبَ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَنَادَمَ نَدْمَانًا مِنَ الطَّيْرِ عَادِيَا (٥)

-
- (١) ط : « تبتئس » س : « يئأسن » ، وصوابهما مأثبت من النهاية والديوان .
وفي النهاية : « مع الصبح باكراً » .
- (٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف في هذا : زال
زويله وزواله ، كما في القاموس واللسان وأمثال الميداني ١ : ٢٩٦ . وفي ط :
« زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت ما في النهاية .
- (٣) رواية التويري : « لو كان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والندمان المواتي : للتدبير الموافق .
- (٤) عتيقاً : طليقاً حراً ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقصد ، بالكسر :
السير يقصد من جلد غير مدبوغ .
- (٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهبت بلبه . والمعروف في هذا الفعل أن يكون بالبناء
للمفعول . والرواية في النهاية « أسهت » . وفي س : « عاريا » مكان « عاديًا »
وفي نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويًا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت
بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهي عزيزة في المراجع . ولست تجد في شواهد
كتب اللغة والنحو منها إلا قدرًا ضئيلاً . وقد اجتهدت قدر الطاقة في تخريج
ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ما قدرت على تصحيحه .

(ما يلقيم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطَّير ما ^(١) يُلَقِّمُ فراخه مثل العصفور ؛ لأنَّ العصفور لا يزُقُّ .
وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يزُقُّ فراخه ، مثل الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجة تأكل اللَّحْم ، وتلغُ في الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسباً مليحاً ، كيساً بصيراً بما يعيشه ويقوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطير والعصافير لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع ^(٢) ولم تلتقط الحبَّ كالفراريح أولَ ما تخرج من البيض ولم تزقَّها الآباء ولا الأمهات كأجناس الحمام - فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفَرُوج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكله للحم ، وحسوه للدم ، وأكله للديدان وما هو أقدر من الذباب .
والعصفور أيضاً مشارك الطَّباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللُّحمان ، وبين لقط الحبوب وصيد أجناس كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار ^(٣) ،

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفي س : « ترتضع » .

(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام في طيران النمل في الجزء الأول ص ٢٩ .

وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ - ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس في الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحية
من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغنى أنه قد
رجع من قريبٍ من فرسخ . وهي تكون عندنا بالبصرة في الدور ، فإذا
أمكنت الثمار^(١) لم تجد منها إلا اليسير ، فتصير^(٢) من القواطع إلى قاصي
النخل ؛ وذلك أنها إذا مرت بعصافير القرى وقد سبقت إلى ماهو إليها
أقرب ، جاوزتها إلى ماهو أبعد ، ثم تقرب الأيام الكثيرة إلى ماهو
أبعد ، ثم تقرب الأيام الكثيرة المقدار ، في المسافة [إلى] أكثر مما
ذكرت من الفرسخ أضعافاً .

(تحنن العصافير وتعطفها)

والعصافير لا تقيم في دور الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلا ما كان
منها مقبلاً على بيض أو فراخ ؛ فإنه ليس في الأرض طائرٌ أحنى^(٣) على ولده
ولا أشدَّ تعطفاً من عصفور . والذي يدلُّ على أن في طبعها من ذلك ما ليس

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار في الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) في الأصل : « أحن » ، والوجه ما أثبت من ٥ : ٢١٠ .

في طبع سواها من الطير - الذي تجد من إسعاد^(١) بعضهم لبعض ، إذا دخلت الحية إلى جحر بعضهم لتأكل فرخاً ، أو تبتلع بيضاً ؛ فإن لأبوي الفرخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً ، وتدفيماً وترنيماً^(٢) فوق الجحر ودونه وحواليه ، فلا يبقى عصفور من حيث يسمع صياحهما أو يسمع أصواتهما إلا جئنَ أرسالاً^(٣) مُسعداتٍ ، يصنعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس في الأرض أصدق حذراً منه . ويقال إنه في ذلك لأكثر من العقق^(٤) والغراب .

١٢١

وخبرني من يصيد العصافير قال : ربما كان العصفور ساقطاً على حائطٍ سطح بجذائي ، فيغمي صياحه وحده صوته ، فأصيح وأومي إليه يدي^(٥) ، وأشير كأنني أرميه ، فما يطير . حتى ربما أهويت إلى الأرض كأنني أتناول شيئاً ، كل ذلك لا يتحرك له . فإن مسّت يدي أدنى حصاة أو نواة وأنا أريد رميها ، طار قبل أن تستمكن منها يدي .

-
- (١) الإسعاد : الإعانة . وفي الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ما أثبت .
(٢) في الأصل : « وترفيفا » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه في الهواء ولا يطير .
(٣) الرسل - بالتحريك - : الطائفة ، جمعها أرسال .
(٤) العقق - كثعلب - طائر في قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفق بيضه بورق الدلب .
(٥) في الأصل : « فأصيح إليه وأومي يدي » ، ووجه ما أثبت .

(سفاد المصفور وأثره في عمره)

وليس في الطير أكثر عدد سفاد من العصافير ، ولذلك يقال إنها أقصر الطير أعماراً . ويقال إنه ليس شيء مما يألف الناس ويعايشهم في دورهم أقصر عمراً منها . يعنون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والكلاب والسنانير ، والخطاطيف والزرزير ، والحمام والدجاج .

(نقزان المصفور)

ولا يقدر العصفور على المشي ، وليس عنده إلا النقران^(١) ، ولذلك يسمي النقاز ، وإِنَّمَا يجمع رجله ثم يثب ، وذلك في جميع حركاته ، وفي جميع ذهابه ومجيئه . فهي الصعو ، والعصافير ، والنقايز^(٢) . وإن هو مشى هذه المشية - التي هي نقزان - على سطح وإن ارتفع سمكه ، فكأنك تسمع لوطئه وقع حجر ؛ لشدة وطئه ، ولصلابة مشيه . وهو ضد الفيل ؛ لأن إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لما شعرَ به ، لخفة وقع قوائمه ، مع سرعة مشى وتمكين في الخطأ .

(١) النقران : الوثب .

(٢) النقايز : جمع نقاز . وكلمة « فهي » تفيد المساواة في إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لكن الصعو - كما ذكروا - ضرب من صغار المصافير . وفي ط : « فهي الصقور المصافير » ، وهو تحريف صوابه في سن .

(سُبُعِيَّة الرِّخْم والنسر)

والرِّخْم والنَّسْر سِبَاع ، وإِنَّمَا قَصَّرَ بِهَا عَدَمُ السَّلَاحِ . فَأَمَّا الْبَدَنُ
وَالقُوَّةُ فَفَوْقَ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ ، وَلَسَكْنَهَا فِي مَعْنَى الدَّجَاجِ ؛ لِمَسْكَانِ الْبَرَّائِثِ
وَلِعَدَمِ الْمُخَالِبِ (١) .

(وفاء المصافير)

وَلَقَدْ رَأَيْتُمْ سِتُّورًا وَثَبَ عَلَى فَرْخٍ عَصْفُورٍ فَأَخْطَأَهُ (٢) فَتَنَاوَلَ الْفَرْخُ
بَعْضَ الْغُلَمَانِ فَوَضَعَهُ فِي الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَبُوهُ يَجِيءُ حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فَلَمَّا
قَوِيَ (٣) وَكَادَ يَطِيرُ جَعَلَهُ فِي قَفْصٍ ، فَرَأَيْتُمْ أَبَاهُ يَجِيءُ بِتَخَرُّقِ السَّنَانِيرِ وَهِيَ
تَهْمُّ بِهِ ، حَتَّى يَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى فَتُفْتَحُ الْبَابُ ، وَهِيَ تَهْمُّ بِالْوُثُوبِ
وَالِاخْتِطَافِ لَهُ ، حَتَّى يَسْقُطَ عَلَى الْقَفْصِ فَيُنَازِعُهُ سَاعَةً ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَى
الْوَصُولِ سَبِيلًا طَارَ فَسَقَطَ خَارِجًا مِنَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ لَا يَصْبِرُ حَتَّى يَعُودَ . فَكَانَ
ذَلِكَ دَأْبَهُ . فَلَمَّا قَوِيَ فَرْخُهُ أَرْسَلُوهُ مَعَهُ فَطَارَا جَمِيعًا .

وَعَرَفْنَا أَنَّهُ الْآبُ دُونَ الْأُمِّ لِسَوَادِ اللَّحْيَةِ .

(١) النَّسْرُ مِنْ سِبَاعِ الطُّيُورِ ، وَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهَا ، فَهُوَ لَا يَصِيدُ إِلَّا فِي النَّدْرَةِ ،
وَلَا يُخَالِبُ لَهُ بَلْ لَهُ أَظْفَارٌ ، وَلَا يَقْوَى عَلَى جَمْعِ أَظْفَارِهِ وَحَلِّ فَرِيَسَتِهِ كَمَا تَفْعَلُ
الْعُقَابُ بِمُخَالِبِهَا . انظُرْ مَعْجَمَ الْمَعْلُوفِ ٢٦٠ . وَالرِّخْمَةُ تُشْبِهُهُ فِي ذَلِكَ ، كَمَا يَفْهَمُ
مِنْ صَنِيعِ الْجَاخِظِ . وَالْمُخَالِبُ هُوَ ظَنُرُ الطَّائِرِ الصَّائِدِ .

(٢) ط : « فَأَخْصَاء » ، وَصَوَابُهُ فِي س .

(٣) ط : « قَرَب » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(القول في سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوتَ الدِّيكِ كريةٌ في السَّماعِ ، غيرَ مطربٍ ،
قولُ الشاعر (١) :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَارْتَاخَا وَأَمَلَّهُ دِيكَ الصَّبَّاحِ صِيَاخَا
أَوْ فِي عَلَى شُرْفٍ (٢) الْجِدَارِ بَسْدُفَةٍ غَرْدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا

(صغر قدر الدجاج)

قال : ويدلُّ على صِغَرِ قَدْرِ الدَّجَاجِ عندهم قولُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الأعمى : ١٢٢
بِجَدِّكَ يَا ابْنَ أَقْرَعٍ نِلْتَ مَالًا أَلَا إِنَّ اللَّئِمَّ لَهُمْ جُدُودٌ (٣)
فَمَنْ نَذَرَ الزِّيَادَةَ فِي المَهْدَايَا أَقْتَدَجَاجَةً فَيَمْنُ يَزِيدُ (٤)

(أثر كثرة الدجاج في عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثُر الدَّجَاجُ في دارٍ أو إصطبلٍ أو قريةٍ ، لم يكن عددُ
بيضِها وفراريجِها على حسب ما كان يبيض القليلُ منها ويُفرخه (٥) . يعرف
ذلك تُجَّار الدَّجَاجِ وَمَنْ اتَّخَذَهَا لِلغَلَّةِ .

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية في ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو ما يوضع في أعلى القصر . وفي الأصل :
« سعف » : ولا وجه له . وأثبت ما في الديوان .

(٣) الجِد : الحظ ، جمعه جُدود .

(٤) س : « فن حذر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليقه هذه الظاهرة في ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج في مصر)

وهي بِمِصْرَ تَرَعَى كما يَرَعَى الغنم ، ولها راعٍ وَقِيمٌ .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاجِ سريعٌ جداً ، والعادة في صِغارِ فراريجها خلاف ما عليها
نتوءُ فراخ الحمام (١) ؛ لأنَّ الفروج تتصدَّعُ عنه البَيْضَةُ فهو كَيْسٌ ظريفٌ ،
مليحٌ مقبولٌ ، مُحَبَّبٌ ، غنيٌّ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته
من لَقَطِ الحب ، ومن صَيَدَ الذُّبابِ وصغار الطير من الهوامِّ . ويخرج
كاسياً حتى كَأَنَّهُ من أولاد ذواتِ الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديداً
الصوت حديده (٢) ، يُدعى بالنَّقْرِ فَيُجِيبُ ، ولا يقال له : قَرٌ ، قَرٌ ، ثلاث
مراتٍ - حتى يَلْقَنَهُ . فإن استدبره مستدبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتتبع الذي
يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفٌ شيءٌ . ثمَّ
كلما مرَّت عليه الأيَّامُ ماق وحمقٌ ، ونقص كيسه ، وأقبل قبْحُه وأدبر
مِلْحُه (٣) . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان يُحِبُّ له إلى
ضدِّ ذلك ، وبصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه
وفراريجه (٤) ، وذُهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

(١) ط : « . . . فراريجها على ما عليها نثن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والننو :
خُفِّفَ النَّوْءُ أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفي الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحه .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السمن ، ولا تحمل اللحم حتى تكاد تلحقُ بأمها في الجثَّة .

والفرخ يخرج حارضاً^(١) ساقطاً، أنقصَ من أن يقال له مائق ، وأقبح شيء . وهو في ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال^(٢) متفاوت^(٣) الأعضاء ، ضعيفُ الحوصلة^(٤) ، عظيم المنقار . فكلما مرَّت به الأيام زادت في لحمه وشحمه ، وفي معرفته وبصره ، حتى إذا بلغ خرجَ منه من الأمور المحمودة ما عسى لو أنَّ واصفاً تتبَّع ذلك ملأً منه الأجلاد الكثيرة^(٥) . ثم إذا جاز حدَّ الفراخ إلى حدِّ النواهض^(٦) ، إلى حدِّ العتق والمخالب^(٧) ، قلَّ لحمه وذهب شحمه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمَّ وانتهى لم تكن في الأرض دابةً ولا طائرٌ أقلَّ شحمًا ولا أخبثَ لحمًا منه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقبلَ شيئاً من السمن ١٢٣ ولو تخبَّروا له فؤارة^(٨) المسمنات وما يسمن به - ما سمن .

(١) الحارص : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفي صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفي اللسان : أى تمتلئ الأعضاء .

(٣) في الأصل : « متقارب » .

(٤) في الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت في تصحيحه على ما سيأتى من مثل هذا الكلام في ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . في الأصل : « فؤارة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثرت الدجاج)

وسألت عن السبب الذي صار له الدجاج إذا كثرت قل بيضهن
وفراخهن ، فزعموا أنها في طباع النخل ، فإن النخلة إذا زحمت أختها ، بل
إذا مس طرف سعفها طرف سعف الأخرى وجاورتها ، [و]^(١) ضيقت
عليها في الهواء ، وكذلك أطراف العروق في الأرض - كان ذلك كرباً
عليها وعمماً .

قالوا : فتدانيها وتضاغطها ، وأنفاسها وأنفاس أبدانها ، يحدث
لها فساداً .

قال : وكما أن الحمام إذا كثرت^(٢) في الكنة والشريعة^(٣) احتاجت إلى
شمس وإلى ماء تغتسل فيه في بعض الأحيان ، وإلى أن تكون يئوسها مكنوسة^(٤)
في بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلا لم يكن لها كبير بيض . على أنه إذا كان
لها [في الصميمين^(٥)] الدفء في الشتاء والكن في الصيف ، لم تغادر الدهر
كله أن تبيض .

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « كثرت » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف
في البيت . والشريعة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفي الأصل : « الشريعة » ،
وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) للصميمان يراد بهما الصيف والشتاء في أشد حالتهما . وهذه التكملة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة ما اشتق من البيض)

قال صاحب الديك : فخرتم للكلب بكثرة ما اشتق للأشياء من اسم الكلب ، وقد اشتق لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقلانس الحديد : بيض ، وقالوا : فلان يدفع عن بيضة الإسلام ، وقالوا : قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : أنا بيضة البلد . وفي موضع الدم من قولهم (١) : تأتي قضاة أن تدرى لكم نسباً وابننا نزار وأنتم بيضة البلد ويسمى رأس الصوامة والقبة بيضة . ويقال للمجلس إذا كان معموراً غير طول بيض جائمة (٢) ، ويقال للوعاء الذي يكون فيه الحبن (٣) والخراج (٤) وهو الذي يجتمع فيه القمح - بيضة . وقال الأشر بن عبادة :

يكفُّ غروبها ويغضُّ منها وراء القوم خشية أن يلاموا
مظاهرُ بيضتين على دلاصٍ به من وقعةٍ أخرى كلامٌ
وقال النابغة :

فصَّبَحَهُمْ مَلْمَمَةٌ رَدَاحاً كَأَنَّ رُؤُوسَهُمْ بَيْضُ النِّعَامِ

(١) أى قول شاعرهم ، وهو الراعى كما في الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العاملي .
(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدم . وفي الأصل : « الحبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كغراب ، ورم قرح يخرج بداية أو غيرها من الحيوان .

وقال العجيرُ السَّلُولِي (١) :

إِذَا الْبَيْضَةُ الصَّمَاءُ عَضَّتْ صَفِيحَةً مَجْرَبًا مَهَا صَاحَتْ صِيحَاً وَصَلَّتْ (٢)

(شرط أبي عباد في الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبادَ النَمَرِيَّ (٣) قولَ ابنِ مَيَّادَةَ ، وهو الرَّمَّاحُ :

ولقد غدوتُ على الفتى في رحله قَبْلَ الصَّبَاحِ بِمُتَرَعٍ نَشَّاجٍ (٤)
جَادَ القَلَالُ لَهُ بَدْرٌ صَبَابَةٌ حَمْرَاءَ مِثْلَ سَخِينَةِ الأوداجِ (٥) ١٢٤
حُبِسَتْ ثَلَاثَةٌ أَحْرُسٍ فِي دَارَةٍ قَوْرَاءَ بَيْنَ جَوَازِلٍ وَدَجَاجٍ (٦)
تَدَعُ الغَوَى كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ مَلِكٌ يَعَصَّبُ رَأْسَهُ بِالتَّاجِ (٧)

(١) العجير السلولي : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقلد . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزانة ٢ : ٢٩٨ بولاق) . وعده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغاني ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ . وفي الأصل : « المعجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قلدح الخمر . والنشاج : الذي يغلي مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهي الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفي الأصل : « أحرس » وهو تصحيف .

والدارة : الرملة المستديرة . والقوراء : للواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفي ط : « القوى » .

ويظللُ يحسب كلَّ شيءٍ حوله مُجَبَّ العِراقَ نزلنَ بالأحداجِ .

فحين سمعه أبو عبّاد يقول :

حُبست ثلاثةَ أحرُسٍ في دَارةٍ قَوراءَ بَينَ جَوازلِ ودَجاجِ^(١)

قال : لو وجدتُ خمرًا زَيتيةً ذهبيةً^(٢) ، أصفى من عين الديق ، وعين الغراب ، ولعابِ الجُنْدبِ وماءِ المفاصلِ^(٤) ، وأحسنَ حمرةً من النَّارِ ، ومن نَجِيعِ غزالِ^(٥) ، ومن فُوةِ الصَّبَاغِ^(٦) - لما شربتها حتّى أعلمَ أنّها من عصيرِ الأرجلِ ، وأنّها [من]^(٧) نباتِ القرى ؛ ومالم تكدر في الزقاقِ^(٨) ،

(١) النجب هنا : جمع نجبية ، وهى الناقة الكريمة . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .
(٢) فى الأصل : « حست ثلاثة أحرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حلاج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يحال الشيء الدقيق عظيمًا ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالمقتل ثم رحنا نرى الصفور أعظم من يعير

(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بها زيتية ذهبية فلم نستطع دون السجود لها صبرا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صغار ، فيصفر ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جساء فى المعتمد نقلًا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » . وفى تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادق (ف وو) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون منتهيًا بـ تاء ، مثل قوة ، وحوه . وعلى الثانية يكون منتهيًا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ بها ، كما تقول شيء مفوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ، أو كثيرة القوة . وجاء فى صحاح الجوهرى من المسادة الأولى فقط . والفوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقًا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينتفش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظهارة كما تجر ثياب الفوة العرس

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الصباغ » وهو تحريف صوابه ما أثبت .

(٧) التكهلة من س . (٨) س : « ومالم تكدر فى الزقاق » .

وَأَنَّ العنكبوت قد نَسَجَتْ عليها ، وَأَنَّها لم تَصِرْ كذلك إِلَّا وَسَطَ دَسْكَرَةٍ ،
وفى قرية سَوَادِيَّة^(١) وحوها دَجَاجٌ وفراريج . وإن لم تكن رِقْطَاءً أو فيها
رُقْط فإِنَّها لم تَمَّ كما أريد . وأعجَب من هذا أَنِّي لا أُنْتَفِع بِشُرْها حَتَّى يكون
بائعُها على غير الإسلام ، ويكونَ شيخاً لا يُفْصَح بالعربيَّة ، ويكونَ قبيصُهُ
مَنْقَطَعاً^(٢) بالقار . وأعجَب من هذا أَنَّ الذي لا بدَّ منه أَنَّ يكونَ اسمُهُ إنْ كانَ
مُجُوسِيًّا شهرِيًّا ، ومازِيار ، وما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، ويازان .
فإن كانَ يهودِيًّا فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباة ذلك . وإن كانَ نصرانيًّا فاسمُهُ
يُوشع وشمعون وأشباة ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حَمِسَ الشَّرُّ وأَحْمَسَ إذا اشْتَدَّ . ويقال قد احْتَمَسَ الدِّيْكان
احْتِماسًا ، إذا اِقْتَتلا اِقْتِتالا شَدِيدًا . ويقال وَقَعَ الطَّائِرُ يَقَعُ وَقُوعًا . وكلُّ واقِعٍ
فمصدره الوقوع ، ومكانه موقِعَةٌ^(٣) ، والجمع مواقع . وقال الرَّاجِزُ^(٤) :
كَأَنَّ مَتْنِيهِ مِنْ النَّقِيِّ^(٥) مَوَاقِعَ الطَّيْرِ عَلَى الصُّبِيِّ

-
- (١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أى قرأه .
(٢) أى ملوثا به فى مواضع مختلفة . س : « منقطا » .
(٣) فى الأصل : « موقعة » وتصحيحه من الأمال ٢ : ٨ واللسان والقاموس
(وقع ، وهى بفتح القاف وتكسر .
(٤) هو الأخيل كما فى اللسان (وقع ، صن ، نقي) . يصف ساقيا يستقى ماء ملحا .
(الأمال ٢ : ٨) .
(٥) المتنان : مكثفا الصلب . وفى ط : « متنيه » وصوابه فى س ، وما سبق من المراجع .
وفى اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو على . وأنشده ابن دريد
فى الجمهرة : « كأن متنى » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعده :
* من طول إشرافى على الطوى *)

يقال صَفَاً وَصُبِيٌّ . وَالنَّفْيِيُّ : مانى الرَّشَاءَ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَا تَنْفِيهِ مَشَافِرُ
الْإِبِلِ مِنَ الْمَاءِ الْمَدِيرِ (١) . فَشَبَّهَ مَكَانَهُ عَلَى ظَهْرِ السَّاقِ وَالْمَسْتَقَى بِدَرْقِ الطَّيْرِ
عَلَى الصَّفَا .

ويقال « وقع الشيء من يدي وقوعاً ، وسقط من يدي سقوطاً » . ويقال
وَقَعَ الرَّيْبُ بِالْأَرْضِ ، وَيُقَالُ سَقَطَ . وَقَالَ الرَّاعِي :

وَقَعَ الرَّيْبُ وَقَدْ تَقَارَبَ خَطْوُهُ ورأى بَعْقَوْتَهُ أزلَّ نَسُولا

(لُومُ الْفُرُوجِ)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنَا فُرُوجٌ ، وفي الدار سنانيه تُعَابِثُ الْحَامَ وَفِرَاحَهُ ،
وكان الفُرُوجُ يَهْرُبُ مِنْهَا إِلَى الْحَامِ ، فَجَاءُونَا (٢) بِدُرَّاجٍ ، فَفَرَكَ الْحَامَ وَصَارَ
مَعَ الدُّرَّاجِ ، ثُمَّ اشْتَرَيْنَا فُرُوجاً كَسْكَرِيًّا (٣) لِلذَّبْحِ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَفْصِ ، فَفَرَكَ
الدُّرَّاجَ وَلَزِمَ قُرْبَ الْقَفْصِ ، فَجِئْنَا بِدَجَاجَةٍ فَفَرَكَ الدِّيكُ وَصَارَ مَعَ الدَّجَاجَةِ ،
فَدَكَرْتُ قَوْلَ الْفِزْرِ (٤) عَبْدُ بَنِي فِزَارَةَ - وَكَانَتْ بِأُذُنِهِ خُرْبَةٌ (٥) - :

(١) الماء المدير : الذي به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا في س . وفي ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول في الدجاج الكسكري ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العرز » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٤٥ ساسي .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . في الأصل : « خربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كأنه حبشي يبتغي أترآ - أو من معاشر في آذانها الخرب

إِنَّ الْوِثَامَ يَتَبَرَّعُ فِي جَمِيعِ الطَّمْشِ^(١) ، لَا يَقْرَبُ الْعِزْرُ الضَّانَ مَا وَجَدَتْ الْمِعْزَ ،
وَتَنْفِرُ مِنَ الْمُسْخَلَبِ وَلَا تَتَأَنَسُ بِالْحَفِّ . فَجَعَلَهَا كَمَا تَرَى تَنْفِرُ وَلَا تَتَأَنَسُ مِنْزَلَهُ
وَكَذَلِكَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قَلْتُ لِلْمُنْتَجِعِ بْنِ نِبْهَانَ - وَكَانَتْ
بِأُذُنِهِ خَرِبَةٌ^(٢) - أَمَا كَانَ تَمِيمٌ مُسْلِمًا ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي سَمَّى ابْنَهُ زَيْدًا
مِنَاةً فَإِنَّ كَانَ مُسْلِمًا ، وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ فَلَا أَدْرِي . وَلَمْ يَقُلْ : وَإِلَّا يَكُنْ
هُوَ سَمَّاهُ فَقَدْ كَانَ مُسْلِمًا .

(الوثام)

والوثام : المشاكلة . وقالوا : نقول العرب : « لولا الوثام لهلك الأنام^(٣) » .
وقال بعضهم : تأويل ذلك : لولا أن بعض الناس إذا رأى صاحبه قد صنع
خيراً فتشبه به لهلك الناس . وقال الآخرون : إنما ذهب إلى أنس بعض
الناس ببعض ، كذا قال : إنما يتعايشون على مقادير الأنس الذي بينهم ؛ ولو
عمتهم الوحشة عمتهم الهلكة . وقال قوم بن مالك ، في الوثام :
عَلَامَ أَوْأَمِّ الْبِخْلَاءِ فِيهَا فَأَقْعُدْ لَا أُرُورُ وَلَا أُرَارُ

(١) في الأصل : « إن اللؤم يسرع في جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧
بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسي ووحشي . والتزوع : التسرع .

(٢) في الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « هلك اللثام » و : « هلكت جذام » . قال الزمخشري في الأساس
(وأم) : « أي لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان
الهلاك » . وانظر المثل في الميداني ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخطل :

نازعته في الدجى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ

صاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وقفة السَّارِي^(١)

وقال جرير :

لَمَّا مَرَرْتُ عَلَى الدَّيْرَيْنِ أَرْقَى صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ بِالنَّوَاقِيسِ^(٢)

(شعر في الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكَةَ والدَّجَاجَ وأفعالها ، مذكوراتٍ في مواضع

كثيرة ، قال ذو الرُّمَّة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ إِيْغَالُنَّ بِنَا أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ^(٣)

وقال الهذلي^(٤) :

وَمَنْ أَيْنَهَا بَعْدَ إِبْدَانِهَا وَمَنْ شَحِمَ أَثْبَاجَهَا الْهَابِطُ^(٥)

(١) ط : « وقعة الساري » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة في كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديراً واحداً هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير في رثاء ولده ، وهو :

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضاميتين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجاء والمجرور . يريد :

كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج .

والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت في الخزانة

٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفي اللسان (هبط) .

(٥) كذا في ط : واللسان (مادة هبط) . وفي س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعلى .

تَصِيحُ جِنَادِيَهُ رُكْدًا صِيَاخَ الْمَسَامِيرِ فِي الْوَاسِطِ (١)
فَهُوَ عَلَى كُلِّ مَسْتَوْفَزٍ سَقُوطُ الدَّجَاجِ عَلَى الْخَائِطِ

١٢٦

وَقَالَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ (٢) :

ضِيَّعَ مَاوْرَثَهُ رَاشِدٌ مِنْ كَيْلَةِ الْأَكْدَاسِ فِي صَفِّهِ (٣)
غَرَبًا كُدْسٍ قَدْ عَلَا رَمْسَهُ كَالدِّيَكِ إِذْ يعلُو عَلَى رَفِّهِ

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال في المثل للذي (٤) يعطى عطية لا يعود في مثلها : « كَانَتْ بَيْضَةَ

الدِّيَكِ » . فَإِنْ كَانَ مَعْرُوفٌ لَهُ قِيلَ : « بَيْضَةُ الْعُقْرِ (٥) » .

(امستطراد لغوى)

ويقال دجاجة بيوض في دجاج بيض ويبيض ، بإسكان موضع العين

من الفعل من لغة سفلى (٦) مضر ، وضم موضع العين من نظيره من الفعل مع

الفاء من لغة أهل الحجاز .

(١) واسط الرجل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبي الشمقمق . انظر ترجمته في الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضبع ماورثه راشد » .

(٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معروفه . قال أبو عبيد : يقال للبخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميداني

١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) في الأصل : « سفلى » .

ويقال عمد الجرح يعمد عمداً ، إذا عُصر^(١) قبل أن ينضج فوراً ولم يُخرج بيضته^(٢) ، وذلك الوعاء والغلاف الذي يجمع المدّة يسمى بيضة .
وإذا خرج ذلك بالعصر من موضع العين فقد أفاق صاحبه .
ويقال حضن الطائر فهو يحضن حضناً^(٣) .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التّسافد^(٤) من الطير ، والتعاظل من السّباع . ويقال قَطَّ الحمام الحمامة وسفدها . ويقال قَعَا الفحلُّ يقعو قَعُوا ، وهو إرساله بنفسه عليها في ضرابه . والفحل من الحفّ يَضْرِب ، وهو القَعْو والضّراب . ومن الظّلف والحافر ينزو نزواً ، وكذلك السنابير . والظّليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الحفّ والظّلف فإنه يقعو بعد التّسّم . وهو ضراب^(٥) كلّه ما خلا التّسّم . وأما الظّلف خاصّة فهو قَافط ، يقال قَفَطَ يَقْفُطُ قَفْطاً . أو القفط نزوة واحدة . وليس في الحافر إلاّ النّزو .

(حضن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويوضع بيض الطاوس تحت الدّجاجة ، وأكثر ذلك لأنّ الذّكر يعبث بالأثني إذا حضنت . قال : ولهذا العلة كثير من إناث

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .

(٢) في اللسان : « ولم تخرج بيضته » .

(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .

(٤) في الأصل : « السافد » .

(٥) ط : « ضرابه » ، وأثبت ما في س .

طير الوحش يهربن بيضهن من ذكورتها ، ثم لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهن .

قال : ويوضع (١) تحت الدجاجة بيضتان من بيض الطاوس ، لاتقوى على تسخين أكثر من ذلك . على أنهم يتعهدون الدجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخصى (٢) ذكور أجناس الطير تكون في أوان أول السفاد أعظم . وكلما كان الطير أعظم سفاداً ، كانت خصيته أعظم ، مثل الديك ، والقبج ، والحجل .
وخصية العصفور أعظم من خصية مايساويه في الجثة مرتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكل ما كان من الدجاج أصغر جثة يكون أكبر لبيضه (٣) .
وبعض الدجاج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بيضتين في يوم واحد ؛
وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تعريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر في صفة الديك)

وقال آخر (١) في صفة الديك :

ماذا يؤرّقني والنومُ يُعجّبني

مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَثَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ (٢)

كَأَنَّ حُمَاةً فِي رَأْسِهِ نَبَتَتْ . مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ (٣)

وقال الطّرمّاح :

فِياصْبِحُ كَمَشِّ غُبَّرِ اللَّيْلِ مُصْعِدًا بِبِمِّ وَنَبَّةِ ذَا الْعَفَاءِ الْمَوْشِحِ (٤)

إِذَا صَاحَ لَمْ يُخَذَلْ وَجَاوَبَ صَوْتَهُ

حَمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ (٥)

(١) البيتان في اللسان (حمض) والحامسة ١٨٨٣ بشرح المرزوق ومحاضرات الراغب

٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول في اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) في اللسان : « ورعثة الديك : عشونه وحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولاً شديداً ، وله ورقة عظيمة

وزهرة حمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان :

« من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الصيف » .

(٤) سبق البيتان في ص ٢٥٤ ، وفي الأصل : « غير الليل » محرف . وفي ط : « بيم »

وتصحیحه من س والديوان . وفي الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفي س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفروج إذا خرج من بيضه عن حضن الحمام ، كان أكيس له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّائِوسِ إذا لم تحضنه الأنثى التي باضته خرج الفرخ آفياً^(١) وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أهرمت^(٢) الدجاجة فليس لأواخر ماتبيض صفرة . وقد عاينوا للبيضة الواحدة محتين ، خبرني بذلك جماعة ممن يتعرف^(٣) الأمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فروج ولا فرخ ؛ لأنه ليس له طعام يغذوه ويُرِيبه . [والبيض^(٤)] إذا كان فيه محتان وكان البياض وافراً - ولا يكون ذلك للمسنات - فإذا [كان كذلك^(٤)] خلق الله تعالى من البياض فرُوجين ، وتربى الفروجان^(٥) ، وتم الخلق ؛ لأنَّ الفرخ إنما يخلق من البياض ، والصفرة غذاء الفروج .

(١) آفياً : من القماء ، بمعنى الصغر .

(٢) هي صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا في س . وفي ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) ق الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفط الطائر يقفط قفطاً ، وسفد يسفد سفاداً ، وهما واحد .
ويكون السفاد للكلب والشاة . ويقال قفط الحمام يقمط قفا .

ويقال ذرق الطائر يذرق ذرقاً ، وخزق يخزق خزقاً ، ويقال ذلك
للإنسان . فإذا اشتق له من الخدقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه (١) قيل
خرىء ، وهو الخرء والخراء (٢) . ويقال للحافر راث يروث ، وللمعز والشاة (٣) :
بعر يبعر . ويقال للنعام : صام [يصوم] ، وللطير : [نجا] ينجو (٤) واسم نجو
النعام الصوم ، واسم نجو الطير العرة . وقال الطرمح :
فى شَنَاظِي أَقْنِ بَيْنَهَا عَرَّةٌ الطَّيْرِ كَصَوْمِ النَّعَامِ (٥)
ويقال للصبي عقى (٦) ، مأخوذ من العقى .

ويقال لحمت الطير . ويقال لحم طائر كإحلاماً (٧) ، أى أطمعه لحماً واتخذ
له . ويقال هى لحمة النسب . ويقال لحمت الثوب إحلاماً ، ولحمت الطائر
إحلاماً ، وهى لحمة الثوب ، ولحمة ، بالفتح والضم .

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراء » .

(٣) فى الأصل : « والشاة » ، ووجه ما أثبت .

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شَنَاظِي الْجِبَالِ : أَعَالِيهَا وَأَطْرَافُهَا وَنَوَاحِيهَا ، وَاحِدَتُهَا شَنْظُوةٌ » .

و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة

الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى س هكذا : « فى شَنَاظِي أَمْرُهَا » . وانظر

ديوان الطرمح ٩٧ و اللسان (شَنْظُ وَأَقْنِ) .

(٦) فى الأصل : « عقى* » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائر كإحلاماً » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودة قولهم في الشراب : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ
الدِّيكِ » وإذا وصفوا عين الحمام الفقيع ^(١) بالحمرة ، أو عين الجراد قالوا :
كأَنَّهَا عَيْنُ الدِّيكِ . وإذا قالوا : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الغراب » فإِنَّمَا يريدون ١٢٨
حدِّته ونفاذَ البصر .

(ما قيل في عين الديك)

وفي عين الديك يقول الأعشى :
وكأسٍ كعينِ الدِّيكِ باكرتُ حدَّها
بغررتها إذ غابَ عنها بُغاتها ^(٢)
وقال آخر ^(٣) :

وكأسٍ كعينِ الديك باكرتُ حدَّها
بفتيانِ صِدقِ والنَّواقيسِ تُضربُ

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) في ديوان الأعشى ٦٠ : « كاء النىء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح
واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات
الراغب ١ : ٣٢٨ . وفي الديوان : « إذا غاب عنى » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، في الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر (١) :

قَدَّمْتُهُ عَلَى عُقَارٍ كَعَيْنِ الدِّيبِ كِ صَفَى زَلَالَهَا الرَّأْوُوقُ

وقال الآخر (٢) :

ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ وَشَهْرًا مُجْرَمًا نَضِيءُ كَعَيْنِ الْعُرْفَانِ الْمَجَابِبِ

وَالْعُرْفَانِ مِنْ أَسْمَاءِ الدِّيبِ ، وَسَمَاهُ بِالْمَجَابِبِ كَمَا سَمَاهُ بِالْعُرْفَانِ .

(وصف الماء الصافي)

وإذا وصفوا الماء والشراب بالصافي قالوا ، كأنه الدَّمع ، وكأنه ماء قَطْر ، وكأنه [ماء] (٤) مَفْصِل ، وكأنه لعاب الجندب . إِلَّا أَنَّ هَذَا الشاعِر قال :

مَطْبَقَةٌ مَلَانَةٌ بَابِلِيَّةٌ كَأَنَّ حُمَيْهَا عُمُونَ الْجَنَادِبِ (٥)

(١) هو عدى بن زيد العبادى كما فى الأغاني ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ :

١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعين الـديك صنـى سلافها الراووق

وفى الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح الـمسك صنـى سلافها الراووق

وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت قينة فى يمينها لبـريق

(٢) هو عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) فى الأصل ، وكذا فى اللسان : « محرما » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت . يقال حول مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس . و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيهما الكلام .

(٥) حيا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . فى ط : « حليها » وتصحيحه بن س .

وقال آخر (١) :

وَمَا قَرَقَفُ مِنْ أَدْرَعَاتٍ كَأَنَّهَا إِذَا سُكِبَتْ مِنْ دَنْهَا مَاءٌ مَفْصِلٍ (٢)

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماءٌ بين السَّهْلِ والجَبَلِ . وقال أبو ذؤيب :

مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٍ نِتَاجُهَا تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ (٣)
وقال ابن نجيم (٤) : إِنَّمَا عَنَوْنَا مَفَاصِلَ فِقَارِ الْجَمَلِ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَفْصِلٍ حُقًّا ، فَيَسْتَنْقِعُ فِيهِ مَاءً (٥) لَا تَجِدُ مَاءً أَبْدَأُ أَصْنَى وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ
وإن رِقَّ (٦) .

(١) هو كثير ، كما في ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أدْرَعَاتُ : بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهي ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهي الناقة التي ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقيل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النخل أو ألبان عوذ مطافل
وانظر الحديث عنه في البيان ١ : ٢٧٨ وأمال المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ في شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمعي ويحيى بن نجيم وأبي مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحداً منهم قصد إلى شعر في النسب فأنشده . » وقد ذكره ابن النديم في الفهرست (١٧٠ ليبسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التي قيلت في الغريب . وفي أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت ما في س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفي ط بعد هذا زيادة ليست في س فحذفتها ، وهي : « ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر السكلب وسمعه)

وقال مرّة قطرب ، وهو محمد بن المستنير^(١) النحوي : « والله لفلان

أبصر من كلب ، وأسمع من كلب ، وأشم من كلب » ! . فقيل له : أنشدنا
في ذلك ما يشبه قولك . فأنشد قوله^(٢) :

يا ربّة البيتِ قومي غيرَ صاغرة حطّى إليك رجال القومِ فالقربا^(٣)
١٢٩ في ليلةٍ من جمادى ذاتِ أنديّةٍ لا يبصرُ السكلبُ من ظلمائها الطنبا^(٤)
لا يتدبّحُ السكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يجرَّ على خيشومه الذنبا^(٥)

(١) في الأصل : « المنتشر » وصوابه ما أثبت . لازم محمد بن المستنير سيويه ، وكان
يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان
قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبي دلف العجل وأدب ولده . توفي
قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمي السعدي ، كما في الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغاني
٢٠ : ١٠ ومعجم المرزباني ٣٨٣ ، وكما سيأتي بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رجال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب
في الجاهلية ضموا إليهم رحله ، وبقي سلاحه معه لا يؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة
يخاطب امرأته : ضمى إليك رجال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ؛ فإنهم عندي في عز وأمن
من الغارات . (الأغاني ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أي لا ينبج غير نبجة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدف به .
ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأشدد هذا البيت في ثُقوب بصره ، والشعر لمرّة بن مُحكَّان السعدي^(١) :
ثمَّ أنشدَ في ثُقوب السَّمع :

خَفِيَ السُّرَى لَا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطَأَهُ

أَي دُونَ نَبْحِ الكَلْبِ وَالكَلْبُ دَابِبٌ^(٢)

(خصال القائد التركي)

قال أبو الحسن : قال نصر بن سيارٍ اللبثي^(٣) : كان عظماءُ التُّركِ يقولون للقائد العظيم القيادة : لا بدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامي مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان في عصر جرير والفرزدق فأخلا ذكره لنباهتهما في الشعر . كان مرة شريفاً جواداً ، وكان أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال في ذلك الأبيرد الرياحي :

حبست كريماً أن يجود بماله ستعرف مافي قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير . وذلك أن الحارث بن أبي ربيعة كان والياً على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه مرة بن محكان رجلاً ، فلما أراد إهضام الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت في القضاء فإنه إذا ما إمام جار في الحكم أفصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإني مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع في رأس الأمير المهندا

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن سيفي في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغاني ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أي دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ وولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصوناً وغمم كثيراً ؛ وأقام بمرور ، وقد انتبه إلى استفحال الدعوة العباسية ، فكتب إلى بني مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتقلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومن ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الرى وهمدان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير^(١) وروغان الثعلب ، وختل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركي ، وهداية الحمام^(٢)] .
وقد كتبنا هذا في باب ما للدجاج والديك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسَّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خصلةً واحدةً وأعطى جنس الدجاج خصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر في الديك)

وعَبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال : كان مكحولاً يسافر بالديك .

وعنه في هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّيكُ صِدِّيقِي ، وصديق صديقي ، وعدُوُّ عدُوِّ الله ، يحفظ داره وأربَع دُور من حوالبه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَدْبُجُوا الدِّيكَ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُفْرَحُ بِهِ^(٣) » .

(١) أصل معنى الحملة : الكرة في الحرب . قال الثعالبي في ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بجرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر في طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكري ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تم الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلا وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربعٌ أباهر ، وأربعٌ كلّي^(١) ، وأربعٌ خوافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خوافٍ ، وسائرُه لقب .

(الكف والرُّكبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلُّ شيءٍ من ذوات الأربع فركبتاه في يديه ، وركبتا الإنسان في رجليه ، قال : والإنسان كفه في يده ، والطائر كفه في رجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفي الفم ثنيتان ورباعيتان ونابان وضاحكان وأربعةٌ أرحاءٍ سوى ضيرس الحُكْم^(٢) . والنواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل^(٣) .

(١) في الأصل : « أربع أباهن وأربع طلي » ، وهو تحريف ما أثبت . انظر أدب الكتاب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحُكْم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء في أدب الكتاب ١١٦ : « والنواجذ : ضرس الحلم » .

(٣) أي مثل ما ذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الديك : والدَّجَاجَةُ يُتَفَاعَلُ بِذِكْرِهَا ، ولذلك لما
ولد لسعيد بن العاص عَنبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أى شئ
تَنَحَّلُهُ (١) ؟ قال : دَجَاجَةٌ بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابن
أمةٍ ولم يكن ابن حرة . فقال سعيد - أو قيل له - : إن صدق الطائرُ
ليكوننَّ أكثرهم ولدأ !
فهم (٢) اليوم أكثرهم ولدأ ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر في الدجاج)

وقال الشاعر (٣) :

غَدَوْتُ بِشَرَبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ أبا الدهناء من حلب العصير
وأخرى بالعقنقل ثم سِرْنَا نرى العصفور أعظم من بعير
كَأَنَّ الدَّيْكَ دِيكَ بِنِي مُمَيْرٍ أمير المؤمنين على السَّيرِ
كَأَنَّ دَجَاجَهُمْ فِي الدَّارِ رُقْطًا بنات الروم في قُصْرِ الحَرِيرِ
فَبْتُ أرى الكواكبَ دَانِيَاتٍ يَنَلْنَ أذَامِلَ الرَّجُلِ القَصِيرِ
أدافعهنَّ بالكفينِ عَنِّي وأمسحُ جانبَ القَمَرِ المُنِيرِ

(١) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعته في هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجاج)

قال : ويوصف بالدُّعاء وبالمنطق ، قال لبيد بن ربيعة :
وصدَّهُمْ مَنْطِقُ الدَّجَاجِ عَنِ الْقَصْرِ د وَضَرْبُ النَّاقُوسِ فَاجْتَنِبَا
وقال :

لَدُنْ أَنْ دَعَا دَيْكُ الصَّبَاحِ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدْرِ وَرِدِ الْخَامِسِ الْمُتَأَوِّبِ

(دعابة أعرابي ، وقسمته للدجاج)

قال أبو الحسن : حدثنى أعرابيٌّ كان ينزل بالبصرة قال : قدِم
أعرابيٌّ من البادية فأنزلته ، وكان عندي دجاجٌ كثير ، ولى امرأةً وابنان
وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بادري واشوى لنا دجاجةً وقدميها إلينا
نتغداها^(١) فلما حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتى وابنتى وابنتاى
والأعرابيِّ . قال : فدفعنا إليه الدجاجة فقلنا له : اقسِمْها بيننا - نريد
[بذلك^(٢)] أن نضحك منه - فقال : لا أحسنُ القِسْمَةَ ، فإن رضيتم
بقسْمَتِي قسْمَتُهَا بينكم . قلنا : فإننا نرضى . فأخذَ رأسَ الدجاجة فقطعه^(٣)
فناولنَّيْهِ وقال : الرَّأْسُ للرَّأْسِ^(٤) . وقَطَعَ الجناحين وقال : الجناحان

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هذه القصة
١٠ : ٢٢٣ وفيها : « تتغداها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ :
« تتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ما أثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثم قطع السّاقين فقال : السّاقان للابنتين . ثم قطع الزمكي
وقال : العجز للعجز^(١) . وقال : الزور للزائر^(٢) قال : فأخذ الدجاجة بأسرها
وسخر بنا . قال : فلما كان من الغد قلت لامرأتى : اشوى لنا خمس
دجاجات . فلما حضر^(٣) الغداء . قلت : اقسّم بيننا . قال : إني أظن أنكم
وجدتم^(٤) في أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد في أنفسنا فأقسّم . قال : أقسم
شفعاً أو وترأ ، قلنا : اقسّم وترأ . قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة .
ثم رمى إلينا بدجاجة . ثم قال : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثم رمى إليهما
بدجاجة . ثم قال : وابنتك ودجاجة ثلاثة . ثم رمى إليهما بدجاجة .
ثم قال : أنا ودجاجتان ثلاثة . وأخذ دجاجتين وسخر بنا . قال :
فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلكم كرهتم قسمتي^(٥)
الوتر لا يجيء إلا هكذا ، فهل لكم في قسمة الشفع ؟ قلنا : نعم . فضمهن
إليه ، ثم قال : أنت وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال :
والعجوز وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ، ثم قال : أنا

(١) العجز : جمع عجوز . وفي نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكي :
أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء في الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور
وقال . . . الخ .

(٣) في الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) في الأصل : « قسمة » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَاتٍ أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلاث ، ورفَعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمْتَنِيهَا !

(قول صاحب السكاب في كيس الفروج)

قال صاحب السكاب : [أمَّا قولهم^(١)] : من أعظم مَفَاخِرِ الدِّيَكِ
والدَّجَاجِ على ساء الحيوان ، أنَّ النَّرْجُوحَ يخرج من البيضة كاسيا يكفى
نفسه ، ثمَّ يجمع كَيْسَ الحِلْقَةِ وكَيْسَ المَعْرِفَةِ ، وذلك كُلُّهُ مع خُرُوجِهِ من
البيضة - فَقَدْ زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد العنكبوت يأخذُ في النَّسجِ ساعةً
يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملُ شاقٍّ ولطيفٍ دقيق ، لا يبلغه النَّرْجُوحُ
ولا أبو الفَرُوجِ !!

على أنَّ مامدَحوا النَّرْجُوحَ به من خُرُوجِهِ من البيضة كاسياً ، قد شَرِكَهُ
في حاله غيرُ جنسه . وكذلك ذوات الأربع كلها تُولد كواسياً كواسب ،
كولد الشاء .

وفِراخُ القَبَجِجِ والدَّرَاجِ ، وفِراخُ البَطِّ الصِّينِيِّ في ذلك كُلُّهُ لاحِقَةٌ
بالفراريج ، وتزيدُ على ذلك أنَّها تزداد حُسناً كُلِّما كَبِرَتْ . فقد سقط
هذا المخر .

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعره هزلي في الديك)

ومن الشعر الذي قيل في الديك ، مما يُكْتَب للهزل وليس للجدِّ
والفائدة ، قولُ أبي الشَّمَمَق :

هَتَفْتُ أُمَّ حُصَيْنٍ ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ يَنْدِيكَ
فَتَحْتُ فَرْجاً رَحِيباً مِثْلَ صَحْرَاءِ الْعَتِيكَ
فِيهِ وَزٌّ فِيهِ بَطٌّ فِيهِ دُرَّاجٌ وَدِيكَ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : ومما فيه ذِكْرُ الدَّجَاجِ وليس من شِكْلِ ما بَنَيْنَا كَلَامَنَا عَلَيْهِ ،
وَإِكْنَتُهُ يُكْتَبُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَجَبِ . قال : قال الهامرز . قال صاحب
الأهواز (١) : مارأينا قوماً أعجب من العَرَبِ ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ
فكَلَّمْتُهُ فِي حَاجَةٍ لِي إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَكُنْتُ قَدْ ظَلَمْتُ فِي الْخِرَاجِ ، فَكَلَّمَنِي
فَأَحْسَنَ إِلَيَّ وَحَطَّ عَنِّي ، فَأَهْدَيْتُ إِلَيْهِ هَدَايَا كَثِيرَةً فَغَضِبَ وَقَالَ : إِنَّا
لَا نَأْخُذُ عَلَى مَعُونَتِنَا أَجْراً ! فَلَمَّا كُنْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ سَقَطْتُ مِنْ رِدَائِي
دَجَاجَةٌ فَأَحْقَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : هَذِهِ سَقَطَتْ مِنْ رِدَائِكَ . فَأَمَرْتُ لَهُ
بِدِرْهَمٍ ، ثُمَّ لِحِقِنِي بِالْأَبْلَةِ (٢) فَقَالَ : أَنَا صَاحِبُ الدَّجَاجَةِ ! فَأَمَرْتُ لَهُ

(١) في القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فعمل وجه الكلام :

« قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبله : بلد بالعراق على شاطئ دجلة .

بدرهم ؛ ثمَّ لحقني بالأهواز فقال : أنا صاحب الدجاجة ! فقلت له : إن رأيت زادي بعد هذا كله قد سقط فلا تُعلمني ، وهو لك !!

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبي العاصي بن الربيع بن عبد العزّي ابن عبد شمس^(١) ، وهو زوج زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم ولأخيه كنانة بن الربيع^(٢) : جرو البطحاء^(٣) .

(المورياتي وأسطورة البازي والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثل الذي ضربه المورياتي^(٤) للديك والبازي : وذلك أن خلاد بن يزيد^(٥) الأرقط ١٣٢

(١) كان أبو العاصي قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه في منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمّه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له في السيرة ٤٦٦ - ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أي بطحاء مكة ، وهو مسيل واديا . وفي ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكنتي بأبي أيوب ، ونسب إلى موريات : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفي سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ ليسك و ١٥٦ مصر . وفي ط : « زيد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيوب المورياتي جالس في أمره ونهيه ، إذ أتاه رسولُ
أبي جعفرٍ فانتقع لونه^(١) ، وطارت عصفيرُ رأسه^(٢) ، وأذن بيومٍ
بأسه^(٣) ، وذعرٌ ذعراً نقضَ حُبوته^(٤) ، واستطار فؤاده^(٥) ، ثمَّ عاد طلقَ
الوجه ، فتعجبنا من حاله وقلنا له : إنك لطيفُ الحاصَّةِ قريبُ المنزلة ، فلمَ
ذهب بك الذعرُ واستفرغك الوجل^(٦) ؟ فقال : سأضرب لكم مثلاً من
أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازيَّ قال للديك : ما في الأرض شيءٌ أقلُّ وفاءً منك !
قال : وكيف ؟ قال : أخذك أهلك بيضةً فحصنوك ، ثمَّ خرجت على أيديهم
فأطعموك على أكفهم^(٧) ، ونشأت بينهم ، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو
منك أحدٌ إلاَّ طرت هاهنا وهاهنا وضججت وصحمت . وأخذتُ أنا من
الجهال [مُسبِّاً^(٨)] فعلموني وألفوني^(٩) ، ثمَّ يخلى عني فأخذ صيدى

- (١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .
(٢) يضرب للذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصفير عند سكونه ، فلما ذعر
طارت . الميداني (١ : ٣٩٦) .
(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفي التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من
الله ورسوله » أى كونوا على علم .
(٤) أصل الحياة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون
في جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا للأمر هام .
(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه في س . واستطار بمعنى انتزع . وفي اللسان : « استطار
فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعاً » .
(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفي ط : « استفرغك » وأثبت
ما في س .
(٧) في الدميري وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفي
الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك في أكفهم » .
(٨) الزيادة من الوفيات . وفي الدميري : وقد كبرت سنى » .
(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفاً . وفي الوفيات : « وألفوا بي » ، محرقة . وفي الدميري :
« وأونس » .

في الهواء فأجىء به إلى صاحبي . فقال له الديك : إنك لو رأيت من البراة
في سفايدهم مثل ما رأيت من الديوك لكنت أنقرم مني !
ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ، لم تتعجبوا من خوفى ، مع ما ترون من
تمكن حالى (١) .

(استجادة الخيل والكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر محمد بن سلام عن سعيد بن صخر (٢)
قال : أرسل مسلم بن عمرو (٣) ، ابن عم له إلى الشام ومصر يشترى له
خيلاً ، فقال له : لا علم لى بالخيلى - وكان صاحب قنص - قال : ألت
صاحب كلاب ؟ قال : بلى . قال : فأنظر كل شيء تستحسنه فى الكلب
فاستعمله فى الفرس . فقدم بخيل لم يكن فى العرب مثله (٤) .

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبى أيوب . وقد سبق فى ترجمته أنه كان متمكن الحال
لدى المنصور . وقد وقع ما كان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ
أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمى ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده
أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخارى ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربى ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعى صاحب
مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة فى حرب « مسكن » التى كانت
بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان فى سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر
الأغاني ١٧ : ١٦١ - ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العامل يذكره هو ،
ومصعبا ، وابن الأشر :

نحن قتلنا ابن الحواري مصعبا أخا أسد والمدحجى اليماني
ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاوي

(٤) انظر هذا الخبر فى العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمد بن سلام . استأذن رجلٌ على امرأةٍ فقالت له : ماله من حاجةٍ (١) . قالت الجارية : يريد أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الديك إلى الدجاجة !

(هرب الكميت من السجن متنكراً بثياب زوجته)

محمد بن سلام عن سلام أبي المنذر (٢) قال : حبس خالد بن عبد الله (٣) الكميت بن زيد ، وكانت امرأته تختاف إليه في ثيابٍ وهيئة ، حتى عرفها البوابون ، فلبس يوماً ثيابها وخرج عابهم . فسُمي في شعره البوابين النوايح ، وسُمي خالداً المشلى (٤) :

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ ليسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم في عداد المجبرة ، وقال : « يكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » وروى خبراً له في الإخبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له : ما هذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم (١٨٠ ليسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسرى ، والخبر الآتى مفصل تفصيلاً في الأغاني

١٥ : ١١٤ - ١١٥ .

(٤) المشلى : الذى يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قَدَحَ ابنِ مُقْبِلٍ^(١)
على الرَّغْمِ من تِلْكَ النَّوَابِحِ والمَشْطَلِ
على ثِيَابِ الغَانِيَاتِ وتَحْتَهَا صَرِيمةٌ عَزَمَ أَشْبَهَتْ سَلَةَ النَّصْلِ^(٢)

(فتيا الحسن في استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَمُ قال : سمعتُ فلاناً البَقَالَ يسأل الحسنَ^(٣) قالَ :
إنَّ الصَّبِيانَ يأتُونَنِي ببيضَتَيْنِ مكسورتين ، يأخذون مِنِّي صحِيحةً واحدة .
قال : ليس به بأس .

(أرحام الكلاب)

محمد بن سلام عن بعض أشيائه قال : قال مُصْعَبُ بن الزُّبَيْرِ على ١٣٣
منبر مسجد البصرة ، لبعض بني أبي بكر^(٤) : إنما كانت أممكم مثل الكلبة ،
ينزؤ عليها الأعفر والأسود والأبقع ، فتؤدى إلى كل كلب شبيهه .

(١) هو قدح من قداح الميسر، كان لبني عامر بن صعصعة ، لا يجعل في القداح إلا خرج
فأزأ أبدا . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ في الحديث
عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحدا ألج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم
الطرماع بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما
في الأمالي ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كأزه من المش والتقايب بالكف أفضح

خروج من الغمى إذا صك صكة بدا والعيون المستكفة تلح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفي س : « صلة
النصل » . وفي الأغاني :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيح بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا في هذا الموضع هجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب
المنجابه ، وأن ذلك من صِحَّة طِبَاع الأرحام ، حين لا تختلط النُطْف فتجىء
جوارحُ الأولاد مختلفةً مختلطة .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : في وصية عثمان الخياط للشطار اللصوص :
إيَّاكم إيَّاكم وحبَّ النساءِ وسماعَ ضربِ العود ، وشربَ الزبيب المطبوخ ،
وعليكم باتخاذِ العِلْمَان ؛ فإنَّ غلامك هذا أنفعُ لك من أخيك ، وأعونُ لك من
ابنِ عمِّك ، وعليكم ببَيْدِ التَّمْرِ ، وضربِ الطُّنْبُور^(١) ، وما كان عليه السلف
واجعلوا النُّقْلَ باقلاءً ، وإن قدرتم على الفُسْتَقِ ، والرَّيْحَانِ شاهَسْفَرَم^(٢) ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم تهمرة . وكان تدلى إلى النبي صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة - أى خشية مستديرة في وسطها مخز للجلل تدور على
محور - لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك
بأبي بكرة . توفي أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، في خلافة عمر .
الإصابة ٨٧٩٤ - وانظر ١٤٣ من باب السكبي والمعارف ١٢٥ والروض الأنف
٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء
في اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت
في كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (في تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب
إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفي الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى الْيَاسِمِينَ ^(١) . وَدَعَا لُبْسَ الْعِمَامِ وَعَلَيْكُمْ بِالْقِنَاعِ . وَالْقَلَنْدَسِرَةَ
كُفْرًا ، وَالْحَفَّ شِرْكًَ وَاجْعَلْ لَهْوَكَ الْحَمَامَ ، وَهَارِشِ السِّكْلَابَ وَإِيَّاكَ
وَالسِّكْبَاشَ وَاللَّعِبَ بِالصُّقُورَةِ وَالشَّوَاهِينَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفَهُودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : وَالذِّيكَ فَإِنَّ لَهُ صَبْرًا وَنَجْدَةً ، وَرَوَّغَانَا
وَتَدْبِيرًا ، وَإِعْمَالًا لِلسَّلَاحِ ، وَهُوَ يَبْهَرُ بِهَرِ الشُّجَاعِ .

ثم قال : وَعَلَيْكُمْ بِالرُّدِّ وَدَعَا الشُّطْرَنْجَ لِأَهْلِهَا ، وَلَا تَلْعَبُوا فِي التُّرْدِ إِلَّا
بِالطَّوِيلِينَ . وَالرُّدُّ رَأْسُ مَالٍ كَبِيرٍ ، وَأَوَّلُ مَنَافِعِهِ الْحَذَقُ بِاللَّقَفِّ .
ثمَّ حَدَّثَهُمْ بِحَدِيثِ يَزِيدِ بْنِ سَعُودِ الْقَيْسِيِّ .

(مَا يَصِيدُهُ السِّكْبُ الْأَسْوَدُ الْبَهِيمُ)

وقال صاحب الديك : ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ النَّضْرِ ، عَنْ
أَبِي أُمَيَّةَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَعْلَمِ قَالَ : كَانَ الْحَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ يَكْرَهُ صَيْدَ السِّكْبِ
الْأَسْوَدِ الْبَهِيمِ .

(قَصِيدَةُ ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ فِي السِّكْبِ وَالْفَهْدِ)

وَأُنشِدُ صَاحِبَ السِّكْبِ قَوْلَ أَحْمَدَ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ^(٢) فِي صِفَةِ صَيْدِ
السِّكْبِ ، قَصِيدَةً طَوِيلَةً أَوْ كَلِمًا :

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « ثم إن قدرتم على الياسمين »
وكلمة « ثم » أو « تم » هي تحريف الميم الذي كان ينقص كلمة « شاهسفرم »
في الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساقط القول .

(٢) ابن أبي كريمة من معاصري الجاحظ . وانظر خببرين طريفيين له مع الجاحظ
في الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

- وَعَبَّ غَمَامٍ مَزَّقَتْ عَنْ سَمَائِهِ شَامِيَّةٌ حَصَائِكُ جُونِ السَّحَابِ (١)
 مُوَاكِهٍ طَلَقَ لَمْ يَرُدُّدْ جَهَامَهُ تَذَاوِبُ أَرْوَاحِ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ (٢)
 بَعَثَتْ وَأَثَابُ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّصَتْ لُغْرَةٌ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ ثَاقِبِ (٣)
 وَقَدْ لَاحَ نَاعِيِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّهُ لَسَارَى الدُّجَى فِي الْفَجْرِ قَنْدِيلُ رَاهِبِ (٤)
 بِهَالِيلَ لَا يَشْنِيهِمْ عَنْ عَزِيمَةِ وَإِنْ كَانَ جَمَّ الرَّشْدِ، لَوْمَ الْقَرَائِبِ (٥)
 بَتَجَنِّيبِ غَضْفٍ كَالْقِدَاحِ لَطِيفَةٍ مُشْرَطَةٍ آذَانَهَا بِالْمَخَالِبِ (٦)

(١) غب غمام : أى بعده . والشامية : الريح الشمالية التي تهب من ناحية الشام .
والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هذا الغمام واجهه هواء طلقا : لاحارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذاب
أى لم تجي من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هذا الغمام . وجاء البيت
محرفاً على الوجه التالى - وأثبت صوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث
توجد هذه القصيدة - :

مواجهه طلق لم يرد رجامها تذاب بأرواح الصبا والجنائب

(٣) الفرة : أصلها البياض في الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية في النهاية :
« بغرة » وما هنا أجزل . وفى س : « لعة » وهو تحريف . والصحيح المشهور :
الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهور » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .

(٤) قنديل الراهب يعنى به أبدا ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبي كريمة
إلى امرئ القيس في قوله :

يضئ سنه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل

(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت »
في البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية :
« الأقارب » في نهاية الأرب . فإتما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى
عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الكلاب : أراد به قيادتها ،
كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالمخالب أمانة
من أمارات فرائدها ونشاطها وقوتها في العدو . ومثله قول أبي نواس في ص ٢٩
من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شبا أظفاره *

وقوله في ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله في ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

١٣٤	طوال الهوادي كالقذاح الشواذب (١)	تخالُ سِيَّاطاً في صـلاها مَنُوطَةً
	عجاجاً وبالكدان نار الحياحب (٢)	إذا افترشتُ خبتاً أثارَتْ بمتنِه
	سهامُ مغالٍ أو رجومُ الكواكب (٣)	يفوتُ حُطَّاهَا الطَّرْفُ سَبَقاً كَأْتِهَا
	بطامسة الأرجاء مرَّت المسارب (٤)	طِرَادُ الهوادي لاحها كلَّ شتوَةٍ
	رأتُ شَبَحاً لولا اعتراضُ المناكب (٥)	تكادُ من الأَحراجِ تنسلُّ كُلِّمَا
	مرايضُ أبناءِ النِّفاقِ الأَرانبِ (٦)	تسوفُ وتوفى كلَّ نَشْرٍ وفدْفِدٍ
	أُنينُ المَسكَاكي أوصريرُ الجنادبِ (٧)	كَانَ بها ذُعراً ، يُطِيرُ قَاوِبَهَا

(١) منوطة في صلاحها : معلقة في مغرز ذنبها ، ولعله عنى وجود حافظ دائم يحفزها على العدو . وبالأصل : « من سلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادي : الأعناق . والشواذب من قذاح الميسر : الذي ضمير من كثرة المدالة والتقليب . وفي الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفي ط : « جبتا » وفي س : « جبتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والكدان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفي الأصل : « بالكدان » . ونار الحياحب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغال بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادي ، أي أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضرمتها . وطماسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحي ، أو لا أثر بها لسالك لما يسقى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفزة المسالك . وفي الأصل : « بطامية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمسي إنما يكون مع الخصب . وهي على الصواب الذي أثبت في نهاية الأرب .

(٥) الأخراج : قلائد الكلاب ، واحدها حرج بالكسر . وفي الأصل : « الأخراج » وليس بشيء . و « تنسل » هي في الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرايض : تشمها لتتعرف ما بها . وتوفى النشز : أي تأتى المكان المرتفع . والفدغد : الفلاة لاشيء بها . والنفاق : جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المسكاكي : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الكاف ، طائر من القنابر ، له صغير حسن ، وتصعيد في الجو وهبوط ، وهو في ذلك يمشو أي يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التي تبني أفاحيصها في الأرض . انظر معجم المملوف ١٤٧ - ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكَّبت في بَراطِلٍ كجُمر الغَضَى خُزراً ذِرَابُ الأَنَائِبِ (١)
إِذَا مَا اسْتَحِثَّتْ لَمْ يُجِنَّ طَرِيدَهَا لَهْنَ ضَرَاءٌ أَوْ مَجَارِي المَذَانِبِ (٢)
وإن باصها صلتاً مَدَى الطَّرْفِ أَمَسَكَتْ عَلَيْهِ بَدُون الجُهدِ سُبُلَ المَذَاهِبِ (٣)
تسكادُ تَفَرَّى الأَهْبُ عنها إِذَا انتحت
لنَبْأةِ شَخْتِ الجِرْمِ عارى الرُّواجِبِ (٤)

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحي ، أو هو المعول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء في نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر هـع المواع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب في شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفي الأصل : « خزر » وإيمه هى صفة « عيوننا » . و « ذراب الأنايب » : حداد الأنايب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنايب أصلها « الأنايب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك الحجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يجن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب - كنبير - وهو المسيل ، أو المسيل فى الخضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولاوجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتنا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشقق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :

لا يذخران من الإيفال باقية حتى تسكاد تفرى عنهما الأهب
والشخت : الضامر الدقيق لامن هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كَأَنَّ غَصُونَ الْخَيْزُرَانِ مُتَوْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي طِرَادِ الثَّعَالِبِ (١)
 كَوَاشِرُ عَنْ أُنْيَابِهِنَّ كَوَالِحٌ مُذَلِّقَةُ الْأَذَانِ شَوْسِ الْحَوَاجِبِ (٢)
 كَأَنَّ بَنَاتِ الْقَفْرِ حِينَ تَفَرَّقَتْ غَدُونَ عَلَيْهَا بِالْمَنْبَايَا الشَّوَابِعِ (٣)
 ثُمَّ وَصَفَ الْفَهُودَ :

بِذَلِكَ أْبَغَى الصَّيْدَ طَوْرًا وَتَارَةً بِمُخْطَفَةِ الْأَكْفَالِ رُحْبِ التَّرَائِبِ (٤)
 مَرْقَقَةَ الْأَذْنَابِ مُنْمِرٍ ظَهْوَرُهَا مَخْطَطَةَ الْأَمَاقِ غَلْبِ الْغَوَارِبِ (٥)
 مُدْنَرَةً وَرَقٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا حَوَاجِلُ تَسْتَدْمِي مَتُونَ الرَّوَاقِبِ (٦)

- (١) متونها : ظهورها ، مفردة متن .
 (٢) كشر عن نابه : أيداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفي س : « مذلة » .
 (٣) بنات القفر : عنى بها الوحوش . وجاء في س : « غدوت عليها بالمنبايا » ، ومثل هذه الرواية في الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .
 (٤) في الأصل : « أبق الصيد » وهو تحريف صوابه في النهاية . وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغي » ولها وجه . ومخطفة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية مافي الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .
 (٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذي فيه نمر ، بضم ففتح أى نكتت ببيضاء وسوداء . وفي ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف . ومثل هذه الرواية في الجزء السادس . وفي النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : ما بين العنق والظهر .
 (٦) مدنرة : بها نكتت كأنها الدنانير . وفي الأصل : « مدربة » وتصحيحه من مباحج الفكر . والورق : مفردة أورق ، وهو الذي في لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهى القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال المعجاج :
 كأن عينيه من الغثور قلتان في لحدى صفا منثور
 صفران أو حوجلتا قارور
 والرواقب : جمع راقب ، وهو رأس الجبيل . وتستدمي : تتبع . وإنما تتبع لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفي الأصل : « تستدمي » ولا يصح إلا بشكلف وتعمل ؛ فإن معنى استدمي : استخراج من غريمه الدين في رفق .

- إذا قلبتها في الفجاج حسبتها سنا ضرم في ظلمة الليل ثاقب^(١)
 مَوْلعة فطح الجباه عوابس تحال على أشداقها خط كاتب^(٢)
 نواصب آذان لطاف كأنها مداهن ، للإجراس من كل جانب^(٣)
 ذوات أشاف رُكبت في أكمها نوافذ في صم الصخور نواشب^(٤)
 ذراب بلا ترهيف قين كأنها تعقرب أصداغ الملاح الكواعب^(٥)
 فوارس مالم تلق حرباً ، ورجلة إذا آنتت بالبيد شهب السكتائب^(٦) ١٣٥

- (١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « في الفجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .
 (٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و« فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفتح . في ط : « قيج » وفي س : « فتح » وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف ما أثبت . والرواية في نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .
 (٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفي الأصل : « للأجراس » وليس بشيء . يقول : قد نصبت هذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتتسمع الأصوات من شتى الجوانب .
 (٤) الأشافي : جمع إشفي ، وهي مثقب الإسكاف ، وقد عني بها الأظافر ، وفي الأصل : « أئاف » جمع أنفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .
 (٥) القين : الحداد ، والترهيف : تزيين الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .
 (٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشي على رجله . قال أبو عمرو : وليس في الكلام فعلة جاء جهماً غير رجلة جمع راجل . وكأفة جمع كء . وفي الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتمام مقابله لكلمة « فوارس » . وما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تركب الخيل ، جاء في نهاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان » . ومثل ذلك عند الهميري في رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأرائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز في هذا المعنى (انظر الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :
 يلاحق الوثبة بتمد النفس نعم للرديف زائناً فوق الفرس =

- تَرَوْ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً لَهْنٌ بِذِي الْأَسْرَابِ فِي كُلِّ لَاحِبٍ (١)
تَضَاعَلُ حَتَّى لَا تَكْأَدُ تُدْبِنُهَا عُيُونٌ لَدَى الصَّرَاتِ غَيْرِ كَوَاذِبٍ (٢)
حِرَاصٌ يَفُوتُ الْبَرْقَ أَمْكْثُ جَرِيهَا ضِرَاءٌ مِبَلَّاتٌ بَطُولُ التَّجَارِبِ (٣)
تَوْسَدُ أَجْيَادَ الْفَرَائِسِ أَذْرَعًا مَرْمَلَةٌ تَحْكِي عُنَاقَ الْحَبَائِبِ (٤)

= ولأبي نواس في صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكبه على سمنده

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الكتاب : عنى بها جماعة الوحش التي تصيدها هذه الفهود . والسكتية الشهباء : هى العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستر به من الصيد لتختله . و « بذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بذى الأسوار » ، ولاوجه له ، وأثبت مانى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التى لا تكذب صاحبها عند صرها وشدها ، لا تستطيع مع ماها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتتضائل وتجهد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيها ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتدانى أبطأ جرية هذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبيل ، بكسر الميم وفتح الباء : الثبت الجرى .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة - أى المملطخة بالدم - وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع الحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام وأقسوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها كضم المحبة من لايحب

أى أن طريدها لايحبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاي ، وليست تتجمه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عناق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكة)

قال دِعْبَلُ الشاعِر (١) : أَقْنَا عِنْدَ سَهْلِ بْنِ هَارُونَ فَلَمْ نَبْرَحْ ، حَتَّى كَدْنَا
نَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ ، فَلَمَّا اضْطَرَرْنَا قَال : يَا غِلَامَ ، وَيْلَكَ غَدْنَا ! قَالَ : فَأَتَيْنَا
بِقَصْعَةٍ فِيهَا مَرَقٌ فِيهِ لَحْمٌ دِيكٍ [عَاسٍ هَرَمٍ (٢)] لَيْسَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا غَيْرُهَا
لَا تَحْزُ فِيهِ السَّكِينُ ، وَلَا تَوَثَّرُ فِيهِ الْأَضْرَاسُ . فَاطَّلَعَ فِي الْقَصْعَةِ وَقَلَّبَ
بِصَرِّهِ فِيهَا ، ثُمَّ أَخَذَ قِطْعَةً خَبِزٍ يَابَسٍ فَقَلَّبَ جَمِيعَ مَا فِي الْقَصْعَةِ حَتَّى
فَقَدَّ الرَّأْسَ مِنَ الدِّيَكِ وَحَدَّهُ ، [فَبَقِيَ مَطْرَقًا سَاعَةً (٣)] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
الْغِلَامِ فَقَالَ : أَيْنَ الرَّأْسُ ؟ فَقَالَ : رَمَيْتُ بِهِ . قَالَ : وَلَمْ رَمَيْتُ بِهِ ؟ قَالَ :
لَمْ أَظْنِكُ تَأْكُلُهُ ! قَالَ : وَلَايَ شَيْءٍ ظَنَنْتَ أَنَّي لَا آكُلُهُ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَمَقَّتُ مَنْ يَرْمِي بِرَجْلِيهِ [فَسَكِيفٍ مِنْ يَرْمِي بِرَأْسِهِ (٤)] ؟ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَوْلَمْ

(١) هو دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ،
لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزراءهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان
شديده التصب للقطمانية على النزارية ، وكان شيعيا ، وكان يتشطر ويصحب
الشاطر . وأخباره مسيبة في الأغاني ١٨ : ٢٩ - ٦١ . ومن خير شعره
الأبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لاتعجبي ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
ياليت شعري كيف يومكا ياصاحبى إذا دى سفكا
لاتأخذنا بظلامتى أحدا قلبى وطرفى فى دى اشتركا

كان دعبل يتنقل في البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هاربا من المعتصم لما
هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست
وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكلية من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلا عن الجاحظ . والعامى : الذى أسن
حتى صلب وجف .

(٣) التكلية من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفى العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أَكَرَهُ مَا صَنَعْتَ إِلَّا لِلطَّيْرَةِ وَالْفَأَلِ ، لَكَرَهُتُهُ ^(١) ! الرَّأْسُ رَيْسٌ وَفِيهِ
الْحَوَاسُ ^(٢) ، وَمِنْهُ يَصْدَحُ الدِّيَكُ ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أَرِيدَ ؛ وَفِيهِ فَرْقُهُ ^(٣)
الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ ، وَعَيْنُهُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ ، يُقَالُ : « شَرَابٌ كَعَيْنِ
الدِّيَكِ » ^(٤) ، وَدِمَاعُهُ عَجِيبٌ لَوْجَعِ الْكَلْبِيَّةِ ، وَلَمْ أَرَ عَظْمًا قَطُّ أَهْشَ تَحْتَ
الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ ، فَهَلَّا إِذْ ظَنَنْتَ أَنَّي لَا آكُلُهُ ، ظَنَنْتَ أَنَّ الْعِيَالَ
يَأْكُلُونَهُ ؟ ! وَإِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ نُبُلِكَ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُهُ ، فَإِنَّ عِنْدَنَا مِنْ
يَأْكُلُهُ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرْفِ الْجَتَّاحِ ، وَمَنْ السَّاقُ وَالْعَنْقُ !
انظُرْ أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيْنَ رَمَيْتُ بِهِ ! قَالَ : لَكِنِّي أَدْرَى
أَنَّكَ رَمَيْتَ بِهِ فِي بَطْنِكَ ، وَاللَّهُ حَسِيدُكَ !

كَمَلِ الْمَصْحَفِ ^(٥) الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنِ عَوْنِهِ

وَيَتْلُوهُ فِي الثَّلَاثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذِكْرَ الْحَمَامِ ^(٦)

(١) أَى لَكَرَهُتَ مَا صَنَعْتَ .

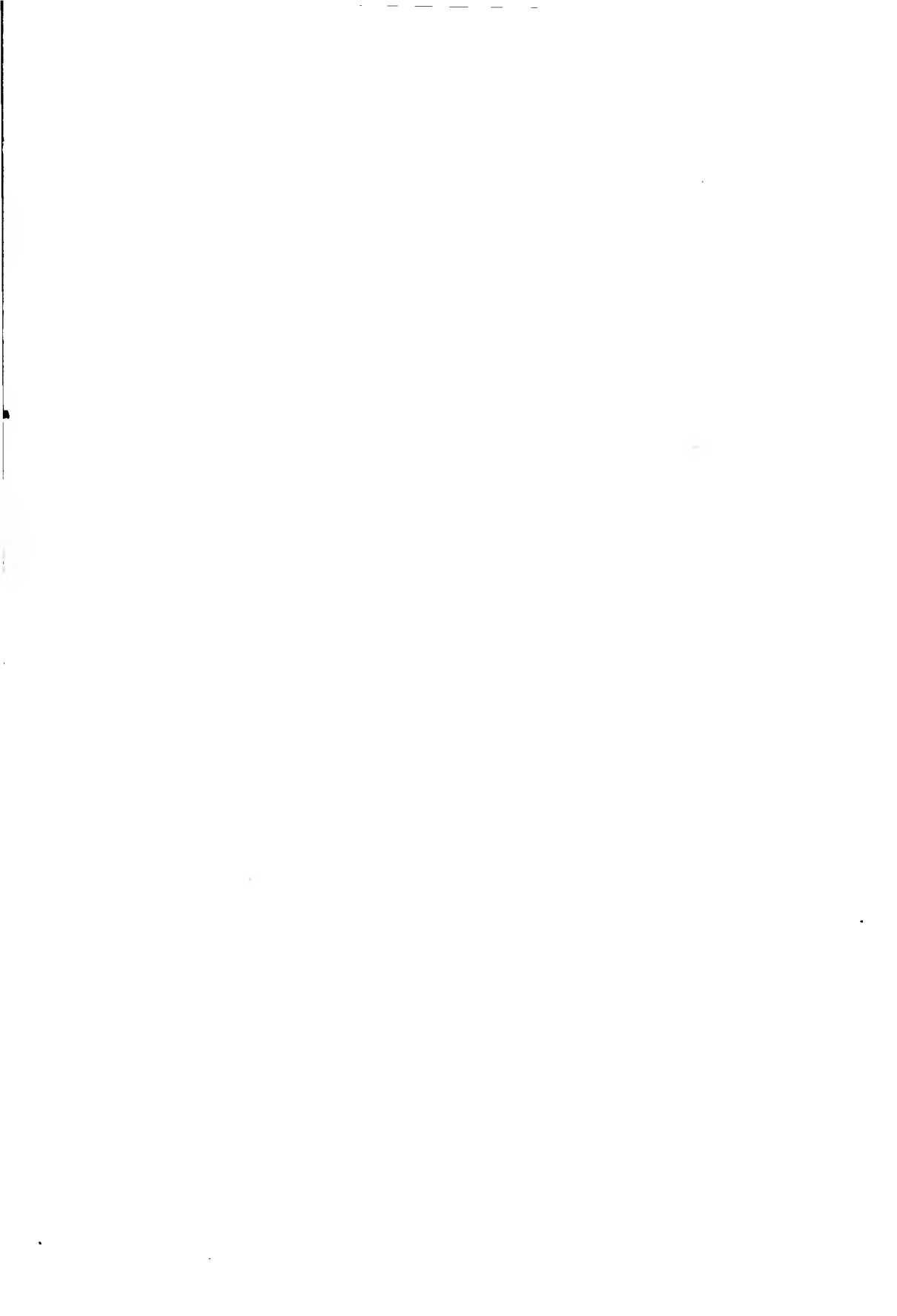
(٢) فِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ وَكَذَا فِي الْعَقْدِ : « الْحَوَاسُ الْخَمْسُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، إِذْ أَنْ
فِي الرَّأْسِ أَرْبَعًا مِنَ الْحَوَاسِ ، هُنَّ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالثَّمُّ وَالذَّوْقُ . وَفِي وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ
١ : ١٧٩ : « وَالرَّأْسُ رَيْسٌ وَفِيهِ الْحَوَاسُ الْأَرْبَعُ » .

(٣) فَرْقُ الدِّيَكِ : انْفِرَاقُ عَرْفِهِ ، وَقَدْ أَسْلَفَ الْجَاهِظُ . فِي ص ٢٠٧ مِنْ هَذَا
الْجُزْءِ كَلَامًا فِي التَّبَرُّكِ بِالدِّيَكِ الْأَفْرَقِ وَانظُرْ كَذَلِكَ ص ٢٥٩ . وَفِي ط : « وَفِيهِ قَرْنُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ مَا أُثْبِتَ مِنْ س . وَفِي عِيُونَ الْأَخْبَارِ : « عَرْفُهُ » .

(٤) أَى فِي الصَّفَاءِ ، وَقَدْ سَبَقَ كَلَامُ الْجَاهِظِ فِي هَذَا الْمَثَلِ ص ٣٤٩ .

(٥) هَذَا مَا أُثْبِتَ مِنْ س . وَفِي ط : « تَمَّ الْجُزْءُ » .

(٦) هَذَا مَا فِي س . وَفِي ط : « وَيَتْلُوهُ الْجُزْءُ الثَّلَاثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوَّلَهُ ذِكْرَ الْحَمَامِ » .



تذييل واستدراك

- صفحة سطر
- ١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنَّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعملية حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كما يعتقدن أن الحائض يتلف عجينها ولا يخبز . كما لوحظ أن الزهرة تدبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسرت هذه الظاهرة تفسيراً علمياً ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوثيد ، وبعض الحماض والفسفور ، والمغنيزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذي لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .
- ١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفري . كذا في الأغاني ومعاهد التنصيص . وقد عدّه ابن حجر في الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه «كليب بن عيممة» . أما ابن السجري في أماليه (١ : ١١١) فقد جعله «كليب بن عيممة» وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : «عيممة : منقول من محقر العيممة ، وهي شهوة اللبن : أو محقر العيممة ، بكسر العين ، وهي خيار المسال» . فلعل هذا صوابه .
- ١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر ففسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء في معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

حكيم السكبيّ ينشد الناس هجاءكم بالكوثة ! فقال : هل
حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :
صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرْمِهِدِّيًّا عَلَى الْجَذَعِ يُصَلَّبُ
وَقَسِمْتُمْ بَعْمَانَ عَلِيًّا سَفَاهَةً وَعُمَانَ خَيْرًا مِنْ عَلِيٍّ وَأَطِيبُ
فَرَفَعَ عَبْدُ اللَّهِ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهِيَ يَنْتَفِضَانِ رَعْدَةً فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا ! فَخَرَجَ حَكِيمٌ مِنْ
الْكُوفَةِ فَأَدْلَجَ فَاقْتَرَسَهُ الْأَسَدُ فَأَكَلَهُ .

٨ ٢٧١
السكينة معناها الاطمئنان . وجاء في القرآن الكريم :
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام في بني إسرائيل .
والنبي هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك :
طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى
إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك
طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه في حروبهم ليكسبهم
طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدمت هذا لألقى
ضوءاً على الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسياً قديماً العهد ،
غشاه بالدبياج ، وزينه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسي
من ذخائر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ،
فضمّوه في حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محله فيكم محلّ التابوت
والسكينة في بني إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩)
وثمار القلوب ٧١ .

٢٧٤ ٩ « فُتْنَا » جمع فِتَانٍ بالكسر ، وأصل معناه غشَاءٌ يجعل للرجل من آدم . وأما أمر الحمام ، فَإِنَّ المختارَ لَمَّا وَجَّهَ إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصَّته حمماً بيضاً ضحماً ، وقال لهم : إن رأيتُم الأمر علينا فأرسلوها في المعركة . وقال للناس ، إني أجد في محكم الكتاب ، وفي اليقين والصَّواب ، أَنَّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضَابٍ ، تأتي في صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ على عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النَّاسُ : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأسرع القتل في أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعوا السيوف فيهم ثم أفنؤهم . ثمار القلوب ٧١ . وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكان البيت في الأصل محرِّفاً على الوجه الآتي :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت

سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » في شفاء الغليل « بنكام » لفظ يوناني ، ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرَّب عربيُّ أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الخصر :

* وَخَصْرُهُ شَدَّ بَيْنَكُمْ * «

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط . » فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت في العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعرياً للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائبة ، لا رملية كما قال الخفاجي .

عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للصوص ، كانت في عصر الجاحظ :
وإنما سُمِّي خياطاً لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة
التلصص ، وأخذ ما في بيته وخرج ، وسدَّ النَّقْبَ كأنه خاطه ،
فسمِّي بذلك . ويظهر أنه قد شاع في هذا العصر اتخاذ التلصص
مهنةً لكسب العيش ، وجعل للصوص لها نظماً ، وأنشؤا
لأنفسهم ألقاباً ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤني ، والشاغل
والطرار . فالعين : الذي يلزم الصيارف ، ويتأمل كل مالٍ
محمول ، ويأتي السفن فيتعرف موضع الحرز ، ويأتي دار قوم
فيطلب أن يتوضأ ، فيتعرف خزائهم والموضع الذي يقصدون
منه . والمؤني : الذي يتولَّى البيع والابتياح لهم ، ويجعل عند ذلك
كأنه أمير قرية ، أو زعيم محلة . والشاغل : هو الذي يشغل
القوم عن اللصِّ والطرارِ ، إذا ظفروا به ، يجيء اللصَّ فيضربه
ما لا يضر به السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبي ، هو الذي
ذهب بمالي ، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ،
فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسف مع القوم . والطرار : الذي يقطع
المهايين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت في أكثر أمرها تلتزم ضرباً
من ضروب الشهامة والنبل ، ورووا عن عثمان الخياط أنه قال :
« ما سرقت جاراً وإن كان عدواً ، ولا كريماً ، ولا كافأت
غادراً بغدره ! » .

وكانوا يحسّون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجون لها . قال عثمان

الحيّاط : « لم تزل الأمم يسبي بعضها بعضا ، ويسمّون ذلك غزوا
وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب الكسب !! وأنتم في أخذ
مال الغدرة والفجرة أعذر ! فسمّوا أنفسكم غزاةً ، كما سمّي
الخوارج أنفسهم سُراة !! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى
الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونواديرهم ، مسهبة مفصّلة ، فى
محاضرات الراغب (٢ : ٨١ - ٨٤) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥



أبواب الكتاب

	صفحة
باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة.. الخ	٥
مسألة كلامية	١٥
باب آخر في الكلب وشأنه	٧٠
باب ما يشبه بالكلب وليس هو منه	١٦٦
باب ما يحتاج إلى معرفته	٢٨٠